مدينة خوست الجمعة 15 مايو 1998.

المطار 90

دخل عام 1990 وهو يحمل كل نذر الخطر, سواء على المستوى الشخصى أو مستوى القضية الافغانية الى أنغمسنا فيها حتى الآذان.
أنقضى العام الدامى (1989) وقد أفضى بناء الى عام يليه ينذر بنهايتنا ؛ المجاهدين العرب« ونهاية القضية الاسلامية فى أفغانستان, لقد دخلت الولايات المتحدة عمليا فى ساحة العمل المباشر ضد الشعب الافغانى - ومجاهدين بوجه خاص -- وضد التواجد العربى الجهادى فوق اراضى أفغاستان وباكستان.
وكانت ضربه مؤلمة فى الظهر... فقد ظهر من عملية إغتيال الدكتور عبد الله عزام تواطؤ السلطات الباكستانية, وتورط واضح من المخابرات السعودية, وبدايات لعنصر جديد على الساحة الافغانية وهو المخابرات المصرية التى تحولت بالتدريج الى أهم قوة ضاربة ضد التواجد العربى خاصة فى مرحلة الاجهاز النهائ على ذلك التواجد.
لقد فقد التجمع العربى قياداته (الشرعية), المتمثله فى الدكتور عزام الذى اغتال فى بشاور, وفى اسامة بن لادن الذى احتجزته السلطات السعودية ودفعته من السفر, وقد حماه ذلك -- فى ظن - من أن يلاقى مصير الدكتور عزام.
لقد كانت القيادات "الشرعية" للعرب فى بشاور أقل كثيرا من المستوى المطلوب, حتى أنها كانت فى نظرى الشخصى -- ضارة فى مواقف عديدة -- خاصة فى مأساة جلال آباد.
لكن فقدانها زاد الامر سؤا لاستحاله ظهور قيادة بديله.
فعلى الاقل ليس هناك من يمتلك شئ من القرارات المالية الهائلة لدى الرجلين (عزام, وبن لادن), ناهيك عن الاضواء الاعلامية المتراكمه عبر سنوات التى مع المعايشه الميدانية جعلت منها نجمان فى سماء التجربه العربية فى أفغانستان
لقد فقد الدكتور عزام حياته ثمها لخروجه عن "قوانين اللعبه" بأن حو ل دفه الجهاد ملعوب إسرائيل.
أما أسامه بن لادن فقد كان هدفه الاساسى هو هدم النظام الشيوعى فى جنوب اليمن -- موطن عائلته -- لذا حافظ على رأسه بين كتفيه لكونه لم يصطدم مع الارادة الولية (الامريكية) التى بدأت تنحو فى أتجاه تطبيع العلاقات الشيوعية الاسلامية.
فى المنطقة العربية والاسلامية عامة, ذلك بعد تفتت الكتله الشيوعية لذا فقد بدأ بن لادن يواجه المتاعب مع حكومه السعودية.
(كنت أرى الاخطار تزايد على المجاهدين العرب, بينما هؤلاء منخمسون فى أنماط عبثيه من النشاطات الجهادية, وأفكار مشوشه وأحيانا خطيرة, فى مجالات الفقه أو الحركه او السياسة.
وكان التكاثر الانشطارى (الأميبى) قد بلغ مداه بين التجمعات فى بشاور والتى أخذ الطابع الوطنى فيها ذروته -- رغم كل دعاوى الأمميه أو (الأمة الاسلامية الواحدة).
كانت قنوات الاتصال بينى وبين الوسط العربى فى بشاور قد تحسنت نسبيا على بعض مستويات ذلك الوسط, ولكنها ظلت بشكل عام ضعيفه وصعبه, وكنت أرى من واجبى نقل العديد من الوسائل الى ذلك الوسط, وهما بالتحديد رسالتان أولاهما تتعلق بذلك الوسط نفسه, مصيره وقضاياه, والثانية تتعلق بأفغانستان والوضع الحرج الذى وصلت اليه القضيه الاسلامية فيها, فى ظل اجماع دولى على أحباط الجهاد الاسلامى وفرض علمانيه غريبه على البلاد.
(جاء اختيارى للعمل مع حقانى فى إصدار مجلة خاصه به, كنوع من الحفاظ على إتصالى الدائم والقريب مع جبهات القتال خاصه مع حقانى الذى كنت أراه مرشحا للخروج من أزمة العمل العسكرى فى أفغانستان وإحراز نصر يحول المسار الاساسى للجهاد نحو النجاح الكامل وحسم المعركة عسكريا . خاصه فى منطقه مثل خوست والتى أفضت سابقا فى شرح مزاياها العسكرية والسياسية.
وقد اثبتت الاحداث صحة ذلك

-والهدف الثانى من اقدام على العمل فى المجله هو تقديم وجبه إعلامية مفيده للوسط الجهادى العربى وتقديم نمط آخر من التعامل مع الاحداث العسكرية على ساحة أفغانستان, تكون قريبه من المهينه والاحتراف بعيدا عن الحماسات الفارغة والقاتله غالبا -- كما حدث فى الإعلام العربى فى بشاور حول مجزرة جلال آباد -- كما رأينا سابقا.

وقد اثبتت الاحداث خطأى الفادح فى ذلك المجال, فالقليل من الاعجاب الذى صادف تلك التحليلات العسكرية فى مجلتنا تلك (وإسمها منبع الجهاد) لايمكن مقارنتها بتاتا بشلال الانتقاد والتهكم من عموم الوسط العربى والأدهى من ذلك هو الاثر الذى أحدثته تلك المقالات فى أوساط الاستخبارات العربية والامريكية, خاصة ما كان يكتبه زميلى فى المجله (العقيد متقاعد محمد المكاوى -- أبو المنذر) من تحليلات عميقه فى مجال تخصصه العسكرى وتناوله لمعارك أفغانستان الهامه فى جلال آباد وكابل وغيرها -- والتوجه السياسى المصاحب لتلك الكتابات العسكرية -- من جانبى ومن جانب زميلى -- كان معاديا بوضوح للسياسات الأمريكية.

لذا لم يكن مستقربا أن تلقيت وأياه "صدمة أمنيه" عندما تحركت المخابرات الباكستانية لابعادى وأياه عن باكستان, فكنا أول ضحايا الحملة الامنية الدولية ضد المجاهدين العرب فى أفغانستان.

بشكل عام كان النجاح حليفى الى درجه من فى العمل فى المجال الافغانى فقد تطور عملى الصحفى فى مجلة منبع الجهاد من مجرد متابعة لصيقه لما يحدث داخل تلك الجبهة الخطيرة فى خوست, متطور الى مشاركة حميمة فى أخطر نقاط تلك المعركة ألا وهى قطع الاتصال الجوى بين خوست والعالم الخارجى -- خاصه كابل.

من هنا جاءت عملية "المطار 90" التى نجحت بشكل خارق للعادة, ثم تلتها بعد سته اشهر تقريبا عملية " المطار الجديد" والتى نجحت هى الاخرى -- ولكن بشكل أقل نسبيا -- من عمليتنا الاولى, ولكن فى ظروف غير عادية فى صعوبتها وخطورتها فإذا وضعنا ذلك في الحسبان تكون هى الاخرى لاتقل عن مثيلتها من حيث الانجاز بل أن لتلك العملية دورا لايمكن فكرانه فى الوصول الى النصر النهائ فى خوست وفتح المدينه (31/3/90).

وسوف نتعرض لتلك العمليات بشئ من التفصيل فيما بعد.

(أما العمل على الجبهة العربي فكنت اعتبره فشل متنامى يمضى بى من مرحله الى أخرى -- رغم نجاحات جزئية ومحدودة -- ولكنى لم أجد لها أثرا على من تعاملت معهم, وكان أهم معالم فشلى فى المجال العربى لذلك العام (1990) هى تلك المحاضرات التى ألقيتها بالمشاركه مع (أبو مصعب السورى) فى معسكر جهاد وال فى خوست, وكان الحضور هم أهم كوادر تنظيم القاعدة التابع لأسامة بن لادن.

وقد أدت تلك "الدورة السياسية" كما أطلقوا عليها الى انشقاق محدود فى داخل التنظيم فقد تحول عدد من الحضور الى تيار التكفير لا لشئ إلا لأنهم اكتشفوا فظاعة العمل السياسى المحيطة بالقضية الافغانية فأصدروا حكما عاما بتكفير الجميع -- عربا وأفغانا -- وأن كنت أشك فى أنهم أصابونى بنفس التهمة, ولكنهم على أى حال تدخلوا " عسكريا " لافشال آخر مهمة قتالية كنت موكل بها فى أفغانستان -- كما سيمر علينا فيما بعد.

(عدت استكشف منطقه خوست مرة أخرى... "لقد مرت مياه كثيرة من تحت الجسر" فإلى اى مدى تغيرت الحياه على شاطئ النهر?... ومنذ خريف 89 قمت بجولات معمقه فى أنحاء المنطقه... وقابلت الاصدقاء القدماء من القاد وتحدثت معهم كثيرا حول المعركة الاخيرة والوضع الراهن ورؤاهم للمستقبل.

كانت المعنويات عالية فالإنتصارات متوالية -- وليس أفضل من الانتصارات فى رفع معنويات الناس, لقد حصل المجاهدين على المزيد من الارض والمزيد من الغنائم, ومن جهه الغرب إقتربو من المدينه اكثر من أى وقت مضى.

بعض من تلك الجولات الاولى كانت يرفقه الصديق "ابو الحارث الاردنى" الذى كان أميرا على المجموعة العربية الرئيسية فى خوست, والتى وصفتها فيما مضى أنها أفضل مجموعة عربية عملت فى أفغانستان, ومازال ذلك رأى حتى الآن, كلما استعرضت النشاط العرب فى الجبهات.

أبو الحارث شاب فى بداية الثلاثينات من العمر, ينتمى الى بادية الاردن, فليس غريبا إذا خشونته فى المعامله, وغلظته التى اكتسبته العديد من الاعداء, خاصه مع مراحته الفطريه, ولكن من اتيحت له مثلى أن يتعرف عليه من قرب, يكتشف فيه شخصا طيب القلب عطوفا , ورغم ذكائه إلا أنه كان عظيم الكراهية للسياسة وكان ما يمن لها بصله, شديد الايمان بالبندقيه فى حل أى مشكله, كنت أخالفه فى ذلك الرأى, لكنى حافظت على صداقه مع ذلك الشاب الصلب الشجاع, وكانت لنانفس الرؤية بالنسبه لقضيه افغانستان عامة, وأهمية منطقه خوست

وقيادة حقانى ذات الاهمية المحورية, واظنه الوحيد من العرب -- بعد إستشهاد عبد الرحمن -- الذى كان على نفس الاتفاق الكبير معى فى ذلك المجال.
فى بداية عملى الصحفى الجديد, قمت بعده جولات فى مناطق خوست التى فتحت جديدا , والمناطق القديمة أيضا فى بارى, وتوده شنى ودروازجى فى الجبال الجنوبية فى مقابل المطار, وجبل تورغار الذى مازال صامدا فى عناد فى وجه المجاهدين.
لقد سجلت الكثير جدا من المعلومات والتعليمات والمشاهدات وكتبت بعضها في هيئة موضوعات صحفيه.
لقد عادت إل ى مرة أخرى ذلك "الشعور المنعش بإعادة اكتشاف الاماكن المحببه". ولننظر الآن كيف رأيت المعبر الحدودى في "غلام خان" الذى يقود الى اماكن الجبهه الجنوبيه فى بارى وما جاورها, ورغم أننى لا أستطيع أن أحصى عدد المرات التى عبرت فيها ذلك المنفذ إلا أننى رجعت أراه وكأننى أفعل ذلك لأول مرة.
وهذه هى صورة "غلام خان" كما رأيتها في بدايات عام 1990 وقد نشرتها مجلة أفغانستان (العدد 19- 20) يناير /فبراير 1990.

"غلام خان" قرية على هامش الحرب"

ينظر رجل الميليشيا فى حرس الحدود الى داخل السيارة المكدسه ثم يشير بتراخ الى زميله الجالس على حافه الطريق ممسكا بطرف الحبل لكي يرخى قبضته فتعبر السيارة الحبل المدلى عبر الطريق لتلامس عجلاتها الارض الافغانية.
ولتصافح الاعين آخر كلمه وداع من مخفر الحدود منقوشه على لافته قديمه حفرت فوقها كلمات اكسبتها الايام طابعا جنائزيا "خدا حافظ" كلمات لها معنى آخر وأنت فى طريقك الى الارض الافغانية والاصداء اكتومه لانفجارات ليست شديده البعد وسحابات من الدخان تنتقل بتثاقل من فوق الجبال.
"غلام خان" إسم آخر نقطه على الحدود وأول قرية أفغانية علي الجانب الآخر تستقبلها القرية بمساحة لا بأس بها من المقابر المنقوشه بعشرات الاعلام الملونه التى تميز مقابر الشهداء, ويهبط بنا الطريق الى واد متسع يسلكه مجرى مائى ضيق ولكنه صاف وعزب, أما "غلام خان" نفسها فقد بدأت هذه الايام تتنفس من جديد بعد أن أصابها الاختناق منذ ما يقرب من ثلاث سنوات.
المبانى محطمه وبعض شرفات المنازل معلقه على دعائم خشبيه منهارة, منازل ودكاكين تناثرت حوائطها الحجري وسقوفها الخشبيه أنها إثار السكته القلبيه التى اصابت القرية عندما دهمتها الطائرات السوفيتية الصنع لتباغت القرية التى كانت تعيش فى حاله من الازدهار الاقتصادى, وأزدهرت فيها التجارة خاصة بالمواد الغذائية. وإعتمدت عليها فى ذلك القرى الاكثر عمقا ومراكز المجاهدين التى تغص بهم منطقه خوست, وفى ذروة الانتعاش نسيت القرية أن الحرب قريبه جدا وأن العدو لن يرضى بأن تفلت قرية أفغانية واحدة من دفع ضريبه الحرب, وفى ضحى يوم صيف نزلت أطنان القنابل على رؤوس سكان القرية لكى تضعفهم فى حين فجأة داخل اطار الحرب, وسقط اكثر من خمسين قتيلا تحت انقاض القرية.
كانت عملية تشيط للذاكرة حتى لا ينسى احد أن السوفييت مازالوا فى أفغانستان, وحملت الطائرات رساله التذكير ليس فقط الي قرية " غلام خان" بل إلى ما خلفها من معسكرات المهاجرين حتى السوق المتواضع الذى يبعد كيلو مترات معدودة خلف الحدود تلقى بدورة عدة قنابل من العيار الثقيل فقتل هناك أكثر من مائة مهاجر بين رجل وأمرأة وطفل... ودمر بضائع بسيطة كانت معروضه وأسر كثيرة فى انتظار اثمانها حتى تسد رمقها بالفتات. سوق الخيل كانت قائمة فى ذلك اليوم وفيها كان المهاجرون من الشمال يعرضون للبيع دوابهم التى نقلتهم عبر الجبال فى رحله شاقه مهلكه طوال اسابيع.
لابد من بيع الدواب ثم باقى الممتلكات البسيطه حتى تمر الاشهر الاولى البطيئه عسى بعدها أن تأتى معونات من مفوضيه المهاجرين.
فى ذلك اليوم الدامى اختلطت دماء الخيل بدماء المهاجرين وتعجنت أكياس الدقيق والسكر الاسود باللحم البشرى المشوى.
ولكن ارادة الحياة لدى الانسان اقوى من ذكريات الموت وعادت "غلام خان" هذه الايام لتدب بخطورتها من جديد على مسرح الحياة وتنبش لنفسها موضعا علي حافة الحرب.

واشتد اوار الحرب فى خوست وزحفت الحياة تدريجيا فى زقاق القرية. وبدأت اقفاص الفاكهة تجد مكانا فى صدارة الدكاكين القليله التى استعادت عافيتها, وجزار القرية علق كتل اللحم الحمراء لجاموسة عتيقه, ورحب المجاهدون بوجود سوق قريبة منهم توفر المسافه وتختصر الزمن.
ولكن التجارة التى دبت فيها دماء الحياة دافقة كنت تجارة "الخردة" أي القطع المعدنية من بقايا القنابل التى تلقيها الطائرات, فلا أقل من ستة "مراكز تجارية" قد شيدت لاستقبال أكوام الخردة, وتحولت التجارة الى مصدر رزق لكثير ضاقت أمامهم وسائل الرزق خلف الحدود ففضلوا العيش عليها بين أنياب الموت.
فى صباح يتجمع جامعوا "الخردة" من معسكرات المهاجرون حاملين اكياس قديمة أو مفارش من القماش يستأجرون سيارة تحملهم الى أرض الوطن قرب مراكز المجاهدين يفضون يوما أو أياما فى التجول بين المراكز والبحث بين الجبال عن بقايا قنبله أو صاروخ, يعمل أحدهم منفردا أو مع أبن أو أخ أو صديق لجمع الخردة فى أكوام وحشرها فى اكياس.
واشتداد المعارك -- كما هو حادث حاليا -- يعنى لهم سعة فى الرزق, ولا مجال للحديث عن الخطر -- الذى اصبح عضوا دائما فى العائلة الافغاية, لا يغيب, ولكن لا يكاد أحد يشعر بوجوده أو يعمل له حسابا.
وفى كل ميدان يحطى الجرئ بالنصيب الاوفر شأن أولئك الشباب من العاملين فى تلك التجارة خلف الخط الاول للمجاهدين وأحيانا أمامه, لجمع نصيب أوفر من القطع المعدنية, ومن نوعيات أفضل هناك توجد قطع نحاسية اكثر وكثير من "الماسات" وهو الاسم الذى يطلقونه على الكتله الحديديه الثقيله المثبته على مقدمه انواع القنابل التى ترميها الطائرات.
هؤلاء الشباب لا تنقصهم الجسارة, فالصواريخ تسقط حولهم ويتضاحكون كما أخافهم أحدها بدون أن يحدث فيهم ضررا وزودوا أنفسهم بقفازات ثقيله تحمى أيديهم من الحرارة وهم يلتقطون قطع الحديد الحمراء التى انفجرت توا من أحدى القنابل ولا تنقصهم اللياقه وهم ينحدرون من التلال او يصعدون الى ذروتها فى خفه الظباء, ولا تنقصهم العزيمه والقوة وهم يحملو غنائمهم الى مكان آمن قرب طريق السيارات أو على ظهور أحد الجمال التى استأجروها أو يمتلكونها.
القرية التى بدأت تشفى من ذكريات الموت "غلام خان" رتبت مصدر ثورتها الجديده من تجاره الخردة وفقا للأسلوب القبلى التقليدى.
فالتجار المتحكمون فى هذه الفرع المتخصص ينتمون جميعا الي نفس القرية ومن ابناء القبيله ذاتها, والتنافس بينهم محكوم وله قوانينه, فالأسعار ثابته ومتفق عليها وبعد ذلك للبائع الحرية أن يبيع لمن يشاء بدون ضغوط أو إغراء.
وذلك النشاط التجارى مرتبط بالحالة الفكرية السائدة فى المنطقة ويعطى مؤشرا لا بأس به عن مجريات الأمور فالقرية هى أول ما يصادف القادم الى الارض الافغانية و"المحلات المتخصصه" فى تلك "الخرده الحربية" تعطيه نشرة أخبار أولية عن الأوضاع فمن الذخائر المتاحة يمكن معرفه معلومات لابأس بها! فتوافر قطع كثيرة من صواريخ سكود... يعنى أن العدو فى أزمه وتوافر كعوب المدفعيه الفارغة يعنى أن المجاهدين يقصفون بشده.
وكميات الشظايا من قنابل الطائرات تعطى مؤشرا لنشاط العدو الجوى. فى أيام كتله تجد الاطنان من تلك القطع لأن طائرات العدو تهاجم لأكثر من أثنتى عشرة ساعة يوميا ... وهكذا.
وإذا كانت تجارة "الحديد العسكرية" هى النشاط الاكثر ربحا والاكثر حجما فى نشاط "غلام خان" التجارى فإن تجارة المواد الغذائية تليها فى الأهمية لخدمة القرى وبعض مراكز المجاهدين.
وبعد ذلك تجارة " المحروقات" وأهمها البترول فهناك محطة واحدة لتموين السيارات أو بيوت الأهالى, كما أن هناك "مراكز" لشراء وبيع الاخشاب المحلية التى لا تصلح لغير الطبخ والتدفئة.
قليل من الدواب الداجنه تعبر طرقات القريه التى مازالت شبه مهجورة , القلائل يدفعهم الفضول لكى يزحفوا من قراهم القريبه لمشاهده العالم التجارى فى "غلام خان" أما القرية نفسها فلم تسقط ذكريات الموت من عقلها الباطن لذلك فهى تتحرك على هامش الحرب ولكن بحذر زائد.
)))))
كانت "سياحتى العسكرية" مع أبو الحارث مفيده بشكل خاص لكونه قد شارك مع مجموعته فى العديد من المعارك الهامة التى جرت هناك, اضافه الى صلاته التى توطت مع اكثر "كومدانات" حقانى, إضافه الى كونه -

- أى أبو الحارث -- يتمتع بذاكرة فولاذية , لايكاد يتفلت منها شئ, وهى ميزة لم تكن مشتركه بيننا, من معالم تلك السياحة العسكرية, تلك الرحله الى منطقة "دروازجى" حيث مركز لراجمه صواريخ تعمل ضد المطار, قد تديرها جماعة "عبد المنان" الشهيد الذى خلف أخوه "جولاب" فى قياده المجموعة, وهم اصدقاء قدماء لنا منذ ايامنا الاولى في خوست.
"ولنشاهد" تلك الرحله, كما صورتها فى مجله أفغانستان (نوفنبر 1989), وقد كانت رحله ذات فائدة كبيرة لى عند تخطيطى للعمل ضد المطار فى عملية "المطار 90" وكان عنوان المقال "خوست مدينه ولدت محاصرة:"

"خوست مدينه ولدت محاصرة"

تحركت بنا السيارة على طريق أشد وعورة من سطح القمر, وتكدس الصندوق الخلفى للسيارة بصناديق الطعام وبعض الذخائر بالاضافه الى سبعة مجاهدين بأسلحتهم وهى حموله تزيد عن ضعف السعة الطبيعية للسيارة فى الظروف العادية.
لاشك أن التحرك فى تلك المسالك أكثر يسرا على ظهور البغال... ولكنها هى الاخرى أقل مما ينبغى والسيارة على أية حال تصل فى وقت أقل وإن كانت تسبب رضوضا اكثر فى ركاب الصندوق الخلفى بشكل خاص.
وحتى راكبى الدرجه الممتازة الى جانب السائق فى كابينه القيادة لا يخلو الامر بالنسبه إليهم من منغصات أقل حده تتمثل فى رضوض وخبطات الاسحلة التى تحيط بخصورهم وبين أرجلهم, والذى لم يعتد منهم على تلك التجربه قد يتعرض لجروح خطير.
الطائرات هى آخر ما يفكرون يه, ولا يفكر السائق فى التوقف عند ظهور الطائرات إلا إذا كان فى منطقه مكشوفه للغاية.
توجهت بنا السيارة الي الجانب الشرقى من وادى خوست عبر المسالك الجبليه, كنا فى ذلك الوقت نسير محاذاة مطار المدينه تقريبا على مسافه أقل من خمسة كيلو مترات وتصلنا عنه عدة سلاسل جبلية متدرجه فى الانخفاض حتى تصل الى سهل خوست نفسه حيث يبدأ النسق الدفاعى عن المطار.
لايبدوا من معالم الحياة شئ يذكر فى خوست نفسها سوى حركه قليله لبعض المركبات فى أماكن متناثرة تجرى خيطا طويلا من الغبار.
أزمة الوقود الخانقه تجعل تحرك المركبات محسوبا بعناية, كذلك قاذئف المجاهدين علي المدينه تجعل من الخطورة التحرك بغير حساب.
يرتبط ذلك بلا شك بالحصار الطويل المرهق الذى فرضه المجاهدين على المدينه حتى وكأنه "ولدت محاصرة."
ووصلت الازمه ذروتها حين تطورت أسلحة المجاهدين لتصل الى مدرج مطار المدينه الترابى وتختلط أتربه القذائف بأتربه الطائرات التى تحال جاهدة أن تجد منفذا آمنا للهبوط والصعود.
وتضاءلت فرص السلامة تدريجيا حتى صارت أخطر مهمة فى حرب أفغانستان -- بالنسبه للطيارين على الاقل -- هى أن يمارسوا الهبوط أو الصعود من مدرج الموت المرتقب لمطار خوست.
تتهادى سيارتنا فى رحلتنا غير المريحه وعند كل " مطب" عنيف يتصاعد تكبير المجموعة المرحة التى تتكسد فى المؤخرة, ثم تعقبها ضحكات حادة طليقه على منظر زميل قد طارت عمامته أو إنخلع حذاؤه أو أصابته رضه مؤلمه فى مكان ما."
صفير القنابل هو الآخر لا يزعج أحدا إلا المستجدين من الضيوف العابرين الذين يأتون أحيانا كسياح من عام آخر مندهش دوما لما يحدث فى عالم المجاهدين الافغان.
تصفير القنبله وتنفجر أمامنا أو خلفنا, فلا يتوقف أحد ولا يبالى.الى جانب طريق السيارة -- (هذا إذا كان ذلك الشئ يسمى طريقا) -- هناك حفر عميقه للغاية تظهر على فترات متباعدة, أنها قذائف ثقيله (لا تقل الواحدة عن 500 رطل) أطلقتها الطائرات على أثر عجلات سيارات المجاهدين لتخريب طرق انتقالهم.
المحاولة ساذجه للغاية وغير فعاله -- فهذه الحفر الضخمه سرعان ما تردمها السيول أو يتكفل بها عدد من المجاهدين بمعاولهم فيعيدوا الطريق الى وعورته الاولى (!) بعد إزاله آثار القصف الجوى.

الآن موسم جفاف فى المنطقه... الامطار الشتوية لم تنزل بعد والأعشاب الخضراء التى كانت تزين الجبال أصبحت غطاء أصفر من الهشيم يتحول بسهوله الي طعام سائغ لشظايا القنابل المشتعله فتسرى النيران الى الجبل بأكمله ليتحول الى شعله مضيئة من النيران وسحابة ملتفة من الدخان...
ويكون المنظر مهيبا خاصة فى الليل, ولا شك أن ذلك يبعث التسرية وينعش الأمل الكاذب فى نفوس ضباط الجيش الحكومي فأعمدة الدخان والأتربه تبعث فيهم السعادة.
هكذا قال ذلك "الكومندان" ذو اللحية الكثيفه التى خطها الشيب وهو يضحك بسعاده حقيقية كاشفا عن أسنان ناصعة البياض. كان هو قائد الموقع الذى نقصده فى مقابل الطرف الشرقى لمدرج المطار.
لقد نقلنا بسيارته "التويوتا" المستهلكه من منطقة بارى حيث نقابل الطرف الغربى للمطار قصدا بنا الى منطقة "دروازجى" عند الطرف الشرقى حيث جماعته هناك تترصد لمحاولات العدو لاستخدام المطار فيتحون نيرانهم على الطائرات.
"منذ يومين إحترقت طائرة فى المطار وتفجرت حمولتها من الذخائر... قتل الطيار ومساعده ومهندس الطائرة... لقد التقطنا رسالة لاسلكية بهذا الخصوص بثها العدو من خوست لقيادته فى كابل."
تابع الكومندان حديثه متدفقا بحماس وثقه:"سترى بنفسك خمس طائرات على مدرج المطار أصابتها صواريخ المجاهدين... هناك عدد آخر بين الأشجار المحيطة بالمطار خاصة الجانب الشمالى, سترى كل ذلك عندما نصل... أما تلك الطائرات التى احترقت يمكنك ملاحظة العديد من أكوام الهياكل المحترقه على جوانب المدرج وبين الاشجار."
توقفت السيارة لتبادل التحية مع مجموعة من المجاهدين العابرين على الاقدام, كانوا قادمين من "دروازجى" وهى المنطقه التى تقصدها قافلتنا الصغيرة, وبطرقة سريعه وجماعية تبودلت التحيات الشخصية وعشرات الاسئلة عن مراكز المجاهدين وأخبارهم... كل شئ بخير "الله شكر" هكذا ردد الجميع وهم يحمدون الله على سلامة الاخوة فى مراكز, وتحركت كل قافله فى حال سبيلها.
أخيرا توقفت السيارة وصاح السائق طالبا من الجميع أن ينزلوا حامدا الله على السلامة.
بحثت عن أثر المركز فلم يظهر سوى غطاء من القماش السميك معلق بحرف جرف على جانب الطريق واضح أنه المسجد الخاص بالمجموع الى جانبه عدة أحجار توقد بينها نيران فوقها غلاية شاى كبيرة الحجم سواء اللون...
الشاى علي وشك التجهيز... شعرت بسعاده شاركنى فيها الجميع... فليس فى العالم أفضل من كوب من الشاى الأخضر بعد رحله شاقه كهذه.
خمسة من الشباب لايزيد عمر أكبرهم عن العشرين جاؤا مهرولين للترحيب "بالكومندان" والضيوف, وهناك ثلاثة أكبر عمرا رفعوا أصواتهم ملوحين فى خليط من عبارات الترحيب والاستفسار.
المجموعة الاولى تتبادل العناق مع القادمين بينما الموكب يتزايد تدريجيا بظهور أشخاص من هنا وهناك.
المنطقه مناسبه للاختفاء بأعشابها الطويله المتشابكه وشجيرات مثل النخيل الذى لا يتعدى ارتفاعه نصف متر, الساحة أمام المركز مليئه بالوهاد أما الجبل المرتفعه والى الشمال والغرب هناك جبل ممتد على شكل سلسله متماوجه فى غربها نقطة للترصد ومراقبه المدينه والمطار والى شرقها "منطقه النيران" حيث تقف قاذفه صواريخ "بى/إيم/12" رأيناها بصعوبه تقف على حافه جرف حاد وقد بدأت الشمس تنحدر الى الغروب والرؤية أصبحت صعبه فالشمس تنحدر الآن فى الطرف الغربى للوادى حيث تحجبها عنا الجبال التى يحتمى بها الموقع.
"هل تصعدون الآن لرؤية المطار والمدينه" تساءل الكومندان الطيب... كانت صلابته وقوته الواضحة تبرهن على سلامة طويته فى سؤاله هذا ولكن حالتنا المذرية كانت كافيه للإجابه على سؤاله بأننا حتما لا نستطيع.
حفظا لماء الوجه تعلنا بتأخر الوقت وقرب غروب الشمس وحلول الظلام وطلبنا تأجيل الرحله الى صباح الغد.
نظرت الى نقطه الترصد حيث من المفروض أن نصعد صباحا ... الجبل ليس مرتفعا فحسب بل أن ثلثه الأعلى يقف عموديا تقريبا بقمة سوداء تشمخ بأنفها فى تحد عات.
تنهدت بألم وتمتم جارى: " الله المستعان"... باقى دقائق حتى يجهز الشاى. تقدم الكومندان فى موكبه بين مجاهدين نحو "راجم الصواريخ" رحنا نتفحصها... وهى تقف شامخه على حافه الجرف وفوهاتها الاثنتا عشرة

مصوبه فى إتجاه مدرج المطار, وغرفه الرامى على بعد مترين الى اليمن فى حفرة على جانب الجرف يستحيل تقريبا اصابتها بنيران العدو التى تأتى من صوب الوادى.
وضع القومندان يديه معقودتان فوق صدره وحرك رأسه متنهدا فى أسى, وقال بصوت يعتصر آلما: "مرمى نشته."
كان الخبر سيئا للغاية فلا توجد قذائف للراجمة... وأوضح القائد أن ذلك يحدث كثيرا لفترات طويله فالحصول على قذائف لتلك الراجمات أصبح صعبا للغاية بعد أن كان متوافرا أكثر من طلقات الكلاشنكوف.
-منذ متى الأزمة.?
-منذ عدة أشهر.
-ما السبب فى ذلك.?
--لا ندرى... فالمساعدات قلت كثيرا جاءت صيحة الدعوة الى الشاى من جانب طباخ المركز... وهو أحد الشباب العاملين فى الخدمة بالمعسكر.
جلسنا على شكل حلقه بيضاوية حول فناجين الشاى التى فقدت رونقها بعد أن تسكرت حوافها وكشط طلاؤها الابيض من أماكن عديده.
تبسم جارى وقال بصوت خافت: فناجين منذ عهد داود.
سمع أحدهم ذلك فانفجر ضاحكا وأبلغ الحاضرين بصوت عال بذلك التعليق الساخر, فإنفجروا ضاحكين وشعر الكومندان بخجل وأسرع يقدم اعتذاراته ويلقى اللوم على قسم الامداد يشترى لهم أرخص الأشياء.
لم يكن هناك شئ يستحق الاعتذار فالشاي فى حد ذاته كان مطلوبا بشده بعد رحلتنا المرهقه.
ومع حبات السكر التى طلاها التراب كان طعم الشاى أروع من أن يوصف, فالجوع والعطش كفيلان بإضفاء روعة على ما هو أبشع من ذلك.
الشعور بالانتعاش سرى بين المجموعة وانطلق الحدث على سجيته بين الجميع, نسمات اليل المنعشه تنبعث من تجاه الوادى الذى يظهر طرفه الشرقى فى فرجة الجبال التى نجلس بينها.
اشياء تبدو صغيرة ولكنها تكون مصدر سعادة حقيقية هنا... مثل مجرد خلع الحذاء بعد رحلة شاقه... وغمس القدم فى جدول ماء بارد أو تعريضها لنسمة هواء منعشه... كم يبعث ذلك فى النفس المجهدة سعادة لا توصف ولا تقدر بثمن.!?
ولن هناك أيضا يتعلم الجميع أن كان شئ مؤقت ولا شئ يدوم... حتى السعادة مع كوب من الشاى الاخضر ونسمه باردة فى المساء يمكن أن تنقطع فجأة... أما بازعاج خفيف أو بمأساة حقيقية.
لقد اهتزت الأقداح العنيفه فى أيدينا وبعضنا سقط الشاى الساخن على أطراف أنامله من جراء قذيفه ثقيله انفجرت على سفح الجبال المقابل, كان صوت الانفجار مريعا ليس فقط لشدته التى يقشعر لها البدن ولكن لكونه غير متوقع فى لحظة صفاء مدهشه كتلك التى نحيها الآن بعد رحلتنا الشاقه, ومع ذلك ضحك الجميع لم يتذمر احد قد تعودوا ذلك.
إنه قصف روتينى... انهم يعرفون أننا هنا فقد كانت هذه المنطقه لهم حتى وقت قريب لكننا طردناهم من هنا منذ مد قصيرة... الجبل الذى خلفنا ونستخدمه للاستطلاع ومواقبه المدينة كان مركزا لهم وما زالت الالغام موجوده فوقه.
تولى الكومندان شرح الموقف وعادت البهجه الي الجلسه... حتى وصل اسماعنا آذان المغرب من جهة القاذف الصاروخى حيث وقف المؤذن الى جانبه يؤذن بصوت عذب أضاف لمسه روحانية الى شاعرية المكان.
طعام العشاء اعقب صلاة المغرب مباشرة. وفى منتصف حلقه الجالسين وضع طبقان من الارز الابيض ولأجل الضيوف أضيف السكر الى سطح الأرز, أعضاء المعسكر أكلوا بشهية والضيوف اكتفوا بما يقيهم الجوع ليلا, ونسمات الليل المنعشه أحيت الأمل بسهرة مؤنسه حول اكواب الشاى الاخضر... ولكن الموقف تبدل فجأة الى صورة مغايرة تماما لحالة الصفاء والانس التى توهمها الضيوف ... عدة قنابل سقطت قرب المعسكر.
دعاهم الكومندان الى دخول المغارة الرئيسية التى تقع على بعد أمتار قليله ومع ذلك كانت رحله شاقه بعد أن ازدادت حدة القصف وسقطت عدة صواريخ (بى - إم - 41) قرب مكان الجلوس, فسقط البعض بين الأحجار وقذف البعض أنفسهم تحت حافه الجرف, وتسابق الجميع نحو فتحة المغار وآذانهم مغلقه فى الفضاء للتصنت على زئير القذائف القادمة.

القومندان يعلق رساله لاسلكية على جهازه الصغير المعلق بكتفه, مجموعة الاستكشاف فوق الجبل أبلغته بوجود طائرة نقل تحاول الهبوط فى مطار المدينه. الموقف اذن أصبح مفهوما لدينا... ولو أن مجاهدى المعسكر لم يكونوا فى حاجة للرساله اللاسلكية كى يعرفوا سر القصف المفاجئ وأنه مجرد تأمين لهبوط الطائرة. فمنطقتهم مصدر خطر على مدرج المطار.
تجمعنا فى المغادرة وسط ضحكات الشباب وتعليقاتهم فهذه المغامرات المفاجئة تشعل حيويتهم وثبت التجديد والاثارة فى هدوء الحياة وسط الجبال الصامته.
انطلق صاروخ من مكان قريب فتساءل أحد الضيوف وهو ينظر بدهشه الى الكومندان:
-ما هذا؟
-صواريخ المجاهدين تتجه نحو المطار.
-من أين؟ ألم تقل ليس لديكم صواريخ.؟
-فى هذا المركز نعم أما مركزنا المجاور ففيه عدد لا بأس به.
--القذائف تتساقط فوق سقف المغارة وقرب المداخل فتحرك الجميع صوب الطرف القصى للمغارة التي تمتد حوالى أربعة أمتار فى بطن الجبل, بعض الشظايا المشتعله تسللت الى الداخل فكسرت المصباح فأظلمت المغارة... وكان الضيوف معذورين فى تبخر حالة المرح والانشراح التى انتابتهم منذ قليل.
كان أحدهم على وشك أن يسأل عن موعد توقف هذا القصف... لولا وصول مكالمة أخرى عبر جهاز اللاسلكى جعلت الشباب يضجون بالتكبير... لقد أصيبت الطائرة على مدرج المطار وشوهدت النيران وهي تسرى فى هيكلها... سيارات مختلفه تتجه نحو الطائرة ربما للإطفاء والاسعاف.
" -زنده باد الله أكبر..."
صيحات متلاحقه أشاعت الدفء والثقه في هذا الجمع المكوم عند الطرف المغلق للمغارة... بينما القذائف تتفجر بجنون حول المغارة التى كادت تترنح, ولكن أحدا لم يبال بذلك حتى الضيوف لم يسأل أحدهم عن موعد توقف القصف.
والذى لم أذكره عن تلك المغامرة هو أن القصف قد استمر الى ما بعد منتصف الليل, حتى ادت مغارتنا ان تتهاوى وأن كثير من الشظايا قد وصل الى قرب نهاية المغارة لذا بقينا ملتصقين فى نقرة صغيرة على جانب المغارة قرب نهايتها, لقد نسى هؤلاء الدروس المستخلصه من معركه اور التى من بينها وجود مغارات متصله من الداخل تتيح مخارج للطوارئ -- ولكن وجود راجمة الصواريخ قريبه من المغارة نسبيا أوصت لى بفكرة هامة استخدمتها فيما بعد أثناء عملية "المطار 90" ولكننى جعلت الراجمة ملاصقه تقريبا لحافه المغارة مع تحصين الراجمة ومدخل المغارة بأكياس الرمل, وكان ذلك الاجراء عظيم الاهمية والقيمة فى ظروف عملينا هذه كما سترى فيما بعد.
فى الصباح اصطحبت دليلا أخذنى مع "أبو الحارث" رفيقى فى تلك الرحله حتى يوصلنا الى القمة عبر الالغام المحيطة بها, وهناك شاهدنا الطائرة المصابة وقد تفحمت, بينما إلتف صمت رهيب بالمطار وانعدمت الحركة حوله.
قضيت فترة أعاين كل بوصه فى المطار وما حوله واكوام الحطام الذى تكوم على الحافه الشمالية والجنوبية , ثم حملقت بعض الوقت فى جبل "تورغار" والتحصينات فوقه والخنادق المحيطه بحوافه العليا.
وأخيرا لفت أبو الحارث نظرى الى أن الشمس اصبحت محرقه, وأن مرافقتا قد غادرنا ونزل الى المعسكر.
كان علينا أن ننزل بمفردنا كى تواجهنا "مشكله بسيطة" وهى عدم معرفتنا بمواضع الالغام, ولم نجد مناسبا أن نصرخ من أعلى طالبين من جماعة "الكوتشى" إرسال دليل منهم كى يأخذنا. فذلك التصرف يعنى موضع سخرية أبديه منهم, ففضلنا أن نعتمد على الله وعلى أنفسنا فى الخروج من الورطه حتى ولو كلفنا ذلك أرواحنا فأخذنا نقفز من صخرة الى أخرى مثل عنزين رشيقين, متفادين وضع اقدامنا على مناطق ترابية قد تحتوى فى أحشائها على الموت فى صورة لغم.
وبالطبع نجحنا لأن رصيدنا الثابت من العمر لم يستنفذ بعد.
وقد تأكد لنا ذلك عدة مرات, فقد كادت الطائرات أن تقضى علينا ثلاث مرات في رحلة واحدة, خلالها نستطلع مناطق غرب الوادى في "نادرشاه كوت" و"دوامندو" و"دراجى."

ورغم خطورة ما تعرضنا له إلا أنه أفادنى كثيرا فى معرفه قدرات سلاح الطيران في المناطق المفتوحة فى وادى خوست, ومعرفه تكتيكات جديده جدا بالنسبه لى فى إستخدام تلك الطائرات للقنابل العنقودية.
لقد كانت المرة الاولى التى أشاهد فيها قصفا يمثل تلك القنابل على طول مسافه اكثر من عشرة كيلومترات متواصله ومستقيمه وفى نفس الوقت.
كن ذلك فوق طريق تسلكه سيارات المجاهدين فى الودى, وكادت سيارتنا أن تقع وسط ذلك الجحيم, ولكن الله سلم, وستنتجت وقتها أن عددا كبيرا من الطائرات تقصف متتابعة على خط مستقيم (أو أن العدو يستخدم قاذفات قنابل ذات حمولات غير عادية, أى قاذفات استراتيجية ومعني ذلك أن السوفييت مازالوا يقصوننا, وكان المشهد مهيبا , لكنه اتاح الفرصه لسائق سيارتنا أن يقطع مسافه كبيره من رحلتنا فى الودى تحت ستار سحب كثيفه من التراب والدخان بدون الخوف من قصف جوى جديد أو تدخل من مدفعيه العدو الثقيله أو الدبابات.
أثناء نفس الجوله -- التى استغرقت عدة أيام -- زرنا منطقه دراجى ثم تمركز كبير للمجاهدين فى منطقه لاغور الى الغرب قرب الجبال وهى على مسافه متساوية تقريبا من دراجى ونادر شاه كوت... لذا استخدمت منطقه "قفز" عليها اثناء العمليات الماضيه.
ومن حسن الحظ أن وجدنا هناك مولوى حنيف شاه, ومولوى بتختر جان, وكلاهما قام بدور بارز فى فتح نادر شاه كوت وقاد كل منهما مئة مجاهد لقطع طرق الاتصال بين نادر شاه كوت وبين خوست أو درجى ونجحا في مهمتهما, وقد سمعنا منهما ما حدث بالتفصيل, وكان حديثا مفيدا وشيقا لولا قصف الطيران علينا حتى أوشك على اصابتنا عدة مرات.
وكان المركز مزدحما بشده بالافراد والدبابات والسيارات وكوام الذخيرة وكلها من غنائم الحرب الاخيرة فى المنطقه.
فعزمنا علي التحرك صوب قلعه نادر شاه, تخلصا من زحام الغارات الجوية وكون الهضاب القليلة الموجودةة لاتوفر حماية كافية, كان سائقنا ومترجمنا (حاجى فريد) أشد لهفه على المغادرة, لأن الغارات أصبحت متلاحقه والمكان غاية الازدحام, ولكن للأسف فإن سيارتنا العنيفه رفضت المسير, وأخذنا في دفعها -- أنا وأبو الحارث فقط -- لأن باقى المجاهدين أخذوا فى الانتشار سريعا تحت وطأة الغارات المتلاحقه والمركزة, كنا ندفع سيارتنا صعودا فى انحدار خفيف فوق احجار خشنه بارزة, فلم تلبث أنفاسنا أن تقطعت وتوقفنا عن الدفع وفكرنا فى الجلوس فوق صخور قريبه للإستراحة, لكن قنبله ضخمة انفجرت على بعد أمتار قريبا فوق هضبة صغيرة, كان ذلك كفيلا بأن ننسى كل متاعبنا ونطلق ارجلنا فى سباق مع الريح ولكن أبو الحارث الذى تصور -- ربما - - أننى قد تمزقت بفعل الانفجار أخذ ينادى بصوته الجهورى قائلا "أبو وليد... أبو وليد" فناديته بأعلى صوتى... فهدأ روعة, وتوجهنا لتونا في دفع السيارة, بينما "حاجى فريد" يحاول أدارتها ولا يرفع يده عن مفتاح التشغيل
وكأن حرارة الموقف قد سرت فى مواسير الموتر العنيف فدار المحرك مخرجا كتله سوداء ضخمة من دخان العادم, لكنها بعثت فينا السرور والنشاط, فقفزنا فى السيارة, وحاجى فريد ينطلق بها صاعدا المنحدر, مبتعدا عن مركز لاغورى الذى غطاه الدخان والاتربه المنبعثه من قنابل الطائرات... ومن عادم سيارتنا القديم.
مررنا بعدد من القرى المهجور والمدمرة فى منطقه جميلة من الهضاب واقعه ما بين سلسله الجبال الغربية وبين وادى خوست الاخضر الجميل, بين بعض البيوت المتناثرة فوق هضبه خضراء, وقفت سيارتنا كى نلقى نظرة على مدينه خوست من جانبها الغربى الذى لم نشاهده قبلا من ذلك القرب.
وقف حاجى فريد الى جانبنا بجسمه الضخم وملامحه الطيبه, وقد اغمض عينيه وسحب نفسا عميقا وقد أغمض عينيه, فبدأ كتمثال مهيب في مواجهه المدينه.
وعندما لاحظ اننى أراقبه, ابتسم فى براءة وقال مبررا موقفه:
"هواء خوست... هواء خوست" كانت نسائم رقيقه منعشه تهيب علينا من جهه الوادى, وحاجى فريد الذى يقف الآن فوق أرض قريته كان يمثل لحظه ضعف الانسان فى حنينه الى الوطن الذى لايستطيع أن يعيش فيه. أثار ذلك شجونى, ولكن وطنى -- كما هو فى ذهنى -- أشد قتامه وظلمه, من خوست التى تلفه سحب الحرب.
لم أمس أبدا منظر ذلك العملاق - حاجى فريد -- وهو منتصب فى مواجهه خوست وقد أطبق عينيه, بينما هو يتنفس بعمق نسائم الوادى الاخضر الجميل.

وكم كانت فرحتى عندما قابلته مرة اخرى عام 1995 فى سوق مدينه خوست وقد إفتتح لنفسه دكانا صغيرا للتجارة, لقد فتح حاجى فريد مدينته بالقوة ويعيش فيها الآن عزيزا فخورا.
تقدمت بنا سيارة حاجى فريد الى حصن نادرشاه كوت , هناك طرق محددة للمسيرة, وما سوى ذلك من ممرات يحمل تحت سطحه خطر الموت.
فبعد مصرع مطيع الله الذى اقتحم الحصن,انتاب الزعر الجميع وحددوا مسارات الحركة للسيارات والمشاه.
أما الحصن نفسه فقد كان مبنيا على طراز العصور الوسطى رغم انه قد شيد فى بدايات هذا القرن, ولم أرى فيه سوى مخزنا ضخما للجنود والعتاد, والجلوس داخل تلك الغرفات مستحيل خاصة غرف الجنود المبنية بالطين, وهى ضيقه للغاية, متراصه فى صفوف طويله فى مواجهه الاسوار, عفنه الهواء لاتطالها اشعه الشمس, وحتى مكاتب المسئولية فهى مكلفه بأن تصيب مستخدميها بالكآبه النفسيه ومرض الكساح والسل الرئوى.
أما العتاد والمعدات, ما زالت كثيرة ومكدسه رغم الكثير الذى تم نقله الى خارج الحصن خوفا من قصف الطائرات أو صواريخ سكود.
لفت نظرى بشكل خاص مدرعه خضراء أنيقه كتب على جانبها بلون أبيض جميل "كروان صلح" أى قافله الصلح (!!). ضحكت من ذلك الصلح الذى تحمله مدرعات مسلحة بمدافع ورشاشات ثقيله.
كانت الحكومة مازالت تعزف انغام المصالح الوطني فى إذاعاتها وبعثاتها الدبلوماسية, وتذكرت شعاراتهم القديمة ذات الصلف المتعالى فى بداية الثورة الشيوعية, وكانت إذاعة كابول أثناء زيارتنا الاولى لأفغانستان لا تمل من ترداد شعار: الحكومة الأبدية لحزب الشعب (خلق) الافغانية.
لقد تهاوى ذلك الشعار بل أن الاتحاد السوفيتى نفسه بدأ يترنح.
فى أقصى الغرب وعلى مسافة 20 كيلوا متر من نادر شاه كوت وصلنا الى مضيف دوامندو الرهيب حيث الطرف العالم معلق الى جانب السلاسل الشمالية التى كانت تحرس قممها الدبابات والمدافع, وفى أسفل الوادى يتهادى نهر شمل رقراقا فوق كتل الحصى المستديرة.
الموقع فى حد ذاته منيع جغرافيا , أما مراكز الجيش على الطريق العام فتتميز بنفس التعاسه التقليدية, حجرات من الطين مثل جحور الفئران.
وخنادق مسقوفه مموهه بالصخور والاتربه تستخدم كمرابض للرشاشات ثم نطاقات من الالغام.
سألنا عن الدبابات والمدافع فوق الجبل, فأحزننى أنها قد انزلت وتم توزيعها ضمن الغنائم, وكم تمنيت أن تبقى حيث هى تحسبا من أن تتمكن القوات الحكومية من العودة مرة أخرى, فيمكن استخدامها لصد تقدمها, ولكن الوقت الذى كانت فيه القوات الحكومية قادرة على أن تذهب حيث تريد, كان قد ولى أيضا.

تورغار... آخر مرة

فى أواخر ديسمبر 1989, كنت أنوى البقاء فى أبوظبى حتى أنتهى من طباعة العدد الاول من مجله منبع الجهاد. التى انتهيت من كتابة معظم موضوعاتها, وأهمها موضوع عن وفاة تميم العدنانى ثم موضوع آخر عن اغتيال الدكتور عبد الله عزام.
ثم موضوع ثالث عن معارك خوست الاخيرة وفتوحات نادرة شاة كوت و دومندو ودراجى وغيرها من الحصون المنتشرة حولها فى غربى وادى خوست.
وساعدنى الاخ الصديق "باسل" فى كتابه بعض الموضوعات للمجله, وكان يعمل صحفيا فى الامارات وكان يمتلك حسا إسلاميلا عميقا مع عقليه ذكية يقظه, مع نشاط جسم لايكل ولا يمل, كل ذلك مع عيب واحد بسيط فقد كان مثابرا فى توجيه السلام لى على كل شئ تقريبا حتى أسميته " باسل النفس اللوامة" ولم يمنعه ذلك من دعوتى الى منزله عده مرات, ثم دعوتى على العشاء في أحد مطاعم الغول في العاصمة أبوظبى وذلك واحدة على الأقل.
كنت أنوى البقاء حتى إتمام العدد الاول لكننى غادرت على وجه السرعة عندما علمت أن هناك هجوما وشيكا على جبل تورغار, أخبرنى بذلك غازى مرجان رحمه الله -- وكان مندوبا لحقانى فى أبوظبي -- كما علمت أيضا أن المجاهدين يقومون بعملية إلتفاف حول الجبل لقطع طريق الإمداد الآتى إليه.

كان ذلك تطورا مثيرا , فالمساحات الجديدة التى سيطر عليها المجاهدون خلال هذا العام -- والاشهر الاخيرة تحديدا - قد أتاحت لهم فرصا أوسع للمناورة العسكرية, ولم أكن اعلم بالتفصيل تطورات الوضع حول تورغار, وكنت أشعر دوما بمسؤلية أدبية فى المشاركه بالحمله على الجبل.
وكما ارتبط تورغار باستشهاد صديقى عبدالرحمن فقد ارتبط أيضا بما كنا نفكر فيه سويا , من الارتكاز على تورغار للقفز على المطار ثم مكب المدينه.
)))

كانت اسرتى قد انتقلت من بشاور الى اسلامى اباد, فمدينه بشاور مازالت متوترة منذ إغتيال الدكتور عبد الله عزام, والمخابرات الباكستانية تسأل عن كثيرين من (كبراء العرب) الذي اختفوا جميعا.
حتى زوجتى عند عودتها من أبوظبى الى مطار بشاور, تعرضت للمسأله والاستجواب والتأخير وهو لم يحدث مطلقا قبل ذلك.
ولما كنت قد فعلت ما يفعله أى زوج مثالى بأن سلمتها كل ما معى من الاموال قبل سفرها من أبوظبى, وكنت وقتها غنيا على غير العادة بعدما تمكنت بعد نضال دام ما يقرب ثلاث سنوات من استلام باقى مستحقاتى من جريدة الاتحاد, التى قامت بتجميد مستحقاتى منذ إغلاق مكتبها فى إسلام آباد, وحتى تستلم تقريرا من سفارة الامارات هناك بتصفيه المكتب رسميا وأن كل الموجودات قد تم توريده بدون أية إختلاسات.
لقد عدنا مرة أخرى الى حى "بشاور مور" المزدحم نسبيا قريبا من سوق الاحد الاسبوعى وخلف الشارع الرئيسى المزدحم بالمطاعم والمحلات الخضار والبقاله, لقد سكنا فى نفس الحى عندما حضرنا الى باكستان لأول مرة وأحببنا المنطقة وتعودنا عليها.
والاولاد الصغار عاثوا فى المنطقة بكل ما أعانتهم عليه شقاوات الطفوله وتسبب لنا ذلك فى عدد من المشاكل الصغيرة التى انتهت دوما باكتساب مزيد من الصداقات ولاطفالنا المزيد من الشعبيه وبالذات "خالد" الذى كان وقتها -- بالنسبه لاصحاب المحلات والدكاكين -- اشهر من الرئيس ضياء الحق.
لذا عندما ظهرنا مرة أخرى في المنطقة تسابق هؤلاء على سؤال أبنى وليد عن أخيه خالد, وعندما أخبرهم أنه قد استشهد فى أفغانستان كانت صدمه للجميع, حتى أن بعضهم قد بكى.
كنت سعيدا بعدوتنا للسكن مرة أخرى فى إسلام آباد, فقد كنت أحد كثيرا تلك البلده الجميله التي بنيت فى غابه خضراء على حافه الجبال.
وفى المقابل كنت أكره مدينه بشاور منذ رأيتها لأول مرة, وحتى آخر يوم فى حياتى, ولا أظننى كنت مخطئا فى ذلك, وثبت صحة حدتى بأن تلك المدينه تخفى بين طياتها من الشرور مالا يعلهم مداه إلا الله.
ولكننى سريعا ما أدركت أن الظروف السياسية قد تغيرت بحيث أصبحت إسلام آباد لا تقل سؤا عن بشاور.
ولم يكن من الفأل الحسن ان أضطرت زوجتى -- قبل حضورى -- الى الاستعانه بالشرطة لأجلاء بعض النساء من اقارب ملك البيت وقد حاول فرض تواجدهم لمدة من الزمن بدعوي أن البيت -- وقد دفعنا أجرته مقدما مدة عام -- هو أكبر من إحتياجاتنا الفعليه.!!
ولكننى طردت وساوس الشيطان عندما علمت أنه ترك لنا جهاز تليفونه فى المنزل بعد أن سدد فواتيره كى نستخدمه أثناء إقامتنا.
وبعد عدة أشهر عادت وساوس الشيطان بشكل مؤكد عندما اكتشفنا أنه -- بطريقه ما -- كان يستخدم نفس الرقم بينما نحن نسدد الفواتير وكانت صدمة أن كدنا أن نعجز عن السداد, وتأتى لنا الفواتير عن مكالمات خارجيه مع دول لا أكاد أعرف موضعها على الخريطة.
لم يقف الامر عند هذا الحد بل كانت فواتير الكهرباء والماء هى الاخرى مبالغ فيها الى حد مذهل, حتى اسميتها "حرب الفواتير."
ولكنى وجدت كثيرين من العرب فى بشاور وإسلام آباد يعانون من نفس الظاهرة, وقد فسرتها أنه عملية "تطفيش" من البلد وأنهم يدفعوننا الى الهجرة.
)))
بقيت عدة أيام فى إسلام آباد عدة أيام مع أسرتى حتي أطمئن علي استقرار احوالهم خاصه مشكله قبول الاولاد فى المدارس العربية, ولم يكن أمامنا سوى المدرسة السعودية التى شأنها شأن المراكز التعليمية والدعوي والطبية السعودية وغيرها من المطالح الحكومية, ليست سوى أذرع للاخطبوط الاستخباراتي السعودى.

وللحقيقه فذلك شأن الدول العربية جميعا , فالمهم الاول للجميع هو ملاحقه مواطنيهم وتجنيد مواطنى الآخرين, في خدمة الانظمة المحلية, والسادة الدوليين. لذا كانت عملية تعليم أولادنا أصعب من العمليات العسكرية فى أفغانستان, كما أنها لم تصادف نجاح يذكر, ومازلنا نعانى من ذلك حتى كتابه هذه السطور.

-فى اليوم العاشر من يناير سقط صاروخ "سكود" /قادم من أفغانستان/ على قربه تدعى "واه" قريبه من مدينه روالبندى -- الملاصقه للعاصمه إسلام آباد.

وذلك أعمق مدى وصلته تلك الصواريخ داخل أراضى باكستان.

كان ذلك العمل دلاله على أزمه خطيره -- فى المجال العسكرى - يمر بها نظام كابل, ولم يكن وقتها غير خوست التى تنامى نشاط المجاهدين فيها الى درجه حد خطيره, وتواترت شهادات النظام أو وجهات دولية مهتمه على أن خوست هى البؤرة الوحيده التي تشكل خطورة فعليه علي النظام بينما دخلت كل المناطق الحيوية الاخرى حيز الهدؤ المريب, وبعضها نتيجه تواطؤ صامت وإتفاق خفى بين الحكومة الشيوعية والقيادات المحلية التى بدأت تتصرف كما يحلو لها وحسب مصالحها الخاصة.

بدأت الحركة صوب خوست فى يوم الخميس 11/1/90 وقد صحبنى ابنى وليد كى يبدأ دروسا في الكومبيوتر فى أحد المعاهد الخاصة في بشاور بعد أن أغلقت في وجهه سبل التعليم العربية, وصلنا الى بشاور فى الثامنه ليلا فتوجهنا الى مكتب جلال الدين حقانى المقابل لخط السكه الحديديه فى نهاية شارع (أبداره رود). كان المكتب شبه خالى لكون المعارك محتدمه فى الجبهه وأن حقانى يباشر العمل هناك فيما بين ميرانشاه وخطوط القتال فى خوست.

أخبرنى عامل المخابرة أن المجاهدين قد هاجموا منطقة اسماعيل خيل غربى خوست وإستولوا هناك علي بعض المواقع, كما أنهم هاجموا جبل تورغار والنتيجه غير معلومة وأن العمليات مستمره منذ السادسه صباحا.

كانت مفاجأة أن أعلم بالهجوم على تورغار فقد كنت اتوقع أن يكون بعد عدة أسابيع, وخمنت أن الهجوم قد فشل لأن نتائج الهجمات السابقه على تورغار كانت تتحدد نتيجتها قبل غروب الشمس ومن المخجل أننى شعرت بالارتياح لذلك الإحتمال لكونه يتيح لى فرصه الاشتراك في الهجوم المقبل على الجبل.

-فى يوم الجمعة (12/1/90 --- 14 جمادى الثانى 1410هـ-) وكتب فى الصندوق الخلفى لسيارة إسعاف متوجهه نحو ميرانشاه, وبها عدد من الاطباء الافغان التابعين للحكومة المؤقته (حكومة مجددى) كى يديروا مستشفى ميرانشاه الذى بقى معطلا بعد أن تركه الهلال الاحمر الكويتى إثر خلافات حادة مع المجاهدين, وكانت الخلافات مبعثها التشدد السلفى لأطباء تلك الهيئة وتعاملهم المتعالى مع الافغان, صاحبنى فى الرحله الضابط الشاب "أعلى داد" وهو ضابط إتصالات يعمل مع حقانى ومن نفس قبيلته.

عندما وصلنا الى بداية المنطقة القبليه فى نهاية مدينه "بنون" وجدن سيارة بيك آب مليئة بالحرس قد أرسلهم حقانى لأصطحاب الاطباء الى مدينه ميرانشاه (على بعد ساعة من بنون.(

أمطرت السماء بشده فتحول الحراس الى الركوب معنا داخل سيارة الاسعاف التي صارت مثل علبه السردين المسلحه بأشواك من بنادق الكلاشنكوف.

توقفت السيارة أمام المستشفى وكان البرد والمطر قد فرض خطرا للتجول في الساحة المقابله والطرق المحيطة, فلم أتبين -- كما هى العادة -- شده المعارك من حجم ازدحام الناس والسيارات أمام بوابه المستشفى.

توجهت بسرعة الى بيت العرب -- وهى مضافة من طابقين تحتوى الكثير من الغرف, سألتهم بلهفه عما لديهم من أخبار الجبهه, فأكدوا لى فشل الهجوم على تورغار وأن تفاصيل باقى المعارك مازالت مشوشه.

توجهت بعدها الي "المكتب الثقافى" وهى غير بعيده عن بيت العرب ويفصل بينهما ساحة متسعة نسبيا وحولها اكداس من البيوت المتراكمه فى قبح معمارى نادر المثال, وقد ملئت الطرقات بالأوحال وبرك من مياه الامطار, وهو ما يجعل المسير فى الطرقات الضيقه, والمستوفه أحيانا عمليه عسيرة, ولكن الميزة الوحيده لتلك الافعال والبرك فى انها تخفى الصفوف الممتدة على جانب تلك الطرق من براز أطفال الحي مع ما يحط عليه من أسراب الذباب السمين والكسول الذى لا يتحرك إلا تحت وطأ التهديد الجدى.

من الغريب ان يكون وسط تلك القاذورات -- مكتبا ثقافيا -- ولكن ذلك هو الحال ومن المفروض أن تكون لمجلتنا الجديده -- منبع الجهاد -- غرفه خاصه فى الطابق الأرضى من ذلك البيت الواسع والذى تشاركنا فيه "الاذاعة" ومكاتبها, وغرفه ضيافه واسعه فى الطابق الاعلى تحتوى على "متحف" من مخلات معركه جاور مع قطع من معدات وملابس وأوراق رسمية لجنود سوفييت وكوماندوز أفغان قتلوا فى تلك الحملة, إضافه الى

خريطة كبيرة مجسمة للقطاع الجنوبى من الجبهة يظهر فيه جبل تورغار, لم يكن أحد من أفراد طاقم المجله موجودا فى المبنى, بل أن أكثر الناس كانوا فعلا داخل الجبهات, فنمت وحيدا فى أحدى الغرف البادرة, ولكنها كانت مليئة بالاغطية, فوضعت فوقى كومه منها, وما أن شعرت بالدفئ حتى رحت فى نوم عميق.

السبت 13 يناير 1990 -- 15 جماد الثانى 1410

منذ الصباح الباكر بدأت فى تحرى أخبار الجبهات فعلمت أن الهجوم على تورغار قد فشل, وأيضا الهجوم على إسماعيل خيل الذى جرح فيه 65 من المجاهدين, ومن قادة الهجوم جرح حنيف شاه -- صديقى القديم -- وإستشهد زميله حكم خان, كانت الاخبار سيئة والوجوه متجهمه, ومازالت تفاصيل ما حدث مجهوله, أخذت فى تجهيز حقيبتى للتحرك الى الجبهه, عندما يصل " حاجى إبراهيم" مساعدى فى العمل فى المجله.

وهو طالب علوم شرعية, وكومندان سابق, من منطقه "زورمات" فى قريه "شاهى كوت" وعمله الرسمى معى فى المجله مترجما , وكان شابا دمت الخلق ذكيا وشجاعا محبوبا من جميع الافغان, لذا فقد ساعدنى كثيرا سواء فى شئون المجله أو فى العمليات التى إشتركنا فيها معا , كما سنرى.

حضر حاجى إبراهيم صباحا , وكان منا سعيدا بلقاء الآخر بعد فترة من الغياب, لم أجد لديه جديدا عما حدث فى المعارك الاخيرة سوى نفس الوجوم والكدر الذى غمر الجميع, فخرجنا سويا الى السوق لنشترى بعض إحتياجاتنا فى سفرنا القادمة الى الجبهة, واشتريت عشرة أفلام ملونه من أجل التصوير, وكنت أحمل فى جيبى دوما كاميرا صغيرة من طراد حديث, وفى أمتعتي كاميرا أكبر مع عدسه مقربه إضافيه وهى أيضا من نوع حديث ولكنها كانت أمانه عندى من صديقى المنياوى.

عندما عودتنا الى المكتب علمنا ان الشيخ حقانى سوف يحضر مراسم دفن الشهيد فى المقبره المواجهه للمستشفى, فأجلنا سفرنا حتى نلقاه, كان الزحام شديدا حول المقبره, التى ازدادت مقابرها بالأعلام الملونه الداله على أن أصحابها من شهداء المعارك, وكان عدد منهم من أفضل أصدقائى القدماء منهم الشهديد عبد الرحمن الصرى, ومولوى أحمد جول ومولوى فتح الله ومولوى شاكرين وغيرهم كثير, أما إبنى خالد فقد دفن فى مقبره أخرى فى منطقه ماتشز حيث يسكن صديقى حاجى إبراهيم, حضر مولوى حقانى وألقى كلمه مطوله فى جموع المحتشدين حول المقبره, تناول فيها مواضيع دينية عن الاسلام والجهاد والشهادة, وحث الناس متابعة الجهاد والصبر على مشاقه, وكانت تلك الفرص مناسبه تماما لتعبئه الناس نفسيا , ورفع معنوياتهم بعد فقد الاعزاء من المجاهدين الذين تعلقت بهم النفوس.

كان المحتشدون من المسلحين ذوى الاجسام النحيله الصلبه والوجوه الملحية العابسه بصرامه, وكل منهم يحمل فوق كاهله من الآلام ملا تتحمله الجبال الرواسى, قليل منهم يبكى أثناء تلك المناسبات وأكثرهم تترقرق عيونه بالدموع, وعن نفسى كنت أفضل ألا أحضر تلك المناسبات متعمدا , بل أفضل أن أراقبها وحيدا من على بعد حتى أدع عواطفى تنساب على سحبتها بدون إعتبار لتواجد الآخرين, فمن المخجل للرجل أن يراه أحد حين يبكى.

ذهب مع أبراهيم قبل العصر إلى مضافه حقانى الملاصقه لمنزله, وكانت عبارة عن صاله كبيره للضيوف, أحد أطرافها يمكن فصل بواسطه ستارة سمكيه فيصبح غرفه صغيرة منعزله, تحف جدرانها المقاعد وتتوسطها طاوله صغيره عليها تلفزيون و يديو, فهى إذن صاله عرض الأفلام التى إلتقطها عدد من المصورين التابعيين لحقانى أثناء المعارك, فى الطرف الاخير من البهو المتسع هناك باب يفضى الى غرفه صغيره بها سريرين وعدد من المقاعد هى مخصصه لكبار الزوار ومرفق بها حمام خاص.

وللمضيف حديقه متوسطه الحجم, معتنى بها ومحاطه بحاجز من الاسلاك لحمايتها من أطفال العائله, الذين يتسللون دوما الى المضيفه ويتعرضون الى زجز الحرس والاقارب, ولكن زهور الحديقه تدفع الثمن غاليا لوصول هؤلاء الاطفال الى المضافه.

قابلنا الشيخ فى المضافه الكبيرة الخاصه بالضيوف, وكان برفقته أخواه إسماعيل, وخليل الرحمن الذى كان مصابا فى كفه على أثر المعارك الاخيرة, لم أتمكن من الحديث مع حقانى الذى تجهز للتحرك الى "بارى" وطلب منى ألقاه هناك.

غادر حقانى المضافه وكذلك معظم الحاضرين, وبقيت مع إبراهيم لإستكمال الحدث مع بعض من حضروا المعارك الاخيرة, وكان منهم مصطفى اليمنى الذى كان مع مجموعته اليمنية فى طرف إسماعيل خيل, وكان

منهم أبو محمد السورى أحد أفراد المجموعة القيادية فى جماعة أبوالحارث وكان فى مركز "أبو الحارث" على الطرف الغربى لسلسة جبل تورغار.
وذلك المركز عبارة عن عدد من المغارات ضيقه المدخل وبعضها متصل من الدخل بقنوات ارتباط, وفتحات المغارات مواجهه للغرب, وذكر أبو محمد أن صاروخ من راجمه BM12 قد أصاب موقعهم فقتل رامى الهاون وزميله.
أما مصطفى اليمنى وكان يقود مجموعة مدعومة من بعض شيوخ اليمن من بينهم الشيخ عبدالمجيد الزندانى, فقال بأنه ومجموعته قد شاركوا فى الهجوم الذى بدأ فى السادسه صباحا على قريه إسماعيل خيل وبدون تمهيد مدفعى حتى تتحقق المفاجأة للعدو.
وقال بأنه مع إرتفاع الشمس كان المجاهدون قد حوصروا بالميليشيات, وفى البداية هرب الرجل من القرية, وبقت النساء تدافع بشراسه حتى أن بعضهن كن يستخدمن مدافع الهاون من داخل أسوار البيوت.
كما أن طائرات الهيلوكبتر هاجمت المجاهدين بشجاعة كبيرة, وقال أن مدفعيات المجاهدين تدخلت وقصفت المراكز الخلفيه لمدفعيات العدو.
وذكر أيضا أن عدد الشهداء كان خمسة فقط والجرحى كانوا 75 جريحا . ولم يكن لديه تفصيل أكثر من ذلك.
ولكن جريده "المسلم" الباكستانية ذكرت فى عددها اليوم أن هجوما للمجاهدين بهدف الفاشل كان 156 شخصا ؛أى ضعف العدد الاصلى تقريبا « وفى الواقع لقد إنحسر كثيرا تأييد الاعلام الباكستانى للمجاهدين, وبعض الصحف أظهرت عداء صريحا , لقد كانت رئيسة الوزراء "بى نظير بوتو" تكشر عن أنيابها ناصعة البياض المتلألئة خلف مصبوغة بلون الدم, وربما كان دم عبدالله عزام.
من بين شهداء الأمس سائق دبابه كان يعمل مع خليل فى قصف جبل تورغار من الخلف (جهه الوادى) وأثناء خروجه من الدباب سقطت قذيفه هاون (120 مليمتر) فوق البرج فقتل السائق فى الحال وأصيب "خليل الرحمن" فى كفه -- كما شاهدنا اليوم.
اليوم وصل أيضا "محب الله" مدير تحرير مجله (منبع الجهاد) التى تصدر بلغه "الباشتو" قدم محب الله من بشاور لتغطية أحداث الجبهة.
"ومحب الله" هو قاضى سابق فى الخمسين من العمر يتكلم الانجليزية بطلاقه ولايجيد العربيه -- تعلم فى الهند عده سنوات, وهو واسع الثقافه وغير "ملتزم حزبيا " لذا كان التفاهم بيننا واسعا , والتناقش معه كان دوما ممتعا ومفيدا بالنسبه لى, وكانت أفغانستان هى موضوعنا المفضل, فكنت أراها -- أى أفغانستان -- هى لغز ضخم لا تنتهى غرائبه وكان ذلك هو رأيه أيضا , لذا دارت أحاديثنا من تاريخها الى جغرافيتها الى أحداثها السياسية وحروبها... إلى إنسانها محور ذلك كله وجوهرة.
الاحد 14 يناير 1990 (16 جماد الثانى 1410ه:(-
فى رحلتنا الى بارى رافقنا الصديق عثمان الصعيدى, وهو شاب شهم فارع الطول قضى سنوات عديدة فى جهاد أفغانستان, كان صديقا مخلصا وهو أكثر من رافقنى من العرب فى الجبهات وخارجها, حتى قال عنه بعض العرب متهكما : "أنه التلميذ النجيب لأبو الوليد" لم يكن الامر كذلك ولكن عثمان كان معجبا بما "إلوكه" من أفكار وآراء حول أفغانستان وما أشبه, وكان يعجب من كساد سوق تلك الافكار, فيحاول أحيانا الدفاع بها قدما فى أوساط العرب, فكانت النتائج دوما عكسيه, وما كان له ينجح فيما فشلت أنا فيه, على كل حال فقد كنت أشعر تجاهه بالإمتنان.
لما كان مركز القيادة مزدحما , فقد توجهنا الى "جبل الترصد" وهو جبل مرتفع على الحافه الجنوبيه الغربية لوادى خوست, يتخذه حقانى كموقع للقيادة فى بعض الاوقات كما أقام فيه مركزا ثابتا للإتصالات اللاسلكية, وفيه يتم التصنت على مكالمات العدو اللاسلكية فى المدينه, وعلى مكالمات الطيران أيضا , وكان ذلك عملا عظيم النفع, إستفدنا منه فى عمليتن ضد المطار بعد ذلك بعدة أشهر, ومن ناحية صحفية أيضا كان ذلك المركز مصدرا فريدا للمعلومات خاصة التفاصيل الدقيقه لمحادثات صانعى القرار.
وكان مسئول اللاسلكى فى الموقع هما "عبد العزيز" وهو ضابط سابق قوى البنية, هادئ ولامع الذكاء, والآخر "فضل" وهو شاب من المجاهدين يتمتع بنفس مزايا صاحبه فيما عدا قوته الجسمانية ولكنه يعوض ذلك بسعة الحيلة والدهاء, كلاهما قدم خدمات جليله للمجاهدين ثم لنا أيضا أثناء عملية المطار.

وفى الواقع فإن زياراتى للجبهه واحتكاكى القريب بالعمل هناك خلال الاشهر السبعه الاولى من هذا العام أفادنى بشكل كبير جدا فى فهم أسلوب عمل المجاهدين, وتفكير قياداتهم -- خاصه حقانى -- والامكانات المتوفره لديهم -- وأن أفهم بشكل أدق أسلوب وإمكانات العدو, وقد مكنى ذلك من كتابه عدد من الدراسات العسكرية حول تلك الموضوعات (سنورد بعضها فى هذا الكتاب.(
كما أفادنى ترتيب وقيادة عمليتنا الاولى ضد المطار, ثم عمليتنا التالية أثناء فتح المدينه في العام التالى (1991.(
قص علينا عبد العزيز أحداث جيده حدثت ليلة الامس (بعد نكسات تورغار وإسماعيل خيل) فقد قصف أحد مدافع المجاهدين مدرج المطار فأصاب طائرة كانت قد هبطت للتو فاشتعلت بها النيران, وكان فى الجو طائرتى نقل تحاولان الهبوط وشاهدا الحدث, فطلبت منهما القيادة الارضية فى المدينه الهبوط لنقل طاقم الطائرة المحترقه الى كابل , فرد أحد الطيارين بأنه لا يمتلك أوامر بالهبوط كما أنه لا يستطيع أن يفعل ذلك بلا حماية كافية, ولكن الطيار الآخر هبط بطائرته ولم يكد يفعل حتى أصابته قذيفه هو الآخر, فاستنجدت القيادة الارضية بالطيار الثالث أن يهبط, فرد قائلا : آسف لن أهبط.
وكان آخر من التقطه عبد العزيز هو قول القيادة الارضية: سنحاول إصلاح الطائرة.
فى الرابعة عصرا جاءنى حاجى ابراهيم راكضا وهو يقول بلهفه إحضر فورا هناك طائرة سوف تهبط في المطار, كنت جالسا مع "عثمان" نراقب المدينه بالمنظار, ونتحدث في أمور شتى, فجرينا صوب عبد العزيز الذى كان يتابع المحادثات اللاسلكية بين الطيار والمدينة, بينما ابراهيم يترجم لنا. كانت طائرة عسكرية قد أصابها عطب وطلب الطيار إذنا بأن يقفز منها بالمظلة, ولكن قيادة المدينه طلبت منه الهبوط في المطار, ويبدو أن تردد الطيار كان راجعا الى خوفه من مدفعيه المجاهدين, ولكنه هبط أخيرا مستعينا بمظله خلفيه لتهدئه سرعه الطائرة فوق المدرج.
أخذ عبد العزيز يستنجد برامى المدفع "محمد بوستان الكوتشى" الذى أصاب طائرتى الامس فوق المدرج, ولكن ذلك إستغرق وقتا , وكم كان مثيرا عندما إشتركت عده اجهزة لاسلكى تصيح بالرامى "بوستان" كى يقصف طائرات النقل التى تعود المجاهدين ضربها في المطار, وكانت قاصفه مقاتله طراز (سوخى - 7) وهو طراز قديم.
بعد فتر انتظار مثيرة, وكان بوستان قد أغلق مخابرته فذهب اليه بعض المجاهدين لتنبيهه الى ما يحدث على مدرج المطار, فبدأ العمل بينها عبد العزيز يصحح له الرمايات, وقد سقطت عده قذائف علي مسافه غير بعيده ولكن الطيار تحرك الى أقصى الطرف الشرقى من المدرج ثم إتجه قليلا الى الشمال حتى صار آمنا من قذائف "بوستان."
بعد ذلك سرت إشاعة بأن سبب إتلاف الطائرة هو صاروخى ستنجر إطلقا عليها دفعه واحده فاصابها أحدها. ولكن آخرون نفوا ذلك وغزوا ما حدث للطائرة بأنه عطل فنى, وذلك ما تأكدت منه بعد أكثر من عام بعد فتح المدينه وقد شاهدت الطائرة بنفسى وتفحصتها وركبت في مقعد السائق, وكان جسم الطائرة مصاب بعد الشظايا الصغيرة -- فى الغالب من نتائج رمايات بوستان التى سقطت قريبه منها.
وبعد الفتح تسببت تلك الطائرة من مصرع واحد من مجاهدى الكوتشى (البدو), فقد إنحشر إثنان منهما فى قمره القيادة وأخذا يعبثان فى كل ما تصل اليه أيديهم من أشياء وفجأة... إنطلق مقعد السائق عاليا في السماء ومعه المجاهدان الفضوليان, وعند ارتطامهما بالارض مرة أخرى قتل أحدهما فور ا وأصيب الآخر أصابات بليغة.
أما صاحبنا الكوتشى البطل (محمد بوستان) فقد أجريت معه حديثا لمجلتنا (منبع الجهاد) وإكتشفت أنه من جماعة صديقنا القديم, الشهيد (عبد المنان), وكان بوستان شابا -- برغم شاربه الكث -- غاية فى الحياء والتواضع بعكس ما يوحى به مظهره من خشونه وقوة بأس.
وقد إستشهد رحمه الله بعد ذلك بعده أشهر نتيجه رمايات مدفعيه العدو, وذلك قرب مدخل "بورى خيل."
ومازلت مندهشا لتلك البراعة الكبيره من جانب العدو الافغان فى إتقان العمل على المدفعية وصواريخ ستنجر رغم عدم تلقيهم لأى تعليم كان.
أثناء الليل أيقضنا الحرس من غرفتنا فوق الجبل كى يسوقون لنا البشرى بأن طائرة نقل للعدو حاولت الهبوط فى المطار فأصيبت بنيران المدفعية وإحترقت وقتل من فيها. وبذا يكون عدد الطائرات المصابه خلال 24 ساعة هو أربع طائرات منها واحده عسكرية. وفى تلك الليالى المقمرة والصافيه يكشف العدو محاولاته فى انزال طائرات النقل الى المطار, وفى الواقع أنه لا يواجه نفس المقاومة العنيفه دائما ... لذا فعنده إحتمال للربح مع

المجازفه, وقد ربح أحيانا كثيره عندما كان يختار الوقت المناسب علي حين غره من المجاهدين وكان ذلك غالبا فى الوقت الواقع ما بين العاشر ليلا والصباح الباكر, وقد افادتنى تلك الملاحظات كثيرا فيما بعد.
الاثنين 15 يناير 1990 (17 جمادى الثانى 1410 ه(-
وصل الى معسكر القيادة فى بارى -- والمسمى مركز خليل -- وصل عدد من الجنود الفارين أحدهم كان فوق جبل تورغار, وأفاد أن نتيجه قصف المجاهدين للجبل أمس قتل 9 أشخاص من بينهم 5 من الميليشيات وثلاثه من الضباط كما جرح تسعه آخرين.
وهناك 6 جثث متناثرة على سفح الجبل لجنود الحكومة منهم فرد من الميليشيا ثيابه بيضاء (!!) لم تتمكن الحكومه من سحبهم.
؛ والذين يرتدون الثياب البيضاء من الميليشيات هم من سكان خوست والقبائل المحيطه بهم ممن لهم عائلات بالمدنيه, والثياب البيضاء تعنى الباهاء والشجاعه والاستقرار فى المنطقه, بعكس حاله الجندى الغريب القذر الخائف.»
ومن أخبار الأمس التى وصلتنا الايام هو إستشهاد أربعة مجاهدين في منطقه بارى نتيجه لقنبله طائرة سقطت فوق مغارتهم فإنهارت عليهم.
؛ وقد مررت على تلك المغارة فيما بعد ولم تكن سوى حفرة واسعة فى جرف ترابى غير متماسك وقد سقطت القنبله على سقفها مباشرة, وكان يمكن أن تنهار حتى بدون ذلك«, وقد كنت مهتما بالمغارات التى يحفرها المجاهدون من الناحية الهندسية ومن الناحية العسكرية, وقد كان للمغارات دور رئيسى فى عمليتنا ضد المطار - - كما سنرى لاحقا.
وكما وفرت المغارات دفاعا هاما للغاية ضد غارات الطيران والقصف الصاروخى إن شبكه الطرق التى بناها المجاهدين في الجبال اكسبتهم مرونه كبيره فى الحركه ويسرت كثيرا عمليات الامداد والتموين لمقاتليهم.
فى الصباح إستطعنا الجلوس مع الشيخ حقانى, فقال أن المعارك قد بدأت منذ شهر ونصف (أى من ديسمبر الماضى) ولكنه اشتدت كثيرا فى الاسبوع الاخير.
وأنه من الافضل لى أن أبقى حتى تنتهى المعارك أما عن المجله فسوف نطبعها فى لاهور, ثم أخبرنى أن اليوم سوف تبدأ معارك بهدف قطع الطريق بين خوست وجاجى ميدان فى نقطتين لمنع عمليات التهريب القادمة من باكستان.
عدنا الي نقطه الترصد, فشاهدنا نيرنا تنبعث من جبال جهه الشمال فى مقابلنا أخبرنا عبد العزيز أن المجاهدين قد إستولوا على عده مراكز عسكرية (بوسطات) فى "ماشغور" وأن الطيران تلقى أوامر بقصفها ولكنه اعتذر بأن هناك أمطار والرؤية غير واضحة, وأن الطيران تلقى أمرا بقصف الطريق بين لوجار وجرديز لتمهيد الطريق لقوة عسكرية كى تمر الى جرديز.
فى الساعة الثانية والنصف ظهرا سقط إثنان من صواريخ سكود, واحدة خلف جبل تورغار (حيث تتوقع الحكومة تحشدات للمجاهدين هناك), والأخرى طرف نادر شاه كوت, الاتربه والدخان المتصاعد من انفجار تلك الصواريخ يكون مهيبا ويرتفع فى الجو مئات الامتار فى شكل عشى الغراب كما يحدث فى الانفجار النووى, كما أن فرقعات انفجارها هى الاضخم بين باقى القنابل والصواريخ.
(أخبار أخرى من ماشغور, فالقتال الذى بدأ فى السابعة صباحا إنتهى ظهرا بالإستيلاء علي ثلاثة بوسطات, ومديريه (مركز إدارى لمنطقة قروية) وأخذوا غنائم كثيره جدا من بينها دبابتين, وقد أسروا جميع الجنود الذين فر منهم أربعة فقط.
الحكومة قالت أنها خسرت كل الاسلحة التى فى المواقع, وأنها استرددت المواقع مرة أخرى فيما بعد عدا المديرية -- ولكن المجاهدين قالوا أنهم فى كل المواقع التى أخذوها.
كانت قمم ماشغور هى الاعلى جهه الشمال كما هو جبل تورغار فى الجنوب والمسافه بينهما من 15 الى 20 كيلومتر فى خط يمر بمركز المدينه وسقوطها مع سقوط تورغار يعنى كماشه ضخمه من فكين فى الشمال والجنوب -- وهو مالم يحدث على ايه حال حتى سقوط المدينه, وكتبت فى مذكرتى وقتها انه بسقوط ماشغور, وعند نجاح عمليات اليوم لقطع طريق التهريب من ا ى ميدان, وإذا سقط تورغار يكفى 70% من مهام فتح المدينه قد تم إنجازه."

لم أكن أعلم أن هناك عملية قريبه ضد تورغار بهدف الاستيلاء عليه, وكنا من وقت لآخر نسمع صوت اطلاق نار كثيفه فوق تورغار وكنت أفسره بأنه نتيجه خوف الجنود وتوترهم, لكن الأغلب أنهم شاهدوا تحركات مريبه قريبا منهم قد كان المجاهدون قبل كل هجوم يعملون خفيه فى نزع الألغام التى زرعتها قوات الحكومه وفتح طريق لهجماتهم القادمة.
اليوم أيضا إلتقط عبدالعزيز مخابرة من توغار الى قيادة المدينه يهددهم فيها بالتسليم إذا لم تصله الامدادات, فالأعصاب إذن متوترة, والإمدادات قليله والاداريات مرتبكه, فهل حانت ساعة السقوط؟
فى الخامسة والنصف "عند الغروب" حدث إشتباك من مسافه قريبه فوق تورغار إستخدمت فيه البنادق الآلية والرشاشات الثقيله وصواريخ .RBG هل هو هجوم حقيقى, أم عملية جس نبض يقوم به المجاهدون؟ أم هو تحرك سريع من جانبهم بعد أن إلتقطوا رسالة تورغار الى المدينه ويهدد فيها بالتسليم؟ وقبل أن أحصل على الإجابه سقط صاروخ سكود فيما بين جبل تورغار وجبل زرمانكى الواقع الى غربه.
وهو منطقه تجمع فعليه للمجاهدين, وتكثر فيها المغارات, وهناك مركز صديقنا "أبو الحارث", وإستخدم الحكومة لصواريخ سكود يعنى أنها تواجه أزمه حقيقيه. ولكن الخوف وتوتر الاعصاب يجعل بعض الاحداث العادية يظهر كأنه خطر حقيقى, لذا كانت بعض استخداماتهم لذلك الصواريخ كان أحمقا وسفيها , ولكن فى أحيان أخرى كانت دقه تصويبهم تثير الاعجاب, فعلى سبيل المثال فقد أصابوا مركز خليل فى مدخل الشعب الضيق المؤدى اليه ثلاث مرات على الاقل بفارق أمتار قليله فى كل مرة " تصادف" فى معظمها أن كان حقانى قد دخل لتوة الى المعسكر (!!) فوجدت فى العسير أن أفترض أنها مصادفه ومن السعير أيضا التشكيل فى قدرتهم على الاصابه الدقيقه للغاية بتلك الصواريخ, وما زالت أشك فى أنهم قد استخدموا -- على الاقل احيانا -- صواريخ موجهه مثل صواريخ كروز الامريكية مثلا وأن الاقمار الصناعية قامت بدور ما فى الرصد والتوجيه.
الثلاثاء 16 يناير 1990
الاستيقاظ لصلاة الفجر فى هذا الشتاء البارد وفوق هذا الجبل المرتفع تجربه صعبه, ولكنه لاتخلوا من جمال, خاصه إذا كان الجو غائما والسحاب منخفض بحيث يضع الجبل ومن فيه وسط غلاله رقيقه ساحرة الجمال من الانجره البارده المبلله.
وتزداد النشوة بإمكانية التحرك الحر فوق الجبل, فالعدو لن يرانا وبالتالى لاقصف ولا يحزنون.
كنا فى غرفه ضعيفه مزدحمه بالفرش والاشخاص وبخارى متهالك للتدفئة, الغرفه كلها تقريبا غائصه فى بطن الجبل قريبا من خط الافق, قطع الخشب المخصصه للبخارى يشغل حيزا ملموسا من الغرفه, وبينه وبين السقف تمرح مجموعة من الفئران الصغيرة المرحه, التى تقضى معظم ليلها فى كر وفر بين النائمين بالغرفه.
الزملاء فى الغرفه تفرقوا مبكرا , وبقيت مع حاجى إبراهيم وعثمان الصعيدى لتناول إفطار الصباح المكون من الشاى الاخضر والخبز اليابس, وإبتسم لنا الحظ بأن وجدنا بعض السكر عند عبد العزيز فتم لنا الاستمتاع بشاى الصباح الساخن فى جو الصباح المتجمد.
صعدت مع عثمان لنلقى نظره علي المطار, كانت الطائرة السوخوى بلونها الفضى تقف قرب الاشجار فى الطرف الشرقى فى المطار, أما في الطرف الغربى فقد أحصيت سبعة طائرات مصابه ومحطمة, جميعها من طراز (AN-32) ذات المروحتين وبألوان عسكرية مبرقشه, كتبت فى مذكرتى بعدها: "بحيرة بجع بائس هذا هو مطار خوست بطائراته المحطمة."
الجو مشرق أحيانا , والرمايات المدفعية متقطعة, حتى الحادية عشر صباحا لم يظهر طيران العدو, أثناء إنشغالنا بمراقبه مواقع العدو, وصل الى الموقع وغادرة بسرعة "الجنرال إمام" ضابط الاستخبارات الباكستانية المسئول عن المجاهدين في قطاع ميرانشاه, والذى يزور مناطق خوست من وقت إلى آخر.
كان هؤلاء الجواسيس يتحاشون المجاهدين العرب, فكان الود مفقودا بين الطرفين, ولكن فى منطقه جلال آباد كان الوضع قد تغير, وكما علمنا فيما سبق أن المخابرات الباكستانية بدأت تتعامل مع عرب جلال آباد كأنهم أحد الاحزاب الافغانية, ولاشك عندى أن هذا سبب إضافى مع كثير غيره لنكسه العرب المؤلمه فى ذلك القطاع الذى شهر اكبر مجزره للتواجد العربى المجاهد فى أفغانستان.
إذاعة كابول أذاعت اليوم بأن الاصلاح جارى فى الطائرة السوخوى المعطلة فى مطار خوست, وأنها مصابه بحوالى 23 شظيه واحده منها فى خزان الوقود.

أبلغ عبد العزيز النبأ للمجاهد "محمد بوستان" الكوتشى الذى شرع فى القصف مرة أخرى محاولا إصابه الطائرة السوخوى.
فى نفس الوقت ظهر عمود من الدخان الأسود الكثيف تصاعد الى الأعلى لمسافه كبيره جدا , وكان ذلك من جهه الشرق, وبما كانت عمليات إغلاق طريق ا ى ميدان.
مرة أخرى تبادل إطلاق نار فوق ظهر تورغار فى الساعة الثانية والنصف ظهرا ثم نقل الينا عبد العزيز الخبر التالى: فى الساعة الثالثه من صباح اليوم هاجم مجاهدى المنطقة الشمالية جبال ماشغور واستولوا على ثمان مواقع عسكرية ومواقع إدارية ومقر عسكرى في (باتشا فراده) واسروا عدد كبير من الجنود وخمسة من أفراد الميليشيات, وتفاصيل الغنائم كثيرة جدا.
وفقد المجاهدون سته شهداء وإثنى عشر جريحا وصلتنا صحيفه باكستانية, التى نقلت عن مصادر حكومية فى كابل قولها أن رئيس الدائرة السياسية فى وزارة الداخلية, الميجر جنرال أسد الله بيام يقوم بزيارة لمدينه خوست التى هى أسخن نقطه فى البلاد الآن, وأنها تتعرض للهجوم الثانى عليها, فالهجوم الذى بدأ الخميس الماضى قد استؤنف يوم الاثنين وأن المجاهدين قد تكبدوا فى تلك الهجمات 585 قتيلا وجريحا (!!) ولم يتطرق المسئول الشيوعى الى ذكر إصابه الطائرة السوخوى.
الاربعاء 17 يناير 1990م
الجو غائم ممطر طول الليل, وهكذا استقبلنا الصباح, إضافه الى مفاجأة آخر وهى أن السيارة التى تحمل الطعام الى المركز لن تحضر لكونها معطله.
وهكذا... لن نفطر وربما لن نتناول طعام الغداء أيضا , لم يمنعنا ذلك من الاستمتاع بهذا الصباح المنعش, وبمتعه التجول فوق الجبل بدون الخشية من أن يكتشفنا العدو. فنحن وهم لانكاد نرى لأبعد من أمتار قليله, نتيجه السحب التى تلف المنطقه كلها.
وكأن الجبال هى التى أصبحت تمر بين السحاب المشغل بقطرات الماء.
ونحن مازلنا أمام البخارى طلبا للتدفئه جاءنا حاجى ابراهيم بخير غريب لكنه سار ومجهول المصدر, يقول الخبر ان اعداد اعلن فى خوست لمدة ثلاثة ايام لمصرع ميجر جنرال عجب خان مزارى قائد "لواء سرحدى" والذى ظل يقاتل فى المنطقه منذ سته سنوات, وأن 15 شخصا آخر قد قتلوا معه والتفاصيل غير معلومه, لقد ادهشنى ليس خبر مقتل عجب مزارى بل أدهشنى أنه مازال حيا ويعمل فى خوست أيضا , لقد كان قائدا للحامية الحكومية فوق تورغار فى وقت أن كان نعمل فى بارى فى أيامنا القديمه وحتى استشهاد عبد الرحمن.

"تورغار... المحاولة الثانية"

الخميس 18 يناير 1990
بدأ الصباح باردا كثيف السحب, وهذه بدورها تثاقلت حتى صارت تجر نفسها جرا فوق الجبال فضعفت الرؤية كثيرا , والمطار يتساقط ضعيفا منعشا لكنه كف لتكون أوحال تعرقل الحركه فى الاماكن الترابية, ولكن الاسوء هو أن ترتوى الملابس من ذلك المطر وفى مثل ذلك الطقس البارد مع شئ من الهواء يمكن ان يسقط المرء صريع الرجفه.
ليس ذلك لمن يجلس مثلنا فى هذا الصباح داخل الغرفه الى جوار البخارى الذى إحمرت أوداجه بالاخشاب المشتعله داخله, ولكن بالنسبه للرجل الذى يتحركون الآن فى ذلك الصباح المبكر من أجل الاستيلاء على أهم موقع عسكري فى معركه خوست كلها... جبل تورغار.
همس لنا عبد العزيز أن اليوم يبدأ الهجوم على تورغار, إستبشرت بالخبر وأعتبرت أن طقس اليوم مناسب تماما لذلك العمل, فالطائرات... العدو الاكثر إزعاجا لن نسمع اليوم صوتها القبيح, والمجاهدون يمكنهم التقرب الى بعد أمتار قليله من خطوط العدو فوق الجبل قبل أن يكتشف تواجدهم.
فى الثامنه صباحا بدأ المجاهدون قصفهم المدفعى ضد تورغار, ومدفعيات العدو فى الوادى تقصف مواقع المجاهدين على غير هدى.
الساعة الثامنه والنصف الشيخ حقانى الينا فى نقطه الترصد وأخذ موقعه الى جانب عبد العزيز ومساعده "فضل" وقد تصبوا عددا من أجهزة اللاسلكى الكبيرة, وقد غطوها وغطوا أنفسهم بأغطية بلاستيكية, فرذاذ المطر ينهمر باستمرار.
أما حقانى وعدد من مساعديه فيستخدمون عددا من أجهزة اللاسلكى الصغيرة للإتصال بالوحدات المختلفه, وكانت تلك هى المرة الاولى التى أشاهد فيها حقانى عن قرب وهو يقود واحده من العمليات الكبيرة, لقد تغير الوضع كثيرا عما كان عليه فى عام 1981 وهى آخر مرة أشاهد فيها حقانى يقود عمليات ضد القلعه الحكومية فى مدخل وادى ليجاه, وكان تسلحيه الشخصى يومها عبارة عن كلاكوف -- وكان سلاحا لا يحمله إلا الروس فقط -- وقد غنمه أثناء المعارك, وكان يحمل دوما قاذف RBJ, لمقاومه طائرات الهيلوكبتر.
ومازلت أذكره يوم دب الزعر والفوضى فى معسكرنا بين شعاب ليجاه نتيجه "ركوب" الهيلوكبتر لموقعنا فقد صعد فوق الجبل القريب يتبعه حارسه الشخصى "على جان" كى يطلق صواريخ RBG على الطائرات, كان الثبات تحت هجمات الهيلوكبتر أمرا عسر المنال وقتها فقد كان لها تأثيرا كبيرا ورهبه, فلم يكن الناس قد تعودوا التعامل معها أو نجحوا فى مقاومتها رغم وجود صواريخ "سام" باعداد قليله وقتها, لذا كان هم وحقانى وقتها بث الشجاعة والثبات فى الرجال وتحطيم هيبة الهيلوكبتر ومقارعتها بالصواريخ لتحطيم هيبتها فى النفوس وقد نجح فى ذلك الى حد كبير.
فى ذلك الوقت فى ليجاه لم يكن فى الموقع كله أي جهاز لاسلكى صغيرا كان أم كبيرا , وأيضا معركة اور كانت أحد أوجه ضعف المجاهدين فيها عدم وجود إتصالات لاسلكية بين المجموعات المختلفه, فقد كان هناك جهاز واحد كبير فى القاعدة للإتصالات البعيده, وليس مع المجموعات العاملة.
لقد كان ظهور أجهزة اللاسلكى الصغيره أحد التأثيرات الايجابيه للتواجد العربى فى أفغانستان وفى ظنى أن جميع تلك الاجهزة التى دخلت أفغانستان إما أن العرب زودوا بها المجاهدين مباشرة أو أنهم مولوا عملية شرائها.
ما أراه شبكه اتصالات رائعة لاقدرة على ربط جميع الوحدات ببعضها وبالقيادة, وأيضا القدرة على التصنت على اتصالات العدو الارضية والجوية.

كان الزحام شديدا فى نقطه الترصد -- والقيادة -- فالإضافه الى الحرس الشخصى للشيخ حقانى , هناك مجموعة أخرى مع سيارة خاصة لتنفيذ بعض المهام التى قد يكلفون بتنفيذها فجأة مثل متابعة أمر هام مفاجئ, أو إيصال بعض الاوامر بشكل مباشر بدون نشرها على الملأ فى أجهزة المخابرة.
وزاد الزحام تطفل مجموعتنا "الصحفية" التى رافقنى فيها عثمان الصعيدى وحاجى إبراهيم, وقد أخذنا نسجل معظم الإتصالات اللاسلكية - وكذلك فعلنا فى عدد من المعارك التالية, ومازلت أحتفظ بتلك التسجيلات التى ربما صارت "تاريخية."
فى فترة هدوء نسبى قال لى الشيخ: الرؤية غير جيده بالنسبه للأسلحة الثقيلة والدبابات, ولكن الجو الممطر والضباب صغير للمهاجمين فوق الجبل.
كانت الملاحظة فى محلها تماما بل أن إستمرار هذا الطقوس قد حرم المهاجمين على الجبل من مساعدة الاسلحة الثقيله, فكان عليهم أن يتعاملوا بمفردهم مع تحصينات قوية جدا لعدو مسلح حتى أذنيه, ومتفوق عدديا على المهاجمين, وتلك كانت مأساة ذلك اليوم الذى تمنيت أن يكون يوم الفتح.
الساعة 9.30 صباحا الضباب يزداد وكثافه والمطر مستمر, فهدأت الرمايات القليله فوجدت فرصه لاستئناف الحديث مع حقانى, فسألته عن تأثير الاستيلاء على تورغار فى مجرى معارك خوست فرد قائلا:
هذا الجبل بالنسبه لهم مثل العين, يرصد تحركاتنا, ويوجه المدافع والطائرات ويضرب مواقعنا, فإذا أخذناه زال كل ذلك فيمكننا تقديم مدافعنا الى الامام وتحديد مواقعهم حول المطار وضربها, كما أن الرعب سوف يصيبهم إذا أستولينا على تورغار, فمن كثرة دعايتهم حوله وتبجحهم فى امكان صد المجاهدين عنه, جعل الناس عندهم من عسكريين ومدنيين يشعرون أن تواجدهم وحياتهم معلقه بهذا الجبل.
ثم سألته عن سبب فشل عملية إسماعيل خيل الاسبوع الماضى فذكر ثلاثه أسباب هى:
-1 عدم قيام الاحزاب المشاركه فى العملية بالمهمام الموكله له. 2- استشهاد وجرح قادة المجموعات الاربع التى تقوم بالهجوم. 3- انسحاب الدبابات (وكن عددها ثمانية) بدون أوامر وإثر إصابه قادة الهجوم.
وقال حقانى أن الطائرات قد استخدمت مؤخرا قنابل ثقيله جدا سقطت أحداها قرب دبابة فغطتها النيران.
وعن مصير عجب مزارى قال أن الاخبار غير مؤكده ولكن مصادرنا فى خوست تؤكد أنه قتل ولكن تتكتم الأمر, كما أن مواقع ماشغور مازالت فى أيدى المجاهدين.
قال حقانى بأن المجاهدين يتقدمون الآن فى الطرف الغربى بجبل تورغار, بينما تقوم دبابه خليل فى الوادى بقصف تحصينات العدو على تلك الحافه, ولكن العدو إستفاد هو أيضا من الظروف الجوية, ودفع بتعزيزات جديده نحو الجبل, رغم كمائننا المتقدمة التى التفت من إلى خلف الجبل من جانبه الغربى وتقدمت الي مسافه معينه, فلم تستطع تلك الكمائن أن تشاهد تعزيزات العدو أو تتصدى لها.
فى الساعة العاشرة والخمسين سقط صاروخ سكود تلاه صاروخ آخر بعد عشر دقائق قرب جبل تورغار -- ولكن لا إصابات, ولكن تكهرب الجو وساد التوتر عندما انقطعت الاتصالات مع خليل (أخو حقانى) ودبابته فى عمق الوادى الذى يقصف بها من الخلف تحصينات تورغار, لذا كانت دبابه خليل تحت نيران كثيفه قاتله.
الساعة 12.45 دقيقه فى غرفه عبد العزيز الضيقه شبه المظلمه جلسنا مع حقانى لتناول طعام الغداء, وكان قلقا للغاية على أخيه خليل, لذا قطع تناول الطعام كى يتابع محاولة الاتصال.
--الساعة 12.45 بدأت معركه بالرشاشات فوق سفح الجبل, الرمايات كثيفه جدا تسمعها بوضوح, (يقع مركزنا على بعد 4 كيلومتر غرب تورغار والى الجنوب قليلا منه.(
للمجاهدين دبابه أخرى الآن تقصف , تحصينات الحافه الغربيه بجبل تورغار ولكن من موقع على جبل زورمانكى الواقع غرب تورغار ومن أحدى هضابه منخفضه الارتفاع.
أثناء صعود المجاهدين نحو القمه يكون جزءا من الطريق مكشوفا لمدفعية العدو فى العادى, وقد ركز العدو رمايته على ذلك الجزء ولكن المجاهدين كانوا قد تجاوزوه والعدو غير منتبه نتيجه الغيوم والضباب الذى يلف الجبل وما حوله.
الزاحفون نحو القمه يشكون من رماية رشاش ثقيل لدى العدو (زيكوياك) وأنه أوقف زحفهم ويطالبون من "فيروز" التدخل وإسكاته...
فأجابهم خليل بصوته, لقد بذلت غاية جهدى ورميت عليه كثيرا , فتقدموا أنتهم وإسكتوه.

كان المتكلم من فوق الجبل هو "الدكتور نصرت الله قائد كتيبه سلمان الفارسى وهو بتحرك بساق واحده منذ سنوات بعدما فقد الآخر فى أحد المعارك.
كان نصرت الله قد وصل الى نقطه الذروة, فالباقى هو واحدة واخيرة يكون بعدها مع رجاله فى خنادق الخط الأول للعدو والتى تحيط بقمه الجبل مثل السوار المحكم, وفى طرف الجبل تلك القمة المحصنه الرهيبه الشبيهة بغرفه ضخمة تخرج منها فوهات قاتله لرشاشات ثقيله, وقاذفات قنابل يدوية من النوع الشهير باسم (نارين اك) وهو سلاح غاية الفعالية فى مثل تلك المواقف التى نشاهدها الآن, وكان ينقص المهاجمين إمتلاك سلاحا رائعا من ذلك النوع.
تواصل الحوار لفترة بين نصرت الله "ونيروز" حتى بدأت رماية الرشاشات فوق الجبل تخفت... فعمت الجميع مسحه من الحزن والألم, لقد وصل المهاجمون فوق الجبل الى نهاية مغلقه, ولا يتسطيعون أداء قفزتهم الأخيرة التى لاتتعدى أمتار قليله لاتزيد عن عشرة أمتار ولكنها تفصل بين النجاح والفشل, بين النصر والهزيمة -- بين فتح خوست فى نهاية الامر, أو البقاء فى حلقه مفرغة قد تؤدى الى هاوية لمسيرة جهاد إستمر لاكثر من إثنى عشر عاما.
ساد نوع من الصمت الجنائزى فوق الجبل وما حوله وحتى جميع المواقع الاخرى هدأت هدأة الموت. وكان على حقانى أن يعالج ذلك الموقف الحرج, فأمسك بجهاز المخابرة كى يتوجه بخطاب عام لجميع الوحدات المقاتله, وللجماعة المهاجمه فوق الجبل بشكل خاص.
وتكلم الشيخ بنبره هادئه قوية فذكرهم بالله والاعتماد عليه وحده وعدم التعلق بالاسباب لأن النصر هو من عند الله وليس بالأسباب الظاهرية, وطالبهم بالاطمئنان الى وعد الله والتوكل عليه.
وقال أنه لا بد من الاستمرار وإنهاء العمل هذا اليوم الذى قد لا نجد مثله فيما بعد فلا طائرات ولا مدافع تعمل ضدنا, ثم طلب من أفراد جميع المواقع أن يصلوا ركعتين لله ثم يدعوه أن ينصر المجاهدين.
أنهى حقانى كلمته وتوجه الى الصلاة وكذلك فعل كل من فى الموقع ثم إنهمك الجميع فى الدعاء... واحيانا فى البكاء.
الساعة 3.12 المجاهدون فوق الجبل يبدأون إطلاقا شديدا للنيران الرشاشه مع قدائف مضاده للدروع ورشاش (زيكوياك) لدى العدو يصمت فجأة وأيضا ينقطع الاتصال اللاسلكى مع المهاجمين تصورت وقتها أن الاقتحام قد تم وأنها الآن دقائق عصيبه فوق الجبل حيث لاوقت لأن يتحدث أحد مع أحد بغير زحات الرصاص.
المجاهدون يقصفون مراكز العدو فى شيخ أمير لمنعه من التفكير فى مهاجمة دبابة خليل من الخلف -- وهو ما كان يخشاه حقانى ولأجل ذلك بث كمائن متقدمه للدفاع, وحدث إنفجار ضخم فى مواقع العدو فى شيخ أمير وحقانى يصبح مشجعا المجاهدين ويبشرهم بالنصر.
عاد الإتصال اللاسلكى مع المهاجمين فوق الجبل وقالوا بأن عشرة من جنود العدو قد فروا الى جانب المجاهدين فأمر حقانى بإرسالهم الى الخلف.
وفجأة تظهر طائرات الهيلوكبتر وتقصف وابلا من الصواريخ على الحافه الغربية لجبل تورغار حيث تتوقع وجود المجاهدين, فالرؤية مازلت متعذرة بسبب السحب والضباب , هيلوكبتر آخر تأتى على إرتفاع منخفض من فوق مراكز العدو فى شيخ أمير فى أتجاه دبابه خليل, وتبدو أنها محاوله لتدمير الدبابه, لكن كمائن المجاهدين المتقدمه واجهتها بقذائف RPJ فولت الطائرة بسرعة كبيره وعلى إرتفاع منخفض للغاية ؛وهكذا تفعل طائرات الهيلوكبتر لتفادى الصواريخ المضادة للدروع فيمكن إسقاطها إذا كان هناك أفراد يقظون وعلى استعداد للإشتباك.»
راجمات الصواريخ المعادية من طراز BM-41 تقصف مواقع المجاهدين حول تورغار.
--الساعة 3.56 رشاشات العدو الثقيله والخفيفه فوق الجبل ترمى بلا إنقطاع وجعلنى ذلك متشككا فى أن الاقتحام لم يتم أو أنه فشل, كان الموقف غير واضح بالنسبه لى, فسألت الشيخ حقانى عن الموقف فوق الجبل فأخبرنى بأن مقاومة العدو شديده جدا.
سقط صاروخ سكود تلاه صاروخ آخر يفصل ثوان ى قليله, وعاد الهيلوكبتر تقصف الحافه القريبه لتورغار بوحشيه بالغة.
--الساعة 4.45 صاروخ سكود آخر تلته غارة عنيفه بالهيلوكبتر, كأنها تستغل حالة الاضطراب التى تعقل إنفجار صاروخ سكود كى تنفذ مهمتهم بأمان أكثر.

الرشاشات الثقيله فوق الجبل مازالت تعمل بإتصال, وكذلك بنادق الكلاشنكوف.
الساعة 5 الهيلوكبتر تواصل غاراتها, وربما تهبط خلف الجبل من جهه المدينه كى تنقل الجرحى والقتلى, أصبح الجو مظلما وجاء الخبر بأن الهجوم قد توقف, وأن هناك شهداء لم يذكر عددهم.
-الساعة 5.25 فى فوق تورغار إطلاق نار متواصل بجميع الاسلحة فى خفل إبتهاج بفشل الهجوم عليهم, ونجاحهم مرة أخرى فى الصمود أمام هجمات المجاهدين لاشك أن ذلك يرفع معنويات فى العدو فى خوست وكابل ويؤكد لهم إمكانية النظام على الإمساك بالمدن الهامة, وبالتالى يدعم الطرح الدولى بإقامة حكومة (شيوعية/ إسلامية) في كابل كى تخدم السوفييت وأمريكا معا.
كتب في مذكرتى تلك الكلمات: «يبدو أن العملية تحتاج الى يوم آخر على الاقل. مع إجراء بعض التعديلات مثل إعادة توزيع الدبابات لقصف مراكز العدو المتحصنه فوق الجبل, والطقس عامل هام, وإستمراره ليوم آخر -- بنفس الحال -- سيكون معجزة لصالح المجاهدين.»
سألت حقانى عن إستئناف الهجوم فى الغد فأجالب قائلا :"أعلم هل نستأنف الهجوم غدا أم بعد أيام ولابد أن نغير فى الطريقه ونهجم من أكثر من طريق بعد أن نرفع الألغام, وأن نستخدم هاونات عيار 120مليمتر لضرب مرابضى الرشاشات الثقيله, سوف نعيد النظر في البرنامج.»
بعد الغروب جلس الشيخ حقانى معنا فى غرفه عبد العزيز لبعض الوقت وطلب منى النزول الى مركز خليل لأن الجو هنا بارد, وبالفعل تجمعنا هناك فى مغارة الضيافة وكانت دافئة, وبعد العشاء بدأ أفراد وقادة ممن شاركوا فى الهجوم يتوافدون لمقابلة حقانى وتقديم التقارير اليه.
كان منهم من أصحابنا القدماء مولى "أليف جول" والكومندان "شرين جمال" الذى ظهر عليه الإرهاق وقد علته الأتربه حتى تغيرت ملامحه وقد أحضر معه جثث الشهداء وعددهم ثلاثة, مع أربعة من الجرحى منهم عربى واحد.
قال شرين جمال بأن بعض أفراد العدو ظلوا يطلقو على المجاهدين نيران الرشاشات والقنابل اليدوية وقذائف آر بي جي فلم يستطع المجاهدين إتمام الإقتحام.
الجمعة 9 يناير 1990
قضينا الليله فى غرفه أسفل الجبل, وفى الصباح صلينا الفجر خلف الشيخ نظام الدين. وجود البخارى فى المسجد لم يفد جعله دافئا فالهواء المثلج يتسلل من الشقوق الوسعة فى النوافذ التى أغلقت بكل ما تيسر من أقمشه وقطع بالاستيكية وأحجار.
ولا ظهار نوع من الفخامة صنعت أرضيه المسجد من الاسمنت, ولكنها فى شتاء مثل هذا تصبح بارده مثل الجليد, حتى أن أكثرنا قد خلع رداءه (البتو) من فوق كتفيه ووضعه على الارض تحت قدمية حتى لا تتجمد أصابعه.
مصطفى اليمنى وعدد من أفراد مجموعته إلتقوا بالشيخ حقانى صباحا.
ملامح البرنامج الجديد ذكرها لى حقانى عند لقائى معه فقال:
-1سنفتح طريق جديد للتقدم على تورغار وننظفها من الألغام.
-2ننوى مواصله الضغط وعدم إعطاء العدو فرصه لالتقاط الانفاس.
-3سنبدأ عمليات هجومية فى ظروف يومين أو ثلاثه.
قبل الظهر مرت طائرة فوق المركز ورمته بصاروخ جاء فى الخلف قليلا , ثم وصل (خليل الرحمن) ومعه أربعة أسرى من جنود الحكومة فجلست معهم وأخذت منهم بعض المعلومات عن أوضاع المدينه, سأذكر بعض ماورد فيها بعد قليل.
جاء أبو الحارث وبعض الشباب من مجموعته فجلست معه حتى صلاه العصر نتحدث فى معركة الأمس والبرامج المقبله.
ثم صعدت على الجبل الذى يعلو المغارات وتمشيت عليه منفردا , أنظر الى العالم القديم لأيامنا الذهبيه فى تلك المنطقه, كان مركز خليل الذى هو الآن قلب المنطقه النابض, مجرد شعب مجهول ومهمل وقد تستخدمه أحدى المجموعات لأيام قليله ثم تزهد فيه.
وعلى بعد كيلومتر واحد جنوبا يوجد مركز منان الذى كان فيما مضى هو مركز الحيوية والقوة في كل جنوب خوست وجبالهم وعلي بعد عده أمتار شمالا كانت تقف فيما مضى أحدى الدبابات التى حطمها منان ورجاله في

هجوم 1985 الذى وصلت فيه القوات الحكومية الى مركز منان لأول وآخر مرة فى طول مدة الحرب, وهذا الحفر البيضاء فى سفح الجبل المواجه لنا شمالا هى قنابل طائرات مازلت أذكر متى ولماذا ضربتنا بها الطائرات عام 1987.

نظرت جهه مركز منان لاطالع الطريق المار بقربه قادما من غلام خان, وكنت أتذكر المشاهد الماضية وكنت غارقا فى تلك الذكريات الجميلة, ولا أعى كثيرا مما حولى فى تلك اللحظة, فظهرت أمام عينى كرة ضخمه من النيران الصفراء والحمراء, ثم دخان أسود يحيط بكرة اللهب, ثم يصعد ذلك كله بسرعه هائله الى الاعلى, بينما يتسع الى الجانبين أيضا بشكل كبير, كل ذلك وأنا لا أكاد أعى ماذا يحدث أمامى, وفجأة وصلنى صوت إنفجار رهيب ترددت إصداته بين الجبال والوديان, تحركت غريزيا وبلا وعى فجلست بسرعة خلف صخرة قريبه...

أفقت من خيلاتى ومن دهشتى, وعادت حواس الى العمل, لقد كان ما رأيته هو صاروخ سكود لحظه إرتطامه بالارض, وأن الصاروخ نزل على الطريق الذى تسلكه سيارات المجاهدين أو قريبا منه جدا.

وتذكرت أننى سمعت "على جان" يتحدث على المخابرة وهو واقف الى جانب سيارة حقانى المتأهب للرحيل ويخبر من على الطرق الآخر بأنهم على وشك الحركه, وأن شخصا جاء راكضا وتكلم عدة دقائق مع حقانى الجالس داخل سيارته, ثم إنطلقت السيارة نحو ميرانشاه, وداخلني ما يشبه اليقين بأن تلك الدقائق كانت الفاصل بين الحياة والموت وأن حقانى هو المقصود بذلك الصارخ, ؛إنه حادث طبق الاصل لما حدث في يوم الاحد 1/10/89 وقد سجلته في مذكرتى ورجعت اليه الآن وكان التطابق مدهشا «, إذن هما حادثين من نفس النوع وبنفس الطريقه, وهناك حادث ثالث عندما إنفجر صاروخ سكود أيضا فى لحظه دخول حقانى الي معسكر عندما دخلت خلفه كرة من النيران والأحجار والدخان والاتربه لقد إنفجر الصاوخ في المدخل تماما بفارق ثوانى عن دخول الرجل الى المغارة, هذه ثلاثة حوادث -- اعتبرها محاولات إغتيال متعمدة -- لصعوبه أن أصدق أن المصادفه يمكن أن تقع ثلاث مرات بإسلوب واحد أو متشابه.

وطرحت على نفسى عدة أسئله محيرة ليس لا إلا إجابات لاتقل عجبا عن الحدث نفسه, فمثلا : كيف تتم مراقبه حقانى؟ هل يتم ذلك بمراقبه جهاز اللاسلكي الخاص به؟ أم هناك مركز تجسس فى المنطقة يتابع حركة سيارته, أم هناك شخصا فى المجموعة القريبه منه يرسل معلومات مباشرة وفورية عن حركته؟...إلخ

وأسئله أخرى عن دقه إصابه صاروخ سكود, والمشهور عنه أنه غير دقيق ويستخدم فقط ضد الاهداف الكبيره الثابته, ولكن عددا لا بأس به من الرمايات كانت فى دقه غير عادية, وتم ذلك مرات متكرره بما ينفى عنصر المصادفه.

فهل أدخل الروس فى تلك المرحلة صواريخ موجهه بعيده المدى؟ خاصة وأنهم منذ سنوات قد إستخدموا قذائف موجهه بعيده المدى؟ خاصه وأنهم منذ سنوات قد أستخدموا قذائف موجهه تطلقها الطائرات, بل شاهدنا منذ وقت قريب قصفا جويا على موقع المجاهدين قرب "شيخ أمير" قال الطيار أنه إستخدم فيه صواريخ موجهه, (وقد إلتقط عبد العزيز المخابرة.(

ومن الثابت أن السوفييت بعد إنسحابهم أبقوا على نوع من المشاركه النوعية فى الحرب, بعضها من داخل أفغانستان نفسها بواسطة عدة آلاف من الخبراء خاصة فى شئون الصواريخ والطيران, واشركوا طائرات من أحدث الانواع التى مازالت فى طور التجربه, وقد أعلنوا عن ذلك عن عرض طائراتهم الحديثه فى أحد معارض الطيران فى دبى فى التسعينات, وأظن أن بعض الغارات بالقنابل العنقودية, -- والتى شاهدتها فى وادى خوست عامى 1990,1991 عن فتح المدينه قامت بها قاذفات إستراتيجية روسية نظرا للحمولة غير العادية التى رمتها تلك الطائرات بحيث غطت الغارة الواحده اكثر من 15 كيلومتر متواصله من القنابل العنقودية.

(عدت ليلا الى ميرانشاه مع عثمان وإبراهيم وابو الحارث, وزكى (وهو مجاهد باكستانى تخصص فى تصوير المعارك عانى فى نهايات الحرب من شظيه أصابت رأسه.»

كان فى مضافه حقانى كبير من كومندانات المعارك كان الجميع يستمعون الى إذاعة خوست الى أقامت مهرجان لما اسمته الانتصر الكبير فى تورغار.

وكان غريبا أن تذكر إذاعة خوست صديقى عبد الرحمن وتتباهى بأنهم قتلوه منذ سنتين فوق تورغار ووصفوه بأنه كان خبيرا مصريا فى الاسلحة, ثم ذكر الراديو معسكر النساء الارامل فى منطقه (ناصر باغ) قرب بشاور وحاول إثارة غيرة الافغان على نسائهم هناك مع الغمز واللمز فى سوكيات العرب, ثم إستدار على الى الفجوة المذهبية وطعن فى العرب بأنهم وهابيون وكل نفس التهمه لعدد من قادة المنظمات منهم سياف.

(ولكن ماذا قال لنا الجنود الاربعة الذين التحقوا بالمجاهدين وقت معركه تورغار؟ ... كان الحديث منهم مفيدا لكون معنوياتهم مرتفعه فرحا بنجاح عمليه الفرار, والشئ المشترك لامثال هؤلاء بمن قابلناهم فى تلك المرحله وحتى نهاية الحرب هو المعنويات المرتفعه والحماس للجهاد حتى أن ذلك الحماس إنتقل الى المجاهدين أنفسهم, فقد كانوا يبشرون بقرب إنهيار الجيش.

وكان الاسرى يعملون فى معسكر تدريبى ملحق باللواء الثانى الحدودى وهم أمام مالى, ومحمد دين وهو من بدخشان, ثم غلام سخى من مزار شريف ومحمد هاشم من ميمنه عاصمة فارياب, وصلوا جميعا الى خوست منذ شهرينضمن فوج جاء من كابل للتدريب وعددهم 165 فردا فر منهم حتى الآن 65شخصا.

وقد نزلت بهم الطائرة وسط قصف المجاهدين, وقفزوا منها بسرعة وإستدارت فورا عائدة من حيث أتت.

عن عجب خان مزارى قالوا انهم لايعرفونه ولكن سمعوا أنهم ذهبوا الى كابل, ولا يدرون إن كان جريحا أو قتيلا.

محمد دين قال أنه كان فى المستشفى عندما وصلته 16 جثه من قتلى معركه تورغار وما حوله وأن الجرحى كثيرون, وأن المواد الغذائية فى المدينه قليله جدا.

وعن معركه ماشغور قال الجنود بأن 15 من كبار ضباط الحكومه قد قتلوا هناك منهم مدير الاستخبارات (خاد) ومدير الامن ومدير شئون القبائل, وحسب معلوماتهم فإن المواقع هناك مازلت فى أيدى المجاهدين وأن الحكومه مازالت تقصفها.

وعن معركه اسماعيل خيل قالوابأنه أثناء المعركة ف ر كل سكان المنطقه وما حولها والجنود والميليشيا ولم يتبقى هناك سوى المدفعية وأن المجاهدين لو إستمروا فى المعركة ساعتين آخريين لإستولوا علي المدينه ذاتها.

وقالوا بأن قتلى الحكومة فى تلك المعركة كانوا كثيرين, وأن ثلاث طائرات قد ملئت بالجثث ونقلتها الى كابول وذلك بعد يومين من المعركه.

وعن تورغار قالوا بأن المجاهدين قد نجحوا قبل المعركتين الاخبرتين على تورغار من قطع طريق الامداد الخلفى, خاصه بعد أن إنفجرت الالغام فى مصفحه وسيارة نقل الماء فى أواخر ديسمر الماضى, ومن يومها ومعظم مداد الجبل يتم على الاقدام وتحت جنح الظلام.

(لأول مرة أقابل صديقى القديم مولوى حنيف شاه بعد معركه اسماعيل خيل التى جرح فيها (فى 11يناير) كانت المقابله فى المكتب الثقافى فى ميرانشاه يوم الاثنين 29 يناير, كان حنيف شاه (37 عاما) غاضبا وأن أطرافا أخرى خذلته فى المعركه, فقد كان برنامج الهجوم واسعا يشمل مناطق فى جنوب الوادى, الى جانب الهجوم على إسماعيل خيل الواقعة شمال شرق قرية "دراجى" الشهيرة, والمهمة الاخيرة كانت من نصيب حنيف شاه على الرأس قوة من حوالى 650 مجاهدا تساندهم دبابتان, وكان المفترض أن يتقابل هجوم الجنوب مع هجوم شمال الشرق فى نقطه عميقه داخل أراضى العدو فتسفر العملية عن أقتطاع مساحة واسوة من المناطق الريفية فى غرب الوادى.

قال حنيف شاه أنهم إستطاعوا تحقيق إختراق بعمق ألف متر داخل القرى حتى وصلوا الى منطقه صحراوية منبسطه تدعى (توراغوراى) وإستولوا على سبع مواقع عسكرية, وأنه كان ينوى الإستمرار الى قريه (ساجى) الواقعة على بعد, كم فقط من المدينه وقد تهيأ للقفزة الاخيرة عندما جمع رجاله فى مجرى نهر (دندر) -- وهى كلمه تعنى مجرى ضحل جاف يمتلئ أحيانا -- ويبدأ حنيف شاه من البداية كى يقول بأن الليله كانت مقمره وأنه تحرك مع رجاله ليلا , فبدأوا فى إزلة الألغام لفسح الطريق للمهاجمين بعد الغروب, وكان يجب البدء فى الهجوم مبكرا قبل أن يكتشف العدو وجود الدبابات, لذا بدأ المجاهدون المعركه.

فى الخامسة والنصف صباحا عندما اتضحت لهم الرؤية, يقول حنيف شاه: حددنا الاهداف للمجاهدين وكان عليهم ضربها بصواريخ -- RBJ بمعدل خمسة صواريخ لكل هدف -- بعدها تتقدم الدبابات للهجوم وخلفها المجاهدون.

كان الكومندان حكم خان يترأس منتى مجاهد, وقد بدأت برماية الصواريخ وعند رماية الصواريخ الرابع تقدم قليلا فإنفجر لغم تحت قدمه فسقط جريحا فنتقله من معه الى الخلف ثم إلى ميرانشاه فيما بعد, وكان حكم خان قائدا شجاعا محبوبا وأحدث جرحه صدمه وزلزله فى صفوف المجاهدين فى ذلك الوقت العصيب أخذ حنيف شاه وباقى القادة تشجيع المجاهدين وقالوا لهم ؛ليس المهم هو حكم خان بل المهم أن نستكمل الهجوم قبل أن تشرق الشمس ونقع جمعا في الاسر.»

وفى ظرف نصف ساعة سقطت كل البوسطات التى كان يدافع عنها العسكر والميليشيات, وتعمقنا كثيرا فى مناطق العدو, فإتصل حنيف شاه مع حقانى قائلا : لقد وصلنا توراغوراى كيف حالكم انتم? (أى هجوم الجنوب.(كان ذلك الإتصال فى العاشرة صباحا , ورد حقانى عليه قائلا : نحن هنا فى مشكله فدبابات الجنوب معطله, والمشاة لايستطيعون التقدم بسبب الألغام, وإضاف حقانى: عليكم التمسك بالمواقع التى وصلتهم إليها.
ويبدو أن هجوم كان ينبغى أن يلتقى مع حنيف شاه قريبا من (توراغوراى), أما وقد توقف هجوم الجنوب فإن العدو هو الذى يقع على الجناح الجنوبى لقوات حنيف شاه, وهو موجود أيضا الي الشمال منه كما فى المواجهه, كل ذلك فى مناطق مفتوحه ما بين صحراوية أو زراعية, لذا رد على حقانى قائلا : لا يمكننا ذلك فنحن قريبون من المدينه والعدو له مواقع علي جانبين, وقد حدث ما يخشاه حنيف شاه, ففى الساعة الحادية عشر بدأ الهجوم المعاكس للعدو, شاركت فيه طائرات الهيلوكبتر والدبابات وأعداد كبيره من المشاه, وإنسحب عدد كبير من المجاهدين بدون أومر من قيادتهم.
وهنا خطر حنيف شاه ألا يتحول موقفه الى تراجع صرف الى الخلف ليعود من حيث أتى بلا نتيجه للهجوم, فخطر له أن يتحول الى الهجوم على العدو الواقع على جناحه الجنوبى, فى الوقت الذى يقوم به مجاهدى الجنوب الذين تعطلت دباباتهم وأوقفتهم الالغام بإستئناف هجومهم علي نفس الاهداف, وبذلك يقع الجناح الجنوبى للعدو تحت وطأة هجوم من طرفين, فيكسب المجاهدون مناطق جديده ويؤمن حنيف شاه جناحه الجنوبى (الايمن.(
وكان القرار قد شارك فيه القادة ميرشادى خان ونظام الدين وقد وقفا الى جانب حنيف شاه وهو يتصل مع حقانى كى يبلغه الخطه الجديده, وأثناء الحديث عثرت قدم حنيف شاه بلغم سلكى فإنفجر فتسبب فى جرح حنيف شاه والقائدين الآخرين, وبهذا يكون القادة الاربعة للهجوم قد أصيبوا, فانتهى الهجوم الى الفشل.
كان تقدير حنيف شاة للعدو بأنه ضعيف جدا , وأن السبب الأساسى فى الفشل يرجع الى عدم تنفيذ الهجوم الجنوبى, وعدم موافقه حقانى على تحريك الدبابات على ذلك المحور.لقد كان حنيف شاه عاتبا بشده على حقانى, لكنه ظل دوما وفيا لأستاذه القديم فى المدرسه الحقانية الدينية التى كان يتلقى علومه بها قبل الجهاد.
وفى نهاية لقائى معه أخبرنى حنيف شاه بأن القوات الحكومه قد إستعادة المواقع التى خسرتها فى ماشغورى وبدلك تحسن وضعها فى الشمال كثيرا.
من هو حنيف شاه?
شاب فى السابعة والثلاثين, متوسط القامة نحيف الجسم, قوى الجسم ,حاد الملامح. من قبيله تاناى فى غرب خوست من ولاية باكتيا, من مواليد قرية لاغورى.
التعليم: 3سنوات فى مسجد القريه -- ثم مدرسه لاكن الدينه -- ثم مدرسه إسماعيل خيل (التى هاجمها القوة) -- ثم درس 3 سنوات فى مدرس منطقه فخرى في زدران وكان أستاذه هو مولوى نظام الدين (نائب حقانى حاليا , شقيق الشهيد مولوى فتح الله) ثم درس فى المدرسه النظاميه فى ميرانشاه -- باكستان -- ثم مدرسه أنجمن القرآن فى مدينه تل -- باكستان -- ثم 3 سنوات فى المدرسه الحقانى فى اكورة ختك فى باكستان, كان حقانى أستاذه فيها لمده سنه.
ثم إنتقل لتلقى العلوم الدينية فى مدرسه (أكبر دار العلوم) فى باكستان أيضا ثم ترك الدراسه وذهب أفغانستان وعندها رقع الانقلاب الشيوعى (27/4/78.(
فعاد الى مدرسه (نارياب) فى باكستان ولكن كأستاذ هذه المرة وظل يدرس هناك لمدة سته أشهر, ثم ذهب الى السعودية لأجل العمل لمدة سنتين ثم عاد ليلتحق بالجهاد تحت إمره إبن عمه "شاكرين جهاديار" الذى كان يعمل فى الجهات التى يقودها حقانى...
بعد إستشهاد (شاكرين أكدت قيادة المجموعة الى حنيف شاه بأوامر من حقانى وذلك فى عام 1982, وكانت أول الجهات التى عمل فيها هى جبهة ليجاه, وقد قام بكمين مشهور ضد القوات الحكومية فى عمق وادى خوست الى الخلف من "غوند مالانج" وقد أوردنا تفاصيله فى موضع سابق.
وشارك حنيف شاه فى معارك كثيره جدا أهمها:
معركه فتح حصن بارى, فتح موقع دبجى الحدودى) معركه شهرناو..معركه منطقه ميدان الحدودية, معركه فتح ساتى كندو, فتح منطقه تاناى, معارك نادرشاه كوت ودوامندو, معارك فتح لاكان, فتح الاروجون, معارك منطقه انى خيل, معركه فتح دراجى عام 89...)جرح حنيف شاه مرتين جروحا بسيطه فى الذراع والرأس.
؛ وقت كتابه هذه السطور فى يونيه 1988 يعمل حنيف شاه فى قوات حركة طالبان فى كابول وخوست.»

)))

(فى أواخر يناير علمت من أصدقائى في أبوظبى أن جريده الاتحاد لم توافق على نشر سلسله المقالات التى تركتها هناك قبل سفرى فى ديسمبر الماضى وهى ست مقالات تحت عنوان ؛ بين المطرقه السوفيتيه والسندان الامريكى (ماذا يحدث فى أفغانستان) «. منذ البداية كان يساورني شك فى أنهم سينشرونها, وبسبب الحقائق الميدانية التى تحتويها المقالات فإنها بلا شك كانت أقوى هجوم على السياسة الامريكية تجاه أفغانستان, فى وقت كانت أمريكا تصور نفسها على أنها الصديق الأوفى للشعب الافغانى, والمنتصر الأوحد فى تلك الحرب.
كان فى مكاتب جريدة الاتحاد عددا من الصحفيين اليساريين بفئاتهم المتنوعة.
وقد سبب لى عدد منهم بعض المشاكل هناك, وأثاروا بعض الهمز واللمز عن دور من يعملون فى قضيه أفغانستان فى التعاون مع الولايات المتحدة, كعملاء بالطبع, وكان اليساريون وقتها يقفون فى خندق واحد مع السوفييت ضد الاسلام والولايات المتحدة, ولكن بعد هزيمه السوفييت فى أفغانستان وقف معظم هؤلاء اليساريون فى خندق واحد مع الولايات المتحدة ضد الاسلام.
من بين من تعاملت معهم فى "الاتحاد" كان الصحفى المصرى " عبد العال الباقورى" هو الوحد الذى شعرت إزاءه بالاحترام -- رغم أى خلاف فكرى -- فقد كان يتمع بأخلاقيات وشجاعة الفارس, ولا غرو فهو من صعيد مصر. وربما هو الذى كان وراء نشر مقالات تلك بعد تردد دام خمسه أشهر تقريبا.
(فى اليوم الأخير من يناير عدت الى ميرانشاه بعد جوله فى بشاور وإسلام آباد دفعت فيها العدد الاول من مجله "منبع الجهاد" لأحد المطابع فى العاصمة .
جلست فى مضافة حقانى مع أبو الحارث, الذى أخبرنى أن أوساط الشباب العرب فى بشاور تحتج على مشروع حقانى بإصدار مجله عربية -- ويقولون بأن ذلك هو خطوة أخيرة قبل إعلانه تشكيل حزب سياسى, ولكن الذى إستحى أبو الحارث أن يذكره هو أن تلك الحمله قد نالتنى بكل سؤ وبأننى وراء انحراف حقانى وجره نحو قوه غربيه كافره تنوعت الاجتهادات فى تشخيصها بالتحديد.
كان أبو الحارث مهتزا من وطأة الهجوم لكونه هو الآخر يتعرض لحملات نتيجه علاقته مع حقانى وقتاله مع مجموعته فى خوست تحت قياده حقانى.
وجاء حرس في موضعه, وعندما فرغت من دفاعى من أن حقانى لاينوى ولايستطيع أن يشكل حزبا لكون باكستان هى المتحكمه فى هذا الموضوع ولأن حقانى رجل جبهات ومعارك, ولايمكنه ن يترك القتال كى يجلس فى باكستان, كى يمارس تلك القاذورات التى تمارسها الآخرون.
فقال أبو الحارث أن أخاه الاكبر قد جاء من الاردن كى ينصحه بترك حقانى!!
وعائله أبو الحارث إخوانية عريقه, ولكن الشاب العنيد رفض هذه الأوامر الابوية التى يظلم عن يقين أنها أوامر التنظيم الدولى أو النظام الدولى لافرق. ثم سألته عن تلك الحملة التى يشنها "بيت الخدمات" فى بشاور ضد حقانى وأخبرته عن شاب سعودى جاء يطلب منى النصيحه فيما سمعه من مسئولى ذلك البيت وأنهم طلبوا منه عدم الذهاب الى جبهات القتال عند حقانى وعدم إرسال أى تبرعات إليه -- إلا تحت إشراف سياف -- لأن حقانى يسعى الى إنشاء حزب جديد لنفسه.
فأجاب أبو الحارث بأن الشباب الذين يأتون الآن الى الجهاد لايستطيع أحد أن يسيطر عليهم, وخلال إجازاتهم القصيره يركضون هنا وهناك بحثا عن معركه فيوما فى خوست وآخر فى جلاآباد وثالث فى قندهار.
وذكر بأنه كان حاضرا جلسات مؤتمر الحركات الإسلامية والذى عقد فى لاهور قبل إغتيال الدكتور عزام, وأنه -- أى الدكتور عزام, قد هاجم بعنف وقسوة الحركات الاسلامية لسلبيتها تجاه الجهاد فى أفغانستان, وكذلك فعل الشيخ الزندانى, ولكن مجلات الاخوان وغيرهم لم تذكر شيئا من ذلك, وفى الحقيقه فإن وزن عبد الله عزام منفردا كان أثقل وأهم من جميع الحركات الاسلامية فى العالم.
ولاشك عندى فى أنهم قد تنفسوا الصداء بإغتياله, وأن الدموع التى جاءت بها أعين منافقه كثيره, كانت دموع فرح. فقد خلت الساحة من فارس البندقه كى يمرح فيها أبطال الألاعيب القذرة.

(فى الثالث من فبراير كنت قد قضيت يومين فى إنتظار وأبحث عن حاجى ابراهيم الذى إختفى فجأة معطل أعمالى وذهابى الى الجبهة.
ولكننى إكتشفت أن اليوم هو الجمعة, فذهبت للصلاة فى مسجد المهاجرين القريب من مضافه حقانى, وبعد الظهر إنهيت كتاب ربتشارد نيكسون الرئيس الامريكى السابق والمسمى (عام 1999... نصر بلا حرب) وكتبت فى مذكرتى معلقا علي الكتاب بأنه أهم كتاب قرأته منذ سنوات ثم كتبت عدة تعليقات على الكتاب, كانت المضافه هادئة وعدد الزوار قليلون كما هى العادة يوم الجمعة, فكان عندى وقت بعد الفراغ من الكتاب أن أتأمل خريطه لمنطقه خوست وهى خريطه رسمها أحد الضباط العاملين مع حقانى بهدف توضيح المناطق القبلية والمراكز الادارية.
ودار فى رأسى شريط الاحداث للمعارك الاخيرة, قد فشل هجومان متتاليان على تورغار إضافه الى فشل فى إسماعيل خيل غرب الوادى.
إنها بداية متعثرة للعمل العسكرى هذا العام, أما المطار فرغ الخسائر الكبيرة للعدو فى الطائرة إلا أنه مازال ينجح فى الهبوط, والمطار يبقى أياما طويله بدون أن يهتم أحد به من المجاهدين, وفجأة يتذكر الجميع فيقع المطار فى أزمة وتقع خسائر الطائرات إنها حالة يمكن تسميتها "بملاريا الطائرات" أى موجات من الحرارة المرتفعة الى حد الاشتعال تعقبها برودة الى حد التجمد لكن خسائر العدو كبيرة وحالة الحصار قلت كميات الطعام والذخائر ومستشفى المدينه بئن من إزدحام حالات العسكريين حتى أن البقاء فيه يحتاج الى واسطه الضباط الحزبيون وحدهم لهم حق البقاء فوق الاسرة لاستكمال العلاج, أما غير الحزبيون أو الجنود فالعناية بهم ناقصه والجنود ينتزعون من فوق أسرتهم ويلقون فى عرض الطريق ويتهمون بالثمار فى حتم لو كانت أعضاؤهم ممزقه.
أما الاهالى والميليشيات المحلية فلا أمل لهم فى تلقى العلاج الكافى غير أقراص ملونه يستلمونها على باب المستشفى بدون فحص.
فماذا لو تعرضت خوست لهجوم شامل يستهد تورغار والمطار ومناطق أخرى, وأن يتزامن ذلك مع أزمه صحيه عامه فى المدينه تجعل المئات -- أو الآلاف -- يتدفقون على المستشفى فى حالات مرضيه إضافه الى إصابات الحرب التى يضيق بها المستشفى ويعجز عادة عن معالجتها, بينما المطار مغلق فلا دواء يأتى ولاطائرات تنقل مصابين أو جثث كبار الضباط.؟
الحل قد يكون فى تلويث مصادر المياه فى المدينه بشكل غير قاتل ولكنه يكفى لخلق أزمه صحية عنيفه, هناك خزان رئيسى للمياه الحكومية ينتقل بالأنابيب الى منطقه المدينه الحديثه والهيئات الحكومية والسوق.
ثم هناك نهر شمل الذى يستخدم أساسا للزراعة ولكن قد تلجأ اليه السلطات الحكومية لتوفير مياه الشرب إذا عرفت بفساد خزانها الرئيسى.
أما من تبقى من السكان فى القرى -- وكلهم تقريبا -- من العاملين فى سلك الميليشيات الحكومية, فهم لايعتمدون على أى مصدر خارجى للمياه, فلكل منزل ريفى بئر خاص به داخل فنائه المتسع جدا عادة.
خزان المياه فى المدينه يمكن الوصول اليه بواسطه "متعاونين" يعملون هناك لصالح المجاهدين, أما بالأجر أو المكافأة أو تطوعا.
فيتبقى النهر الضحل قليل المياه -- فيما عدا فترة الربيع -- وهذا يمكن إمداده بكميات مناسبه من المبيدات الحشرية التى تمنع إستعماله بأن تجعله سببا لمشاكل معوية شديده.
فى التاسعة ليلا حضر الشيخ حقانى, وكان لم يصل العشاء بعد فأدى الصلاة مع أربعة من مساعديه, وبعد أن فرغ منها جلست معه على إنفراد وعرضت عليه المشروع على الفور -- ووافق على أن أبدأ منذ صباح الغد فى التنفيذ, سنشترى المبيدات اللازمه وأحضر من بشاور عددا من العرب, ونتولى إتلاف مياه النهر بالترافق مع هجوم شامل على المدينه -- وسنبحث عن مادة ملائمة لخزان المياه الرئيسى.
وصلت الى بشاور فى الساعة الرابعة عصرا فى اليوم الرابع من فبراير. لقد عاد لى شيئ من حماسى القديم الذى كان فى تلك الايام الخالية فى بارى والمطار.
كنت أفكر بعمق في كيفية التنفيذ, وكونت فى ذهنى فكرة أولية عن كيفيه القيام بالجزء المناطق بنا فى العملية والخاص بإتلاف مياه النهر لفترة محدودة تمتد من قبل القيام بالهجوم العام بقليل والى أن ينتهى الهجوم الذى لا يستمر عادة لإكثر من يوم أو يومين على الاكثر.

إستطعت العثور على أبو حفص, وكان مازال يعمل فى الخفاء هو وأبو عبيده وغيرهم, كانوا يتوقعون أن تعتقلهم السلطات الباكستانية فى حملتها التى بدأت بإغتيال الدكتور عزام تم تلفيق إتهام "لمحتسب" بمحاولة تفجير طائرة ركاب.
وبعد أن شرحت له المشروع الجديد فى خوست طالبا المساعدة فى تنفيذه, نصحته أيضا بأن يتحولوا من الدفاع -- والهروب -- الى الهجوم وذلك برفع دعوى قضائية علي الحكومة الباكستانية وتكلفه محامى بريطانى أو أوروبى للدفاع عن محتسب ذلك لأن إحترام الباكستانيين للإنجليز عظيما جدا.
وخشيتهم من الرأى العام الاوروبى أشد من خشيتهم لله تعالى, وعليهم عن طريق الصحف وجمعيات شجيمه أثارة الرأى العام المحلى لكون القضيه واهية للغاية والتناقض المضحك واضح فى التصريحات العلنيه التى ادلى بها رجال شرطه وإستخبارات باكستانية وتلفيق القضيه لايحتاج الى دليل, ثم نصحته بأن يغلقوا مكاتبهم فى بشاور وأن يتواجهوا الى خوست فى مدة لاتتجاوز الاسبوع تحسبا من وقوع عمليات إغتيال أخرى تقوم بها السعودي وباكستان ضد جماعتهم التى يترأسها أسامة بن لادن الذى لا ترتاح اليه حكومته السعودية بل مازال محتجزا هنك غير مسموح له بالسفر منذ غادر جلال آباد.
أخذنى ابو حفص الى مبنى اسموه (المعهد الشرعى), قال أن دفعات من الشباب يتلقون فيها تعليما شرعيا فى شكل دورات, والآن تتخرج احدى هذه المجموعا, وبعد أن تستلم هؤلاء شهادات التخرج دعيت لإلقاء كلمه عن الوضع العسكرى فى خوست والحاله السياسة للقضية الافغانية.
وحين وصلت الى نقطه السيطرة على القرار السياسى للجهاد الافغانى بواسطة المساعدات الاقتصادية والعسكرية التى تقدمها أمريكا والسعودية, فبدأت أسئله بريئة وتلقائي عن القرار السياسى لتنظيم القاعدة وفى يد من هو توقفت عند هذه النقطه لعدم الاختصاص.
ثم أوضحت لابو حفص أننى فى حاجه سته أشخاص كى يعملوا معى كمجموعة فى مشروع "الحرب الكيماوية!!" فطالبنى بالانتظار حتى الغد كي يبحث الموضوع.
(فى اليومين التاليين تعرضت لنقد عنيف, مع غمز ولمز, ثم سخرية وإستهزاء من جانب عدد من كوادر جماعة الجهاد المصرية بسبب إقدامى على إصدار مجله "منبع الجهاد", وموضع النكته عندهم هو أن الجهاد قد توقف تقريبا بينما نصدر مجله "لجمع الاموال !!" وإقترحوا أن نسميها" آخر شغطة."
فى اليوم التالى إصطحبونى حتى إسلام آباد, واداروا نفس الاسطوانه حتى كدت أن افقد أعصابى وإنفجر فيهم لكن الله سلم, وكان أحدهم هو الذى تم تكليفه بالعمل فى المشروع الكيماوى, وكان يدعى "أبو طلحه" وهو شاب قوى وممتلئ بالحيوية ذو طابع عملى, وفى الواقع أن هؤلاء الشباب رغم سلبياتهم التى تبعث على اليأس, إلا أن مزاياهم الإيجابيه نادرة فعلا , خاصه فى زماننا هذا.
(يوم السبت العاشر من فبراير كنا فى الطريق من إسلام آباد الى بشاور فى الصباح الباكر, كان أبو حفص يقود سيارة بيضاء قديمه وكنت الراكب الوحيد معه وكان يقود بهدؤ حتى نتمكن من الفراغ من موضوعات هامة نناقشها سويا ومما قاله أبو حفص أن أفضل ايامنا فى أفغانستان هى أيام كنا نقرأ كثيرا ثم نعمل كثيرا فى الجبهات وأن قراءتنا العسكرية والسياسية قد أفادت مجموعتنا كثيرا وقد هيأهم ذلك لأداء مهام قياديه في الجماعات التي إلتحقوا بها ثم اقترح أن أتولى عملا مثل ذلك بالنسبه للشبابا الجدد.
قلت له بأن عملى فى المجله الجديده هو تقديم جرعة من المعرفه بالساحه الافغانية والدولية, حتي يستطيعوا إداء دورهم المنتظر الذى يمكن أن يكون حاسما ولصالح المسلمين وليس أعدائهم.
أما عن برنامج من القراءات والعمليات فى الجبهة فلا يمكن القيام به بشكل جيد إلا لمجموعة محدودة, ويمكنني أن أجعل مركز ذلك المشروع فى بارى لنبدأ هناك عمليات ذات برنامج خاص لتلك المجموعة.
كنا قد توقفنا لتناول الشاى فى مطعم على الطريق يقع على شاطئ نهر اندوس عند التقائه بنهر كابل فى منطقه ساحرة الجمال. فكانت أحاديثنا وجدائية وتلقائية لذا رد أبو حفص على إقتراح قائلا : أن تنفيذ ذلك الاقتراح يعنى أن يطعن البعض قائلا بأننا نساعدك تكوين تنظيم خاص بك (!!), وإضاف بأن أبو عبدالله (أسامه بن لادن) قد تغير رأيه فيك بعد الدورة التى أعطيتها فى ميرانشاه ثم بعد الاوراق التى نشرتها فى بشاور عن معركه جلال آباد, كانت, المرة الأولى التى أعلم فيها أن هناك خشيه بأن أكون "صاحب تنظيم" وهى فكره قمئه لم تخطر لى ببال, ولكننى سمعتها بعد ذلك عدة مرات, أما غضب ابو عبد الله منى الى الآن فكان أمرا غريبا فقد كنت أظنها أحداث قد انتهت.

الاحد 11 فبراير 1990
وصلت ميرانشاه ومعى عدة نسخ من العدد الاول لمجلتنا منبع الجهاد, جلست مع ابو الحارث فى المكتب الثقافى, وقد أخبرنى أن حقانى على وشك الوصول من منطقه خلدن الحدودية -- داخل أفغانستان -- حيث يعقد عدد من القادة من منظمات مختلفه إجتماعا طارئا لمعالجة مشكله محافظ لوجر. ولكن الحكومة المؤقته والاحزاب فى بشاور لم تتحرك, فكانت المبادرة من حقانى للبحث عن حل ذاتى من بين قيادات الداخل, وقد وصلت الانباء بأن القادة المجتمعون قد قرروا إرسال 200 مجاهد لدعم مجاهدى لوجر, وكان حقانى يخشى أن تحاول القوات الحكومية أن تواصل تحركها من جرديز الى خوست عن طريق "منجل" فيشتت ذلك مجهودى العسكرى ضد خوست.
وبنحول جزء كبير من قوته للدفاع عن ذلك الطريق الطويل, وهو أمر يحتاج الى تخصيص جزء كبير من الامكانات البشرية والمادية, ولابد أن يضعف ذلك مجهوده القائم فى خوست التى كانت تترنح فعليا ويترنح تبعا لذلك مستقبل النظام فى كابل بل ومستقبل المشروع الدولى -- الامريكى -- فى أفغانستان, لقد كان حقانى هو المصدر الاساسى لذلك الخطر, لذا كان أمنه الشخصى فى خطر.
فقد تلقى حقانى تهديدات من بعض تجار منطقه القبائل الذين تضرروا من عمليات التضييق على تهريب البضائع الى خوست.
ومنذ اشهر قليله احبطت محاولة لتفجير سيارته اثناء توقعنها بين بنون وميرانشاه أمام حاجز مرورى, فقد لصق احدهم بها قنبله مغناطيسية موقته.
وبينما كان نتحدث عن تلك الموضوعات لم نكن ندرى أنه فى نفس الوقت تقريبا كان حقانى يتعرض لمحاولة إغتيال جديده, وأصيب سيارته بعده طلقات, وكان يمكن أن يصاب حقانى لو أنه إحتفظ بمكانه التقليدى فى السيارة من المقعد خلف السائق -- ولكنه كان قد بدل موقعه فى السيارة بعد خروجهم من صلاة العصر من مسجد على الطريق.
لم يقص لنا أحد ذلك الخبر المزعج فى نفس اليوم فقد تكتم حقانى ورجاله على الامر, وبعد وصولهم أدخلوا السيارات فورا فى مرآب السيارات, وعلمنا بالموضوع فى عصر اليوم التالى وشاهدت مع أبو الحارث ثقوب الطلقات فى الجانب الايمن للسيارة وعندما شالت حقانى بعدها عما حدث وهل هو حادث مرير أم لا, قال أنها مجرد مصادفه لأن فى نفس المنطقه قبيلتان فى حاله عداوة وإشتباكات, وأن السيارة الأمامية فى موكبه قد توقفت صدفه عندما إنفتح فجأة غطاء محركها اثناء المسير فنزل السائق لإغلاقه فإنهمر علينا الرصاص لأن أفراد كامنون من القبيله المعادية ظنوا اننا قو مهاجمه, وقد طاردهم رجالى ولكنهم فروا فى الجبال.
لم تهدأ شكوك بطمأنه حقانى, بل ظننت أن سائق السيارة الامامية لا يستبعد أن يكون هو الآخر متآمرا , ومن السهل عليه فتح غطاء السيارة أثناء تحركها والغريب أن إختار موقعا فوق احد الجسور على الطريق بحيث يصعب مناورة الاختباء على من خلفه وهى سيارة حقانى وحراسه, وقفذ إلى ذهنى قصف حقانى بالطائرات فوق مركز القيادة وأسفل منه, وبصواريخ سكود فى مركز خليل وفى الطريق المؤدية اليه, حتى أننى سمعته بنفسى عندما اشتعل حولنا الجبل بالقذائف العنقودية واشتعلت حولنا الاعشاب الجافه والاشجار حتى اخذنا نسعل من الدخان, لقد صاح بأن هناك جاسوس يرصد حركتهم, وصرت لا استبعد هذا الاحتمال بل أرجحه.
الثلاثاء 13 فبراير 90
اخبرنا حقانى أن كل التدريبات قد اتخذت لبدء العمليات فى الجبهة وأنن سوف نغادر اليوم الى بارى, وغصت دار الضيافه بعشرات من الكومندانات, بينما جلس حقانى فى غرفه داخليه صغيره وكان يستدعى المنتظرين فردا فردا أو فى مجموعات صغيرة وينهى معهم الموضوعات المتعلقه القادمه, كان حقانى يبدأ مثل تلك الاجتماعات بعد أن ينهى صلاة الضحى فى السابعة صباحا.
إستمر ذلك النشاط حتى بعد صلاة الظهر, وتناول الجميع طعام الغداء قبل ذلك, فى الثالثه والنصف بدأ تجهيزات الحركه, إستعدت سيارة حقانى ومعها سيارتان للحرس مع قافله كبيره من سيارات "بيك آب" تحمل مجاهدين وكومندانات وذخائر كان المنظر مهيبا , وخرج حقانى ومعه أخواه خليل وإبراهيم, وعدد من أبنائه الصغار خرجوا لتوديعه, وعلى باب البيت وقفت أمه العجوز وهى تمسك بيدها مسبحتها الكبيرة وتمتم بالدعاء وتجمع الاطفال الصغار بين السيارات وتدفعهم الى داخل البيت وهى تؤنبهم بشده, بينما بعض الاطفال يحاول التعلق بالسيارات والذهاب مع آبائهم الى الجبهه, فاضطرت الجده العجوز الى الامساك بعصاه طويله ومطارده الصغار

وساعدها بعض الحرس فى إبعادهم عن عجلات السيارات, وعندما بدأت السيارات فى الحركه رفعت الجده العجوز يديها الى السماء وإستغرقت بالدعاء وقد إغروقت عيناها بالدموع.
نقاط الميليشيا على الطريق لا توقف الموكب سوى لثوان معدوده, فالسيارة المقدمة تتولى شرح الموقف وتقديم المستندات والتصاريح اللازمه, إلى جانب بعض الاموال بطبيعة الحال.
بعد أن عبرنا المركز الحدودى الاخير فى غلام خان توقفنا الي جانب جدول الماء للوضوء والصلاة, ثم إستأنفنا المسير فى الوادى المتعرج بين الجبال, فأوقفتنا غارات الطيران مرتين, مرة غارة بالطائرات النفاثه وأخرى بالقاذفات المروحية الثقيله.
إستغرقنا فى الطريق وقتا أكثر من اللازم ولكن وصلنا -- بحمد الله -- سالمين ودخلنا الى مسجد معسكر خليل للحاق بالمصلين فى صلاة المغرب خلف مولوى نظام الدين -- نائب حقانى.
وبعد الصلاة إجتمعنا فى المغارة العليا, وقدم نظام الدين تقريرا عن أحوال الجبهه لهذا اليوم المشمش فلم يكن غير ضربات الطيران المستمرة منذ الصباح ولكن لاخسائر فى الارواح, ثم حدثه حقانى عن إجتماع خلدن وتحرك المجاهدين صولب لوجار.
صلينا العشاء فى مسجد المعسكر, وهناك قضيت الليل البارد فوق الارضيه الاسمنتية, وفى أمثال الايام المزدحمة يكون الفوز بغطاء من علامات رضاء الوالدين ودعواتهما الصالحة... وقد فزت بغطاء, فحمدت الله كثيرا

الاربعاء 14 فبراير 90

إستيقظنا علي أذان الفجر, فى خارج المسجد كانت الارض عبارة عن بساط من الثلج المتجمد الذى من الصعب حفظ التوازن فوقه, ثم توضأنا بماء الجدول المثلج فإحمرت الوجوه والاطراف وإنبعث فينا النشاط نتيجه الرجفات المتوالية التى إجتاحت أبداننا, بعد الصلاة صعدنا للقاء حقانى فى المغارة العليا, فحملت متعتى وصعدت الطريق المتعرج الصاعد الى المغارة, وكان الجليد مازال منبسطا على الرطق الصخرى الضيق وفجأة حصلت على ما أسميه "سقطه كامله" وهى تحدث عندما يجد الانسان قدمه التى وضعها فوق الارض وقد إرتفعت فجأة الي أعلى من مستوى الرأس, وهو الأمر الذى يؤدى الى إنبساط الظهر بالكامل فوق الارض, وما يصحب ذلك من صوت الإرتطام الذى قد -- ور بما -- يصحبه صوت تأوه مع أصوات ضحكات ممن رأى المشهد المثير, إعتدلت تم واصلت المسيرة عندما تأكدت أن أيا من عظامى لمم يصبه العطب.
كان النهار مشرقا وذلك فى الجهات نذير شؤم وشر مستطير من غارات الطيران.
أفطرنا مع الشيخ حقانى شايا بالحليب -- مشروبنا القو مى -- وعسل نحل من جبل زدران المباركه, وصل خبر من عبد العزيز من مركز اللاسلكى والترصد والقيادة -- فقال بأن صاروخي سكود سقطا علي منطقه دير ملك ولكن أحدا من المجاهدين لم يصب بأذى, وكذلك إستهدف الطيران نفس المنطقه بعده غارات لم تسفر هى الاخرى عن خسائر -- كانت بداية ساخنه جدا لنهار مازال فى ساعته الأولى: هناك ساحة مواجهه لغرفه مبيت حقانى التي هى مغارة صغيرة ملحق بها فى نهايتها مخزن صغير ذو باب حديدى مثل أبواب الزنازين, وهذه الزنزانه تستخدم كمخزن للأشياء الهامة جدا , وهى متصله بواسطة باب صغير بمغارة الضيوف.
فى الساحة التى غمرتها أشعة الشمس, وجدت صديقى العزيز مولوى عبدالحليم جالسا مسندا برأسه الى الحائط الصخرى خلفه, وعلى وجهه إبتسامته الطيبه التى لاتكاد تفارقه فى كل الظروف, يذكرنى ذلك الشيخ الطيب بجبل تورغار, ومآسية, فهناك فقد ساقه اليمن وهو يحاول إنتشال شاب عربى إستشهد وسط اللغام بعد محاولة لم تكلل بالنجاح لإقتحام الجبل العنيد. حاول الشيخ أن ينهض لمعانقتى, ولكننى منعته وعانقته وهو جالس وقبلته فوق رأسه, ولم نليث حتى إجتمع عدد كبير من قيادات الجبهة فى الساحة الضيقه وقد توسطهم الشيخ حقانى والى جانبه مولوى نظام الدين, والشيخ عبد الحليم, وكان الحديث عاما عن المعارك مع التوصيات بالثبات والجهاد, ولم يتطرق الحديث الى تفاصيل المعارك الوشيكه, وإنصرف التجمع وبدأت لقاءات ثنائية بين حقانى وعدد من الكومندانات الكبار.
وصلت طائرة إستطلاع مروحية على إرتفاع شاهق فوق منطقتنا وأعقبتها غارات جوية عنيفه عل المنطقة من مركز خليل الى منطقة تورغار, وإستمر ذلك الهم حتى غروب الشمس.
تناولنا طعام العشاء فى المسجد, وقد وصل ضيفان جديدان من العرب أحدهما أبو محمد السورى -- من جماع أبو الحارث -- وبرفقته شاب سعودى أراه لأول مرة.

الخميس 15 فبراير 90
شعرت بالسعادة بالغة وأنا أسمع صوت مؤذن المعسكر وهو ينادى لصلاة الفجر فذلك يعنى بالنسبه لى إنتهاء ليله من المعاناة وإنتظار إنتهاء الليل, فالمكان يحاكى فى برودته مغارة فى القطب الشمالى.
إقترح أبو الحارث أن تصعد الى مغارة الشيخ لإلقاء التحية, وإحتساء كوب من الشاى بالحليب لرفع المعنويات, رافقنا فى الرحله أبو محمد السورى وضيفه السعودى, وعالم من سوهات من باكستان. علمنا من الشيخ حقانى أن المعارك على وشك البدء -- وعلى ما يبدو أن العدو كان يعلم بذلك, وقد بدأ إجهاضي بالطيران والصواريخ منذ يومين -- وقد تقرر أن يغادر أبو الحارث وأبو مجمد السورى وضيفه السعودى الى مركز الدكتور نصرت الله فى بورى خيل (مدخل وادى بارى من جهه خوست.(
أما الشيخ حقانى والعالم السوهاتى, والعبد الفقير الى الله فوجهتهم هى "جبل الترصد", أي مركز حقانى وقت العمليات, وقبل أن نشرع فى التحرك وجه لى حديثا بشكل مفاجئ, وشعرت أنه يعاني من ضيق داخلى شديد وهو ينفجر قائلا : خلال اليومين الماضيين قالت الاذاعات أشياء كثيرة, منها أن القوة الحكومية قد وصلت الى جرديز, أما راديو كابول وهيئة الاذاعة البريطانية (بى.بى. سى) فقد قالوا بأن روسيا وأمريكا قد اتفقتا على قطع المعونات عن نجيب والمجاهدين, بينما روسيا ترسل فى الواقع مئتين وخمسين مليون دولار شهريا لحكومة نجيب, واستطرد قائلا بأن هدف الغرب هو إرغام المجاهدين علي القبول بنجيب رئيسا للبلاد.
وأضاف حقانى قائلا : لقد إتصل بى زعماء الاحزاب لاسلكيا طالبين منى الذهاب الي بشاور للإجتماع بهم اليوم, فما هى الفائده الآن من تلك الاجتماعات? وهل نوقف المعركه من أجل إجتماعات لافائده فيها.?
إن المصاريف التى أنفقوها على إنشاء مقارهم فى بشاور تكفى الجهاد لمدة عامين, أما السلاح الذى فى مخازنهم يكفى لسنوات, فلماذا لم يستخدموه الآن, فمتى يستخدموه? ولماذا يخزنوه? فعند سياف مثلا 45 ألف بندقيه مازالت فى الشحم,و فى ظنى أن هؤلاء القادة سيخدمون هذا السلاح لرشوه القبائل فى الانتخابات التى ينادون بها, لماذا لايحضر هؤلاء الى خوست حتى نتفق على تصعد القتال فى كل أفغانستان. إن الذى شجع أمريكا وروسيا على تثبيت نجيب فى الرئاسه هو توقف الجهاد فى أكثر مناطق أفغانستان, مع وجود حكومه ضعيفه للمجاهدين فى باكستان.
إن زوجه جيلانى قالت لإذاعة (بى بى سى): لقد تعبنا من القتال والدماء, ونريد لشعبنا أن يستريح. انظر الآن الى الشيوعيين الذين خدموا الشيوعي لمدة عشرين سنه والى الضباط الذين حصلوا على الرتب ليس فى مقابل العلم والتدريب ولكن فى مقابل قتل المسلمين, وهتك كل الشرائع, كل هؤلاء يقولون عنهم الآن مسلمون طيبون حتى يشاركوا فى الحكم القادم للبلاد.
وهنا سأله الشاب السعودى الجديد "ما قولك في اقتراح حكمتيار ان يحدث انقلاب فى الجيش يساند حكمتيار فى أن يكون رئيسا للبلاد?
أجاب الشيخ بحده قائلا : أقسم بالله... أقاتله كما اقاتل الشيوعيين.
طالما أنه رئيس وحوله هؤلاء الضباط الذين قتلوا المسلمين لمدة عشرين عاما , إن هذا ليس إلا وصولا للحكم بأى وسيله ولو بمساعدة الشيوعيين, مثلما حدث مع داود الذى أحاط به الشيوعيين وعاونوه ثم قتلوه بعد ذلك.
قلت للشيخ حقانى: لاحل إلا إستمرار المعركه مهما كان الامر... وبإذن الله سوف تفتح خوست وعندها سوف تتغير أمور كثيرة.
فرد الشيخ بهدوء وتأثر: "هذا صحيح, والظروف الآن عادت كما كانت فى بداية الجهاد, وكما كانت في صدر الإسلام, فتمايزت الصفوف ولم يبق فى الجهاد سوى المخلصين."
ثم أخبرنا حقانى عن تزايد عمليات فرار الجنود فى الايام العشرة الاخيرة, وكان أعجبها فرار 15 جنديا الى مركز "حنيف شاه" هؤلاء الجنود لم يفروا بل قاتلوا بعنف حتى يتركوا مواقعهم فقتلوا رؤسائهم من الضباط, كما قتلوا الميليشيات التى فى المواقع, فقتل من هؤلاء الجنود أربعة أفراد وجرح أربعة آخرون, والعجيب أنهم سحبوا معهم جثث زملائهم, حتى يدفنوها فى "مقابر المسلمين"بإعتبارهم شهداء, كان حماسهم وإندفاعهم للجهاد لايقل بحال عن حماس المجاهدين فى الجبهات.
صعدنا الى جبل الترصد تاركين حقانى فى مركز خليل بواصل مقابلاته مع القادة والإشراف على تموين المراكز المتقدمه بالطعام والذخيرة.

فى الثالثه والنصف عصرا أصاب المجاهدون بقذائف المدفعيه المخزن الرئيسى للبترول فى المدينه فاشتعل وتصاعد منه عمود أسود من الدخان الكثيف وإستمر ذلك لمدة ساعة.
غارات الطيران كثيره جدا , ولكنها غير دقيقه فلم يبلغ أحد عن وقوع خسائر لديه, أكثر الغارات تركزت حول جبل تورغار ومنطقه بارى ثم ليجاه. (بارى على منطقه إسناد للمهاجمين فى تورغار وليجاه تساند مجاهدى الغرب فى إسماعيل خليل ودير ملك.(
بعد العصر هبطت طائره نقل عسكرية في المطار... ولم يكن أحد من رجال المدفعيه في الإنتظار, وصاح عبد العزيز مناديا "باتشا دينا " مسئول المدفعيه فى جماعة الكوتشى, ولكنه لم يرد, وبعد صياح وهوج ومرج ضرب أحدهم قذيفه على مدرج المطار فتحركت الطائرة على الثو بعد أن قضت 15 دقيقه أنهت فيها عملها, أزعجنى الحادث كثيرا فقد كنت مهتما بالمطار أكثر من أى شئ آخر, وهو إهتمام تاريخى كما ذكرت, وتأكد لى من هذا الحادث وإشباهه ضرورة تخصيص قطع مدفعيه للمطار, تكون جاهزة للعمل على مدار الساعة, ولاتشتبك مع أى هدف آخر حتى لا تترك "فجوة زمنيه" ممكن أن يتسلل منها الطيران ويهبط الى المطار -- وهذا ما فعلناه بعد ذلك بعده أشهر.
فى الليل وبينما أجهز فراش النوم, وصلت سيارة من مركز خليل وإستدعانى سائقها لأنه حقانى يطلبنى, فنزلت معه, وهناك كان صحفى بريطانى علي وشك إجراء مقابله مع حقانى, ولم يكن هناك من يستطيع الترجمه غيرى, كان الصحفى شاب نحيف يرتدى الثياب الافغانىة وجهه جامد كأنه منحوت من الحجر الجيرى, لايحمل أى تعابير أو مشاعر.
كان أسم الصحفى (تيم) ويعمل للإذاعة البريطانية, ولاحدى المجلات الامريكية المهم فى اللقاء أن الاسئلة التى وجهها "تيم" هى تعبير فى معظمها عن النظرة الجديدة فى الغرب إزاء أفغانستان.
فكان إهتمامه كبيرا بما يحدث فى خوست وكونها -- ومدينه جرديز -- هما المكانات الوحيدانى اللذان يشهدان حربا حقيقه بينما هدأت باقى البلاد.
ثم يركز عن إمكانات حقانى وهل تكفى لفتح خوست, وإستعداده لوقف القتال إذا تمت تسوية بين الحكومة المؤقته وحكومه نجيب وفى الأخير ركز بشده على موضوع زراعة وتجارة المخدرات فى أفغانستان, وهو باب فتحه الغرب واسعا للتشنيع على المجاهدين ثم سألته عن رأيه فيما قال مولوى "نسيم اخونزاده" القائد القوى فى هلمند بأنه سيزرع المخدرات في مناطقه حتى تمكن من الاستمرار في الجهاد بعد أن توقفت المساعدات الخارجية.
؛وهى التصريحات التى أدت الى إغتيال نسبه أخونزاده بأوامرمن الولايات المتحدة وبتواطؤ من باكستان بل ومن التنظيم التابع له اخوانزاده."
(كانوا فى الغرب على علم بأن معارك خوست -- إذا كتب لها النجاح -- فإنها ستغير حتما من مصير البلاد السياسيا , وأن حقانى هو مصدر خطر لتقرير المصير على الارض بقوة السلاح, لذا تعددت محاولات إغتيال فى باكستان.وفي ظنى أن حاجه باكستان الامنية لبقاء حقانى -- نظرا للخطروة الفائقه لولاية باكتيا على إستقرار وأمن الاقليم الحدودى الباكستانى, تلك الحاجة الباكستانية كانت أكبر من الحاجة الأمريكية في التخلص من حقانى, لذا تعاونت باكستان بتردد فى محاولات الإغتيال القليله التى حدثت ضد حقانى ومنها تلك التى حدثت منذ أيام قليله قبل معركة تورغار النهائية.
-قضيت الليله فى مركز خليل على أن نتحرك صباحا نحو جبل الترصد والقيادة, برفقة حقانى وأيضا الصحفى "تيم."

"تورغار... المعركه الاخيرة"

الجمعة 16 فبراير 90:
كانت الشمس قد إرتفعت فى الشروق, وتهيأت السيارة كى تنقلنا الى جبل الترصد, سأتحرك مع الصحفى البريطانى ولكن حقانى سوف يتأخر قليلا , لمتابعة بعض التفاصيل فى هجوم اليوم, فأخبرنى بأنهم جاهزون لعملية اليوم ضد تورغار, ولكن المجموع التى سوف تهاجم من الطرف الشرقى ليست كبيرة, أما فى الجنوب -- وهى الواجهه الطويله من الجبل من ههه المجاهدين -- فلم ينجح المجاهدون فى فتح ثغرة غفي الالغام هنك فقد أصيب أحدهم بإنفجار لغم فتوقف العمل -- تحركت بنا السيارة صوب الجبل, ولم يكن ما سمعته من حقانى مشجعا , وأيضا فأن هذا الجو المشرق والسماء الزرقاء الصافيه أصابتنى بالهمم والغم, فالطيران سوف يكون قويا , ورمايات العدو أكثر دقه, والمؤكد أن الخسائر فى الاوراح ستكون عليه لهذا اليوم, والاضافه الوحيده عند المجاهدين اليوم هى الهجوم من طرف الحافه الشرقيه بمجموع صغيرة, فهل سيجدى ذلك كثيرا.?
كنت غارقا فى هواجس, وما أن صعدنا فوق الجبل, ووضعنا امتعتنا فى الغرفه الصغيرة, حتى بدأ الصحفى فوق القمة, وتوليت توضيح الموقف العام له, ثم عدنا الى الغرفه مرة أخرى فى إنتظار وصول حقانى وكنت أعلم أن العمليات لن تبدأ ألا بعد وصوله لمتابعتها من هذه القمه.
بدأنا الحديث فى الوضع السياسى فى أفغانستان, فكلمته بصراحه عن دور أمريكا ودول الغرب فى الاضرار بالشعب الافغانى, وأنهم كتموا عن العالم حقيقه أن الافغان هم الذين حرروا شعوب شرق أوروبا بعد قضائهم على الامبراطورية السوفيتية في أفغانستان, وأنه حتى شعوب روسيا وغرب أوروبا يرون أن إنتصار الافغان كان عاملا مساعدا على إنهيار الاتحاد السوفيتى, فأجبته قائلا : بل كان العمل الحاسم, وإلا فإن النظام السو يتى إذا كان قد تمكن من إخضاع الافغان, لاستمر على قيد الحياه قرنا آخر على أقل تقدير, وإلا السبعون عاما التى قضاها ليست بالعمر الطويل فى حياة الدول.
(من الثامنه صباحا بدأ الطيران يعمل بنشاط, فى جو رائع وشمس مشرقه ورؤية غاية فى الصفاء, القاذفات المروحية الثقيل رمت أطنانا من القنابل على المواقع المشتبه أن تساند هجوما أو ينطلق منها هجوم, وركزت علي ليجاه وبارى, وإستمرت تؤدى دكها بإنتظام حتى الساعة الحادية عشر. فظهرت الطائرات النفاثه وباشرت هى المهمة وإستراحت الانتينوف.
أخيرا وصل الشيخ حقانى وخلفه سيارتان للحرس, وبرفقته أثنان من الضيوف أظنهما من السعودية, أحدهما كأنه صحفى, والآخر ضخم الجثه قوى مثل المصارعين ومن حديثه ظهر كأنه واعظ فى أحد المساجد مع إلتزامه بالسمت السلفى أكثر من زميله.
إثناء من المجاهدين من حرس حقانى ما أن شاهدانى أخرج من خندقى المفضل وعلى كتفى المنظار المقرب الخاص بى, حتى إستعاراه وجلسا فى مكانى ولم أتمكن من إسترداده الا بصعوبه بعد أكثر من ساعة.
الساعة 11.38 ظهر أول دخان فوق قمه تورغار نتيجه قصف المجاهدين, بدأ السحاب يتكاثر ببطء, ولكنه لم يصل الى شئ مما كان عليه فى العملية الاخيرة إلا أنه قد يعرقل نسبيا عمل الطيران.
قال الشيخ أنه سيجعل وقت بدأ المعركه مع وقت صلاة الجمعة حتى يستفيد المجاهدون من دعوات المسلمين لهم, ثم صلى بنا الظهر فى ساحة صخرية صغيره أعدها المجاهدين كمسجد للموقع وأحاطوه ببعض الصخور وجعلوا تقوسا فى محل المحراب.

نظرت الى السماء قبل البدء فى الصلاة, كانت شذرات السحب قليله وربما إنقشعت فى أى وقت, فوقنا بقعه صغيرة من السحاب الابيض والذى تبقى هنا وهناك كتل باهته لا معنى لها.
قلت فى نفس (ياله من يوم صعب !! كم من الرجال الذين بحيوية فى مواقعهم سوف يسقطون شهداء فى هذا اليوم. وكم من الذين أعرضهم سوف لا أراهم مرة ثانية?... وماذا لو فاجأتنا الطائرات النفاثه وقصفتنا ونحن متجمعون من صلاة الظهر وأمامنا هو حقاني قائد عملية اليوم, والخطر الاكبر على النظام فى كابل? ألم تقصفنا تلك الطائرات فى نفس هذا المكان من قبل.?
بعد انتهاء صلاة بدأ حقانى فى دعاء طويل ونحن نؤمن خلفه سأل الله النصر وألح فى الدعاء, وبكى أكثر الداعين, ثم قام وإتجه الى جهاز اللاسلكى وخاطب الجميع, وطالبهم بالتوكل على الله والاعتماد عليه وحده, ثم لقنهم هذا الدعاء وطالبهم أن يستمروا فى ترديده "وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون"... وتذكرت أنه لقننى هذا الدعاء منذ ما يقارب عشرة أعوام, ومازلت ادكر انه لقنني درسا فى الشجاعة والثبات تحت قصف الطائرة, وأن أطلق عليها نيران البندقيه بدلا من الاختباء فى حفرة فأنا عربى ولا يليق بى ذلك !! لقد أخجلنى يومها, لكنه لم يقنعنى بجدوى اطلاق البندقيه على طائرة نفاثه, الآن ادرك أنه على حق... فلا جدوى من الاختباء من الطائرة فذلك نوع من العبث يطمئن به الانسان نفسه. فلا عاصم من تلك المصائب التى تتساقط فوق الرؤوس سوى الله سبحانه وتعالى, لكن الذى لفت نظرى حقيقه هو أنه أثناء الدعاء الجماعى بعد الصلاة كانت السماء تتلبد فوقنا بسرعة, كان الجميع وقت الدعاء مطاطئ الرؤوس ينظرون الى أكفهم المنبسطه أمام وجوههم, وكنت الوحيد وربما شاركنى إثنان من حرس حقانى ننظر الى السماء... كنت أراقب السحب التى تتجمع بسرعة, ثم نظرت الى حقانى المستغرق فى الدعاء فإذا به أصبح رماديا وقد غمرته الظلال, بل الجميع أصبح كذلك, ولم يكن حقانى يتوجه الى جهاز اللاسلكى حتي أصبحنا كأننا فى وقت الغروب.
إنشرح صدرى لتلك "الكرامه", وتمنيت أن يكون ذلك بشرى بالنصر وبداية المدد الالهى للمجاهدين عامة, والمهاجمين فوق الجبل خاصه.
الساعة 1.59 بعد الدعاء أمر الشيخ "مارشال" ببدء القصف, ظننت أن الاسم هو شفرة لمجموعة مدفعية لكن حاجى ابراهيم قال: بل هو اسم شهرة لأحد المجاهدين.
بدأت دبابه خليل فى القصف, وأصابت مواقع العدو فوق القمه وحققت أول أصبه مباشرة فتصاعد عمود من الدخان الاسود من الحصن الواقع على الحافه الغربية -- رد العدو بقصف شديد على الجانب الغربى من الجبل حيث تسلل المجاهدون فى محاولاتهم السابقة -- والظاهر أنهم لا يتوقعون تقدما من جانب الحافه الشرقيه للجبل, وهو مالم يفعله المجاهدون قبلا.
بعد خمسة دقائق لعلعت رشاشات العدو الثقيله فوق الجبل الساعة 2.35 مدفعية المجاهدين تقصف مدفعيات العدو الخلفية, "بوستان" و"باتشا دينا" على المدفعية يعملان بشكل جديد ودقه ملحقه.
دبابه خليل تتلقى قذائف كثيرة من مدفعيات العدو -- مجموعات الهجوم فوق الجبل بخير ولكنها لم تبدأ بعد فى التقدم.

الساعة 3 -- اشرقت الشمس لفترة قصيرة ثم أطبق السحاب كثيفا مرة أخرى -- أجهزه اللاسلكى مزدحمه بالصيحات, ودعوة للمهاجمين بالعمل مع تشجيعهم.
التدخل اللاسلكى شديد, وحرب نفسيه على أشدها على الاثير مليئه بالتهديد وأحيانا بالسباب بين المجاهدين والعدو.
الشيخ يصيح مشجعا المهاجمين وينقل إليهم الاصابات التى وقعت فى صفوف العدو نتيجه القصف ثم يهتف صائحا "الله اكبر... زنده باد" فيردد المجاهدون خلفه نفس الهتاف.
الساعة الثالثه والنصف: سقط سكود الى الشرق من تورغار وبعد خمسة دقائق سقط صاروخ آخر فى نفس المنطقه.
الساعة 4.10 : قوات العدو فوق تورغار تفقد واحد من قادتها, التقط عبد العزيز الخبر, أما المجاهدون المهاجمون من جهه الشرق -- جماعة جولاب الكوتشى شقيق الشهيد منان -- فقد أفادوا بأنهم يواصلون نزع الألغام من المسافه المتبقيه ومقدارها (مترين) -- على حسب تقديرهم -- وقالوا بأن العدو لم يطلق النار عليهم حتى الآن.

طائرات الهيلوكبتر تطلق نيرانها من بعيد على حواف الجبل لكن بلا تركيز ثم هبطت خلف الجبل من جهه المدينه ربما لحمل جرحى وقتلى أو لنقل بعض الذخائر الى المدافعين رغم أن عندهم ما يكفى.
طائرات الانتينوف القاذفه تحلق فوق السحب السوداء بدون أى أمل لها بالمشاركه وهى عمياء فى ظلام السحب, ولكنها ظلت فى السماء طوال الوقت -- ربما لبث الطمأنينه فى نفوس المدافعين -- إذا شعروا أن الطائرات قريبه منهم.
--الساعة 4.42: إجتاز المهاجمون من الحافه الشرقيه حاجز الالغام, وتبادلو مع خط الخنادق الاول للعدو الرماية بالقنابل اليدوية.
وبينما يقوم (جولاب) بإبلاغ حقانى الرساله, إذ أحد المجاهدين يصيح فرحا (تورغار ختم... توغار ختم...) فنهره حقاني بشده وقال إن ذلك غير صحيح, فقد رأى أن إذاعة خبر بسقوط تورغار والمعركه فى نقطتها الحرجه قد يسبب إضرابا فى سير العمل, فقد يطلق كثيرون النار فى الهواء إبتهاجا , بينما العدو فى خنادقه صامدا , والدبابات قد تتوقف عن قصف المواقع الدفاعية والادارية للعدو فوق الجبل ظنا منها المجاهدو قد وصلوا.
وسنعود مرة اخرى الى قصه الجانب الشرقى -- وراوية المهاجمين لما حدث فى تلك اللحظه الحرجه, لحظه الهجوم على الخط الدفاعى الاولى من خنادق العدو -- والذى قام به جماعة البدو (الكوتشى) بقيادة جولاب, صخرة الدفاع وسيف الهجوم.
-الساعة 5.50 ضغط الهجوم كله من جهة جولاب بينما جهه الغرب حيث الدكتور نصرت الله خامدة لدرجه كبيره, وكان يساعد نصره الله مجموعة من طلاب العلم قندهار يقودها القائد الشجاع (ملا شاه زاد) الشهير باسم ملا قندهارى. واضح أنه بعد تجربه الهجمات السابقه والتى كانت كلها -- على مر السنين -- تتم من الجناح الغربى أن العدو قد ركز معظم قواته على هذا الجناح. لذا يمكن توصيف ما حدث هذه المرة أن المهاجمي من جهه الغرب قد جمدوا معظم قوات العدو, حتى تمكنت قوة جولاب الاصغر حجما من إقتحام دفاعات العدو الغربيه والتقدم فوق الجبل مثلما يفعل السكين فى قالب الزبد حتى يضيف جماعة الكوتشى الشهيرة -- جماعة الشهيد منان -- أضافه أخرى إلى سجل لا يضاهى من الامجاد القتالى.
أفاد رجال الكوتشى الذين إقتحموا الجانب الشرقى من تورغار أن هجومهم ذاك كاد أن يفشل, لأنهم عند إقترابهم من خط الالغام الذى يلى خنادق العدو مباشرة, وكانوا قد نزعوا معظم الغامه ليلا ... ولكن ليس كلها. وعند تقدمهم للاتقحام الاخير كشفهم العود وهم على حافه حقل الالغام فأصلاهم نارا حامية من البنادق الآلية والرشاشات الخفيفه, ثم رمى قنابل يدوية بكثافه غير مصهودة -- ويبدو أن ذخائر الاسلحة الخفيفه قد قلت في أيدى الجنود, ولاحظ رجال الكوتشى أن القنابل تسقط الى جانبهم ولكنها ترتد من كرة المطاط لتعود مرة اخرى الى خنادق العدو لتنفجر هناك, ومع ذلك ظلوا جامدين خلف الصخور, الى أن قام منهم رجل عجوز ابيض الشعر واللحية, مشهور بينهم بالبساطه الشديده وقله الكلام, قام ذلك الرجل وهو يعود متوجها صوب خنادق العدو وهو يطلق نيران بندقيته الرشاشه, ثم عبر حزام الألغام بسلام وقفز دخل خنادق العدو, فاشتعل حماس الشباب ومرقوا خلفه مثل الشهب فى سماء مظلمه وقفزوا الى الخنادق, وقتلوا من فيها, وتابعوا من هرب من الجنود, وواصلوا التقدم صوب باقى المواقع حتى تم فتح الجبل كله.
وفى نهاية المعركه سألوا الرجل العجوز عن السبب وراء اندفاعه العجيب المفاجئ, فقال لهم ببساطة: لما رأيت القنابل اليدوية تتساقط علينا مثل المطر, ولكنها ترتد على العدو مرة أخرى وتفجر عنده أدركت أن الله قد أنزل الملائكه لنصرتنا فاندفعت نحو العدو وأنا واثق أنهم مهزومين وأ شيئا لن يضرنا.
--الساعة 5.11 الطرف الايمن من الجبل فى قبضه المجاهدين تماما , ومن هناك بقصف المهاجمين بالرشاشات الثقيله قصفا عنيفا للغاية على باقى المواقع المعادية فوق الجبل متجهين صوب الغرب.
--الساعة 5.15 تقرير لحقانى من المجموعات المهاجمه فوق الجبل -- كلها -- بأن مقاومه العدو فوق الجبل أصبحت ضعيفه جدا . كانت عملية تطهير المواقع ممن تبقى بها -- وأكثر الاحياء لاذوا بالفرار الى الشقيق التوأم لجبل تورغار والمواقع الى الشمال والمرتبط به ببل سرى -- أو ما يطلق عليه سرج -- وهذا التوأم الاصغر يدعى (ورا تورغار) أى تورغار الخلفى.

الساعة 5.50 تقابل المهاجمو المتقدمون من الشرق مع المهاجمين من الغرب فوق ظهر الجبل, لقد وقع تورغار أخيرا في أيدى المجاهدين بعد سنوات طويله ومريرة منذ فقدوه آخر مرة, لقد فتحوا تورغار -- وأصبحت المدينه نفسها قاب قوسين أو أدنى من الفتح, ولكن ذلك لم يحدث بالسرعة التى كنت أتوقعها.
سألنى الصحفى البريطانى "تيم" عما حدث, فقلت له: لقد إستولى المجاهدين على تورغار -- وإجتهدت أن أبحث فى وجهه عن أى أنفعال فشعرت بالغيظ, ولكننى تماسكت أمام ذلك اللوح الجليدى القادم من بريطانيا العظيمه -- التى ذاقت فى أوائل هذا القرن ما يذوقه السوفييت والشيوعيين فى أواخره على أيدى نفس هذا الشعب الخارق.
ثم سألنى ببرود تقول أن تورغار هو مفتاح مدينه خوست فمتى تتوقع أن يتم إستيلاء المجاهدين على المدينه.
فرددت عليه: من المفروض الا يزيد ذلك عن شهر.
فهل أخطأت فى تحديد ذلك الموعد, لأن المدينه فتحت بعد ذلك بحوالى 13 ونصف شهر.
وقد قابلنى تيم بعد ذلك بعده أشهر فى بشاور, وكان يذكر بدقه ما قلته له أن المدينه يمكن أن تفتح خلال شهر, وسألنى بشجاعة لاتخفى: لقد قلت أن المدينه سوف تفتح بعد شهر, فماذا أخ ر الفتح حتى الآن.
فرددت عليه قائلا : إن تدخل أمريكا وباكستان هو السبب, ثم ذكرت له بعض مجهوداتهم لإفساد فتح خوست.
التقرير الأول عن خسائر المهاجمين هو شهيد واحد ولا جرحى, وبعد ساعه جاء تقرير آخر متضارب يقول الخسائر ثلاثه جرحى ولا شهداء (فى اليوم التالى كان التقرير النهائ هو شهيد واحد وثلاثه جرحى وسبب التضارب -- إن وجد -- أن التقرير الأول لأحدى المجموعتين وهو شهيد واحد بلا جرحى والتقرير الثانى للمجموعة الثانية ثلاثه جرحى بدون قتلى.(
كانت تلك الخسائر المتدنية مفاجأة كبرى ومدهشه الى أقصى حد أن يتم تحقيق هذا الإنجاز الفائق بهذا القدر الذى لا يكاد يذكر فى الخسائر.
ولابد من الإشارة هنا إلى أن دقه الاعداد وتوفير الوسائل اللازمه للعمل وإكتساب الخبرة الكافيه فى إدائه هى من أعظم أسباب النصر -- وقبل كل ذلك هو ذلك التأييد الإلهى الذى لا يمكن تصويره بالقلم أو اللسان, فحاله الطقس مثلا , من غيوم تحجب الرؤية فتمع الطيران والمدافع المعادية, ثم تعود فتتكشف قليلا تساعد المهاجمين علي تبين الألغام وأسلاك الإعثار المنبثه فيما حولهم.
حتى فشهم فى السنوات الماضيه فى الهجوم فى طرف واحد هو المنحدر الغربى, قد إستدرج العدو الي الاطمئنان التام هذه المرة أن الهجوم قادم لامحاله من نفس الطريق فركز دفاعات كلها -- أو معظمها -- فى ذلك الاتجاه, فتمكن جولاب من شق طريق من جهه الشرق بسهوله لم تكن متوقعه, رغم أن الجميع كان يتوقع أن الشرق هو محور ثانوى للهجوم فجاء العكس.
--الساعة 6.07 طائرة أنتينوف تحلق وتقصف بعيدا , السماء إنقشعت وظهر ضوء النجوم واضحا , كان ذلك عظيم النفع للمجاهدين فوق الجبل ومكنهم من معرفه طريقهم فوق الجبل وفى غاية الخنادق حول وفى "الدشم" المحصنه والمسلحة خاصه من الطرف الغربى, ثم المخازن الإدارية فى الطرف الشمالى, وبها غرفه مليئه بالطعام والذخائر, والاهم من ذلك مراقبه العدو الذى قد يحاول شن هجوم مضاد فى نفس الليله قبل أن يستحكم المجاهدون فوق الجبل.
--الساعة 7.00سقطت ثلاث صواريخ سكود متتالية حول جبل تورغار. ثم صاروخين آخرين فى تودة شنى (جنوب تورغار.(
خمسة صواريخ سكود دفعه واحده, كانت حفله إبتهاج بفتح تورغار ولكن إطلاق النار التقليدى فى مثل تلك المناسبات, قامت به الحكومة وليس المجاهدين -- ولم توقع أية خسائر من جراء ذلك القصف.
؛ ملاحظه: ثمن صاروخ سكود فى ذلك الوقت هو مليون دولار امريكى, وقد اطلق العدو فى تلك المعركه سبعة صواريخ سكود -- بينما اطلق صاروخين فقط فى محاولة يناير الماضى التى لم تنجح.»

--أخيرا غادرنا حقانى متجها الى مركز خليل فإلى هناك سوف تأتى وفود العائدين من المعركه, مع الاسرى والغنائم, ثم شاورات عن الخطوة التالية التى من المفروض - حسب قول حقانى -- الاستيلاء على (ورا تورغار), فقد قال لى -- لا فائده فى تورغار إذا لم نمسك (ورا تورغار), لم أكن أدرك تلك الاهمية قبل ذلك وأن كانت منطقيه تماما , فالجبلان فى الحقيقه جسد واحد متصل. وأى قوات قادمه من المدينه لشن هجوم مضاد لابد لها من الارتكاز على (ورا تورغار), إذن المعركه لم تنته بعد.!!

لم أغادر مع حقانى لأننى توقعت معركه فوق الجبل فى هذه الليله, وفى الليل إتصل بنا حقانى تلفونيا وقال أنه منتظر وصول الاسرى للتحقيق معهم والبحث عن الشيوعيين من بينهم, وأضاف انه سيكون عندنا غدا ... ففهمت أن المعركه سوف تستأنف فى الغد.
لم أستطع النوم الا فى ساعة متأخرة, فرحا بما حدث, هائما مع التوقعات.

السبت 17 فبراير 90
لم أكد أشتغرق فى النوم حتى صحوت فزعا على صوت إطلاق نار كثيف وقذائف, كنت متأكد أن مصدرها (تورغار) فقد كنت أتوقع هجوما ليليا من جانب قوات الحكومة, فتحركهم بالنهار نحو الجبل سيكون إنتحارا , وليس أمامهم إلا الليل, بل هذه الليله تحديدا قبل يستحكم المجاهدون فى خنادق الجبل ويحفرون مواضع جديدة فى مقابل المدينه, كانت الساعة الرابعة صباحا.
إنقطعت الرمايات فجأة, وطمأنت نفسى بأنه لاشئ مهم, وأن عبد العزيز نائم الآن فلا أحد عنده خبر ما حدث, فنمت مرة أخرى.
فى الصباح سألت عبد العزيز عما حدث فى الليل فقال (خير خيرت), فأكدت عليه بالسؤال عن أحوال المجاهدين فوق الجبل فأجابنى بنفس الجمله.
فى السابع سمعنا طلقتى RPJ فوق الجبل (تورغار) ثم قصف مدفعى شديد من الوادى ضد الجبل وما حوله ثم زخات من الرشاشات الثقيله والخلفيه, طائرات الهيلوكوبتر أطلقت الصواريخ بغزارة ضد (تورغار) فطمأننى ذلك لأن معناه أن المجاهدين متمسكين بقوة بالجبل.
الجو غائم, وتعليقات المجاهدين على أجهزة اللاسلكى مليئة بالمرح والسعادة.
وفى الثامن والنصف صباحا إتصل بنا حقانى تلفونيا فقال بأن العدو حاول صباح اليوم الهجوم على تورغار وإستعادته, ولكن المجاهدين كانوا فى أتم الاستعداد, وكانت الذخائر والاطعمة والمياه متوفره لديهم وأن العدو جوبه بنيران قوية من الجانبين أدت الى سقوط الكثير من القتلى والجرحى (بالمئات حسب قوله) وفر كثيرون منهم نحو المدينه, وإعتصم بعضهم فى جبل تورغار الخلفى (ورا تورغار) وأن المجاهدين سوف يتقدمو للاستيلاء عليه.
الساعة 8.35 رغم الغيم الكثيف فإن طائرة انتيوف ألقت قابلها من ارتفاع عال حول جبل تورغار -- ولكن بلا أي تأثير. تزايد الغيم, والمطر خفيف وريح بارده جدا , عدد المتواجدين معنا على ظهر الجبل قل كثيرا .واضح ان اليوم لا يمكن شن هجوم جديد ضد (تورغار الصغير.(
الساعة 10.10: هبطت فجأة فى المطار طائرة نقل عسكرية -- كانت فجأة مذهله فى وقت وظروف غير متوقعه, كانت مدفعيه المجاهدين المخصصه للمطار (باتشادينا) مشتبك فى رماية متبادله مع راجمه صواريخ كبيره من طراز.BM-41
هبطت الطائرة من الطرف الغربى ثم مكثت فى النهاية الشرقيه للمدرج أقل من دقيقه ثم إستدارت وأقلعت -- وكتبت فى مذكرتى وقتها: لا أدرى ما هى المهمة التى يمكن إنجازها فى هذا الوقت القليل.
الساعة 10.36 كانت الدهشه أشد فى المرة التالية, اذ هبطت طائرة كالعادة من جهة الغرب وما أن وصلت الى الطرف الشرقى حتى إستدارت وأقلعت. لم يستطع أحد أن يخبرنى أن يخبر جماعة المدفعية, سألت نفسى : ماذا يحدث؟؟
ولابد هنا -- للحقيقه -- أن أشيد ببطوله وفدائية الطيارين الأفغان, ويستمر معنا نهاية الحرب, ولا أضن أن هناك من هم أكثر إستهتارا بالموت منهم.
وهى سمة عامه فى معظم الشعب الافغانى.
فيما بعد قال حقانى أنه يظن أن تلك الطائرات قد أحضرت شخصيات هامة من كابول -- وربما كان ظنه صحيحا لأنه بعد قليل سيظهر على ساحه الاحداث فى خوست, الجنرال عجب مزارى الرجل الشرير والقائد السابق لجبل تورغار.
كان هبوط الطائرتين بهذا الشكل, مثل صفعتين على القفا, فى هذا الصباح البارد والمعتم, لكن نسمه منعشه هبت علينا هذا الصباح حيث شاهدنا عدد من الاطفال يصعدون الجبل الينا, كانت ملابسهم خفيفه وممزقه أو مرتفعه

أحيانا , وقفت مع حاجى ابراهيم نتأملهم ونتسائل كيف وصلوا الى هنا, فلم تكن سيارات المجاهدين تتحرك هذا الصباح خاصة بالقرب منا.
وصلوا إلينا وصافحونا, وقالوا إنهم طلبه فى مدرسه منبع العلوم فى ميرانشاه, وقد سمعوا بالأمس أن المجاهدين قد فتحوا جبل تورغار فجاءوا سيرا علي الاقدام (حوالى 30 كيلو متر) كي يتأكدوا من الخبر ويشاهدوا المواقع التى فتحها المجاهدين.
تأثرنا بما فعله هؤلاء الاطفال, وحبت بهم وكذلك فعل ابراهيم وعبد العزيز وعدد آخر من رجال الموقع, وسمحوا لهم بإستخدام المناظير وشرحوا لهم المواقع التي يشاهدونها, وذكروا لهم أحداث الامس فوق تورغار, ثم قدموا لهم الشاى والخبز.
جاء الصحفى "تيم" هو الآخر يستطلع أخبار هؤلاء الاطفال, فشرحت له قصتهم, وسألته عن دلاله أن يسير أطفال صغار فى هذا السن كل تلك المسافه وسط الجبال فى جو ممطر بارد, فقط من أجل الاطمئنان على أخبار المجاهدين, وفرحه بانتصاراتهم.؟
لم تصدر منه كلمه أعجاب أو مجرد بسمه للأطفال -- أنه محايد جدا بلا شك -- محايد لدرجه جعلتني اتمنى قذيفه عنقوديه تريحنا من كل صحافى بريطانيا التى كانت - ولن تعود -- عظمى.
الساعة 11.30 وصل الشيخ حقانى الى مركزنا فوق الجبل, وإتصل بالمخابرة مع أخيه خليل قائد الدباباه الشهيرة -- وصاحب الدور البارز فى تحطيم مقاوم تورغار -- وأفاد خليل أن أوضاعهم ممتازه, وأوصى بالإهتمام بالامدادات خاصه للمجاهدين فوق الجبل.
جلست أتحادث مع حقانى بالنسبه لمشكله الإمدادات, فقلت له أن العدو لن يسلم بسهوله بضياع تورغار, لأن معنى ذلك أن المدينه قد فلتت من بين يديه إن عاجلا أو آجلا , وأن معركه تورغار قد يكون الفيصل فيها هو القدر على إمداد الجبل بالمقاتلين والذخائر والطعام والمياة, وأن العدو مازالوا أقدر علي ذلك لأنه خلال السنوات الماضية قد مهد طريقها للامداد من خلف الجبل, بينما نحن لانمتلك سوي مدق ضيق وخطير يمر وسط الغام كثيفه جدا , بحيث أن خطوة واحده خارج المدق قد تعنى الموت, أو بتر القدم على الاقل, وقلت له ان أهم ما يجب عمله الآن هو شق طريق للسيارة حتى قمة تورغار, وأن يبدأ الطريق من الطرف الغربى ويهبط من الجانب الشرقى, وبهذا يمكن لنا إمداد الجبل من قاعدتين قويتين للمجاهدين وهما بورى خيل -- إلى الغرب وتودة شنى -- إلى الشرق.
لم يكن حقانى فى حاجه لمن يذكر بأهمية الطرق فى الجهات, وخاصه بالنسبه لهدف جوهرى مثل تورغار -- وبالفعل بدأ بعد أيام فى دفع كل قواه حول شق طريق الى القمه فى تورغار -- وتحت أقصى الظروف من الغارات الجوية التى لاتكاد تتوقف, وقد ساعده عدد من الفدائيين الحقيقيين من سائقى البلدوزرات, وعمل الحفر والتفجير, وخسر عدد من السيارات والجرحى ولكنه نجح فى النهاية فى شق طريق ممتاز ولكنه لم يستطيع أن ينزل به الى جهه الشرق لأن تضاريس الجبل لا تسمح بذلك بغير أن يتعرض الطرق للنيران العدو القادمه من الجبل وليس فى السفح الجنوبى المخفى عن العدو.
عامة كان نجاحا هندسيا وعسكريا باهرا , أكد سيطره المجاهدين علي تورغار وماحوله.
-الساعة 2.17 بعد أن صلينا الظهر قرب قمه الجبل, جاء الخبر من ميرانشاه بقول بأن الاحزاب شاركت حقانى فى فتح الجبل, ولكنه دفع لهم مبلغ ثلاثة ملايين روبية حتى يتركوا له الجبل كى ينفرد هو إعلاميا بالإنتصار, كانت الكذبه واضحه لمن هو داخل الجبهات فى المنطقه أما فى الخارج فلا أحد يستطيع أن يجزم بما حدث, كانت طعنه خبيثه من أحزاب بشاور التى لا تقصر فى سكب أطنان من الدهان الاسود, فوق حقانى, وجميع أعماله, حتى إنتصاراته الباهرة التى تستحيق الاشادة والتمجيد.
كان التنسق داخل جبهات باكتيا عامة وخوست خاصه يسير علي أفضل شكل ممكن فى مثل تلك الظروف -- وبأقل قدر من الاحتكاك حتى أنه لم يحدث صدام مسلح واحد طوال مدة الجهاد علي أساس حزبى. ولكن التنسيق فى المعارك كان يتم خارج نطاق الاحزاب وبتفاهم مباشر بين المجاهدين فتسمى بعدئذ بالعمليات المشتركه -- بينما أن الأحزاب وقيادتها فى بشاور لم تكد تسمع قبلا بوجود مثل ذلك التنسيق -- ولو علمت فالفشل قادم لامحاله. إذ تبدأ الضغوط والرشاوى, ومؤامرات توريط الأخرين خاصه قادة الميدان البارزين -- وبالذات حقاني وزملائه.

سألت حقانى عن عدم إشتراك أحد م الاحزاب الاخرى في معركه "تورغار" فرد قائلا ؛إن أحدا لا يتحمل معركه بهذا الطول, لقد إستمر الحصار ثلاثه أشهر متوالية« ومن جهتى يمكن أن أضيف أسباب أخرى منها: أن تجارب الهجوم على تورغار منذ عام 1984 قد باءت جميعا بالفشل, وأسفرت فقط عن قتلي وجرحى, مع إهدار المال والذخائر ثم إتهامات متبادله وخصومات بين المجموعات المشتركه في العمليه.
السبب الثانى: أن تورغار إكتسب نتيجه لذلك هيبه فى النفوس وكان إسمه كفيلا ببعث القشعريره فى أبدان المجاهدين.
السبب الثالث: هو أن الاستخبارات الباكستانية تجد الباب واسعا للتدخل فى العمليات المشتركه, وهى عادة عمليات كبيره, وقد كانت هى السبب أفشال عدد من الهجمات على تورغار لأن إستيلاء المجاهدين عليه يعنى وضع رقبه المدينه فى قبظتهم, وهو ما يتعارض مع سياسة سادة باكستان, أى الولايات المتحدة.
كانت الخطوة التالية لإسقاط خوست هو إغلاق مطارها بشكل نهائى مستفيدين من موقع تورغار وما يوفره من مزايا لهذا العمل -- ولكن سنرى كيف أن المخابرات الباكستانية بذلك جهدها لمنع ذلك.
كانت ما تريده باكستان هو عض أصابع نظام كابل فى خوست حتى تصل معه الى شروحا تساومية أفضل.
بينما كانت مصلحة المجاهدين تفتضى -- إبتلاع خوست -- فينهار نظام كابل فيفرض المجاهدون نظامهم الخاص.
وسوف يمر علينا لاحقا كيف بذلك المخابرات الباكستانية كل وسعها لمنع إغلاق الطار ثم بذلت جهودا جبارة لمنع فتح المدينه.
-أخبرنى حقانى أنه قد إحتاط كثيرا فى إظهار الفرحه والابتهاج بفتح تورغار, فقد قال عند إعلان النبأ... لقد إستولينا على تورغار الكبير والمعركه مستمر علي تورغار الصغرى" لقد أعجبنى كثيرا تصرفه هذا, فهو يدل على التواضع من جهه, وعلى الواقعيه من جهه أخرى فمهما كانت معرفته بضعف العدو فى خوست, فإن خطورة ما حدث تجعل من المجازفه إفتراض أن العدو سيسلم بالامر الواقع بسهوله, على الاقل يمكن توقع أن يحدث مثلما حدث فى دراجى منذ عدة أشهر بأن يتم تداول الموقع بين الجيش الحكومى والمجاهدين حتى يستقر الوضع لصالح المجاهدين فى نهاية الامر.
-قال حقانى: نحن مستعدين للهجوم بعد وقت قصير, ولقد ناوش المجاهدون تورغار الصغير وذمروا بعض مواقعه الدفاعية - البوسطات -- فطلب الدافعون إرسال دبابه اليهم لدعمهم, ونحن بدورنا سنرسل دبابه الي توده شني لندعم بها مجموعة جولاب كى تهاجم تورغار الصغير -- كذل طالبنا مئتى مجاهد من كتيبتى سلمان الفارسى, والعمرى ولن نستخدم قواتنا فوق تورغار للهجوم حتى تبقى دفاعاتنا قوية فوق تحسبا للطوارئ.
كان حقانى يسير بحذر ولم يستخفه الانتصار الكبير.
قرب العصر حزرنا عبد العزيز أن الطائرات النفاثه قادمه للقصف وذلك لا يعلم أين -- كان يتتبع محادثات خوست مع كابل. بعد دقائق ظهر صوت طائرة نفاثه, وعبد العزيز يتابع حديث الطيار مع الهدف, أرمى حمولتك, فرد الطيار فى براءة -- ولم تكن الحكومة قد إذاعت خبر فقدها لتورغار -- ولكننى فوق جبل تورغار !!.
فردت عليه القيادة: لم يعد هناك تورغار... أقصف
فاستفسر الطيار بعصبيه: ماذا تعنى بقولك (تورغار ختم) - إنتهى تورغار -- ثم أصابته نوبة من الهياج وأخذ يهذى: لقد بعتموه لهم... أنتم بعتم تورغار... ضاعت خوست... ضاع كل شئ... ثم دار بطائرته دورة واسعة ثم عاد في إتجاه تورغار وأفرغ شحنه ضخمة من القنابل العنقودية, ولكن بعيدا عن أى هدف, ثم إحتفى بطائرته وسط السحب الداكنه.
أثار الحادث الابتهاج والفرحه بين صفوف المجاهدين, فالعدو يعيش أزمه عنيفه تطال ما تبقى عنده من روح معنوية.
ولكن لم نلبث أن أصبنا بصدمه وعمنا الحزن والوجوم حين وصلنا نبأ إستشهاد "بوستان" الكوتشى, الذى كان يعمل على مدفعه فى مبارزه مدفعيه مع العدو, حين سقطت قذيفه على هظبه قريبه منه فأصابته شظيه فى رأسه فقضى نحبه علي الفور, لقد عم الحزن جميع المراكز حتى نسى المجاهدون إنتصار تورغار -- ولو ألى حين.
ثم وصلنا إسم شهيد تورغار الوحيد يوم الفتح -- أنه الكوتشى "طالب جولاب" ... فهل يهتم أحد من سكان الارض بهذا الاسم؟ ... ولكن يكفيه أن الله أعلم به وبما فعل
)))

أسقطت الطائرة على المدينه بعض الإمدادات بالمظلات, وكان أهماها براميل البترول -- وقد أخذ الهواء عدد من تلك المظلات الى مواقع المجاهدين, فأخذوها غنيمه الى جانب غنائم جبل تورغار التي وصلنا إحصاء عنها كالتالى:

عدد 2 مدفع مضاد للطائرات (شلكا) عيار 23 مليمتر.
عدد 3 قاذف قنابل يدوية.
عدد 3 دبابة منها واحده فقط يمكن إصلاحها.
عدد 13 قاذف.RPJ
عدد 3 رشاش ثقيل (جبلى) عيار 14.5 مليمتر.
عدد 14 هاون من عيارات مختلفه.
عدد 60 بندقيه كلاشنكوف.
عدد 1 مدفع جبلى عيار 76 مليمتر.
عدد 1 جرينوف ثقيل 7.62 مليمتر.
عدد 1 قاذفه صواريخ الاسلكية المضادة للدروع.
عدد 2 رشاش خفيف.
عدد 1 رشاش وسط.

الاحد 18 فبراير 90

يوم مشرق بدأت فيه غارات الطيران مبكرا ... فعمل الطيران بعنف بالغ, ولم تكن الطائرات تتوقف عن قصف تورغار بشكل مستمر.

وفى مركز خليل عقد حقاني إجتماعا مع قادة الميدان لمناقشه معارك تورغار والتخطط اللازمه لمعركه (ورا تورغار) القادمه.

ثم وصلت أفواج الاسري, وكانت دفعه كبيره من الجنود وبعض الضباط تم أسرهم فوق الجبل, كان من بينهم ضابط في حوالي الثانية والعشرين, قوي النيه مثّل بغل إسترالي, ذو ملامح غليظه بليده, وكان موضع إزدراء وكراهية الجنود, والضباط القليلون الذين أسروا معه, كان من منطقه ا ى ومن قبائل منجل, ويظهر أنه كان الحزبي الوحيد فى المجموعة.

إشتكى الجنود أنه كان يحسى الخمر كثيرا وكان يعاملهم بقسوه.

وإعترف هو بأنه تلقى تدريبيه في الاتحاد السوفيتى, لم تكن الجلسه للمحاكمه لذا لم يقتل ذلك الضابط رغم الكراهية التى أحاطته به من كل جانب.

لكن جندي أحمق أثار ضحك الجميع فخفف المخاطر علي الضابط الكريه, كان الجندي مشهورا بين زملائه ببساطته المتناهية لذا كانوا يضحكون كلما بدء الكلام, وكان يقف أمام حقاني مشدود القامة بأكثر مما ينبغي لدرجه أنه كان متعوسا الي الخلف بشكل يدعو للسخرية, كانت يداه في خشونه الحاء شجرة معمرة.

ومن موقفته العسكرية المضحكه كان يجيب علي أسئله حقاني الذى سأله متحببا إليه, أيهما أفضل المجاهدين أم حكومة كابل, فأجاب ذلك الفلاح الفصيح بعكس ما كان متوقعا , وهى الإجابه التى يجيب بها الجنود عادة عندما يقعون في الأسر بأن المجاهدين أفضل بالطبع.

وبدلا عن ذلك أجاب الجندى المقوس: كلاهما جيد يا سيدي العالم.

فأجابه حقاني مندهشا : كيف أن كلاهما جيد...؟

فأجاب الجندى: لأنهم مسلمون ومن الأفغان ياسيدى...؟

فضحك الجميع بما فيهم حقاني, الذي لقنه درسا طويله بدأه بقوله:

كيف تقول ذلك أيها الأحمق... ألا تعلم أن حكومة كابل شيوعية... إلخ.

كان الجندى مرتبكا والجميع يضحكون من حوله حتى زملائه, وفى الاخير إعتزر عن غلطته وألقى باللائمه على ضباط وحدته الذين كانوا يلقونه أشياء مخالفه لذلك.

لم يمكث هؤلاء الجنود في الاسر طويلا ... وأخذ كل منهم مئتى روبية باكستانية لإعانته على العودة الى قريته, أما الضابط فلم أسأل عنهم بعد ذلك.

كان هناك فارون من الجنود فى (ورا تورغار) وكان عددهم حوالى الاربعين, حملوا معهم 3 كلاشنكوف, وعدد 2 قاذف صاروخى RPJ وعدد 2 جرينوف.
أجريت أحاديث مطوله مع الفارين والاسري, وكان أفضل من أفادني هو الظابط ضياء محمد -- 25 عام -- من هيرات وقد فر موقع (ورا تورغار) وقت هجوم المجاهدي علي تورغار الكبير.
وقد درس ضياء حتي الصف الثاني عشر -- تدرب فى كابل سته أشهر وتخرج ضابطا , قال أنه يعلم بوصول تعزيزات الي خوست, وهى جزء من الكتيبه 33 التابعه للفرقه 17 في هيرات, وجزء من لواء جارد من كابل (وهو من قوات الصفوة واعضاؤه حزبيون) جزء من فرقه 18 المتواجده في مزار شريف, هذا بلإضافه الى فرقه 25 المتواجده أصلا فى خوست, وقوات (داو طلب) أى المتطوعين, وعن قطع المدفعية التى إستطاع أن يحصيها من موقعه أثناء الخدمة, قال أنهى أحصى 4 راجمات صواريخ ,(BM- 41) وأربع مدافع DCعيار 122 مليمتر, وأربعه مدافع جبليه عيار 76 مليمتر, وقال أنه بالمدينه طائرتى هيلوكبتر طراز (مى -- 24) إنفجر إحداها وبقى واحده فقط.
وأكد أن الحاله الفدائية فى المدينه مترديه وكذلك الخدمه الطبيه التى لا يلقي الجنود شيئ منها, وأن قائد المخابرات (خاد) فى المدينه ويدعي (رحمت شاه) هو المسئول عن عمليات التهريب من باكستان وأهم ما يركز عليه هو البترول والطعام.
وقال بأن القادة العسكرية في المدينه مقسمه على نفسها بين "خلق" و"البارشام" وكل فريق يحاول دعم موقف وتقوية نفسه فى مقابله الفريق الآخر, ولكنه أكد أن كلا الفريقين مصمم علي القتال حتي النهاية, رغم كلامهم الكثير عن الوفاق والصلح.
الاثنين 19 فبراير 90
في وقت الضحي كان مركز خليل يضج بالنشاط, وعسكر من الفارين يقومون بكل نشاط بتنظيف صواريخ كاتيوشا من التراب والشحم تمهيدا لتوزيعها الى قرب الخطوط الاولي, وسيارات البيك آب تأتى لتحميل الذخائر من المغارات المحيطه بالمركز ثم تذهب مسرعه, وعلي بعد أمتار من المركز هناك دبابه قد وصلت حديثا بالامس وهي مغطاه بغطاء من قماش عسكرى سميك, بينما دبابة أخرى يعمل يها طاقم الاصلاح الذين غطاهم الزيت الأسود والأتربه حتى صاروا كأشباح مخيفه لايحاول أحد مصافحتهم, ومخبز المعسكر قد إزداد نشاطه وتعزيز عدد العاملين فيه, فالجبهة كلها تأكل خبزها من هنا, ثلاث مرات يوميا ... فهو إذن لايكاد يتوقف غير ساعة أو إثنين أثناء النهار, والعديد من المراكز يعتمد على مطبخ مركز خليل في كامل الوجبات -- مثل مركز الترصد مثلا.
ورغم الأمطار والطين والبرد فى أيام الشتاء إلا أن الأعمال الإدارية كانت تسير بشكل جيد -- على الأقل كانت الشكاوى نادرة -- وجزء من الفضل فى ذلك يعود الى التوفيق فى العمليات الذي ينسى الناس الجوع والمتعب, وحتى عدم توافر الأغطية فى ليل خوست القارس.
لكن اليوم مشرق وجميع الدلائل تشير الى أن عملية ما على الابواب, ولم يكن هناك أكثر أهمية من الجبل المتبقي أى (وراتورغار) الذى جعل الانتصار الضخم يوم الجمعة الماضى معلقا بين السماء والارض.
كانت إحدى سيارات البيك آب فى طريقها لنقل طعام وزخائر الي موقع دبابه خليل الشهيرة, فوجدت من المناسب زيارة تلك الدبابة الرائعة وموقعها العجيب, والرأى الصحفى البريطانى "تيم" أنها فرصه مناسبه أيضا أن يقوم بزيارة الى موقع فى الخطوط الاولى قبل مغادرته الى ميرانشاه اليوم.
فتحركت بنا السيارة المكدسه بالمجاهدين والصناديق والخبز وأوعية الطعام, بعد حوالى ساعة كان في "بورى خيل" حيث مركز د. نصر الله قائد كتيبه سلمان الفارسى, وهو مركز ضخم ملئ بالمغارات وأمامه ساحه متسعة بين الجبال, وتفصله عن وادى خوست القريب عدد من التلال المنخفضه, وعلى مسافات غير بعيده عده مراكز مدفعيه وراجمات صواريخ للمجاهدين, لكل منها مغارة أو أكثر تستخدم للمبيت وتخريب المهمات, أو للاحتماء من الطيران, وبالفعل فإن مجموعات المدفعيه التى تكاسلت عن حفر المغارات وإستعاضت عنها ببيوت طينيه (كما فعلت إحدى المجموعات) -- أو تلك التى بنت مغارة غير مناسبه, جميعها أصيبت بخسائر في الارواح غير الجرحى -- بعد دقائق أصبحنا فى الوادى الفسيح بلا أى عائق جغرافى عن المدينه, هناك القلعه العتيده على هضبه متون التى أصبحت لدينا رمز مدينه خوست, مثل هو برج إيفل بالنسبه لباريس, إنحرفت السائق صوب

الشرق ومضى بأقصى سرعة ممكنه, وقال بأن سيارته قد تحطمت هنا منذ أيام بقذيفه دبابه... لم يكن ذلك مطمئنا بطبيعة الحال. كانت سحابه الأتربه خلفنا تمتد لأكثر من كيلومتر وترتفع لعدة أمتار.
كان طبيعيا أن يرسل لنا العدد قذائف الترحيب, وهو ما حدث فعلا ولكنه أرسلها الى المركز الذى نقصده.
كنت أحمل عدة قتال كاملة فسألنى تيم عن السبب فقلت له.
"لأننى إذا وقعت في الاسر فسوف يقتلوننى فورا , أما أنت فسوف يطلق سراحك خلال إسبوع لانك أوروبى."
ذهبت الى دبابه خليل موقعها, كانت تحت جرف تحجبها عن أعين العدو فى الوادى, ولكنها ظاهرة تماما للعدو فى (تورغار) وما خلفه, لم يكن يحيط بها أى تحصينات تذكر, كانت ببساطه واقفه تحت الجرف.
فى ظنى أنه كان يمكن عمل الكثير بالنسبه لدبابة مستهدفه من الجو ومن الهاون كأكثر من أى هدف آخر في كل الجبهة, ولو أن ذلك قد حدث فلربما وفرنا فى عدد القتلى الذين تساقطوا حولها, سواء من الاطعمه أو المساعدين.
وعلى أيه حال فإنه فى دبابه فى مثل ذلك الموقع لا يمكن أن يصمد فيها بشر عاديون, يكفى فقط عشرات الغارات الجوية التى هاجمتها ومحاولات الهجوم الارضية التى قام بها أفراد الميليشيات القبليه.
أما الموقع نفسه وهو فى هضبه مقابله فكان أكثر من رائع فى تجهيزه الهندسى, شبكه كامله من المغارات المتصله الطويله مع شبكه كبيره من الخنادق شبع المرائرية حول الهضبة, وهى تكفى لمسير الأفراد بدون إنحناء, ولما كانت الهضبه غير مرتفعه فإن حضر المغارات كان متجها الى أسفل لتوفير إرتفاع كافى فوق المغارات -- تذكرت السيول ولو أن أحدها تدق الى تلك المغارات لتحولت الى نهر عميق. ولكنهم كانو قد احتاطوا للأمر بشكل جيد,ولم يحدث لهم أن تعرضوا لتلك المحنه.
تجلت مع تيم فى شبكه الخنادق الخارجيه, ولم يكن قد سبق لى ان رأيت تورغار من جانبه الخلفى ومن تلك المسافه القريبه إلتقطنا عددا من الصور, حتى إنهالت علينا فجأة سيول من قذائف المدفعيه, جعلتنا نجري بسرعة الى داخل المغارات خاص وأن بعض القذائف سقط الى جانبنا على حافه الخندق.
رحله العودة كانت أكثر إثارة, والسبب هو (على جول) ذلك الشخص الإسطورى, كان أبو الحارث قد حدثنى عنه كثيرا لكننى أراه لأول مرة.
ولسؤ الحظ أنه جلس معنا فى المقعد الامامى للسيارة, بينى وبين "تيم" الانجليزى, وكان رابعنا هو السائق, أما أنا فقد سحقنى (على جول) بجسده الضخم ولصقنى تماما فى باب السيار, أما تيم المسكين الذى لم يجد مكان للجلوس سوى ما بين كتفى على جول وسائق السيارة.
وإلتصق باقى جسده النحيل فى سقفها, أما "على جول" طيب القلب الشجاع أمام أى شئ فى الكون سوى الألغام -- وهذا سبب شهرته بين العرب -- فقد جلس يكلمنى بلفته المهجنه التي تعلمها -- أو إخترعها -- أثناء عمله بالسعودية لعدة سنوات, عن مغامراته الأخيرة وهى الإقتراب من الخط الأول للعدو, والكلام مع الجنود عبر مكبر الصوت -- وفى الحقيقه أنه لم يكن فى حاجه الى ذلك الجهاز, لأن صوته "السوبر جهورى" كاد أن يصيبني بالصمم خاصة أذنى اليمني التى كمن علي جول, على بعد مليمترات من طيلتها المرهقه أصلا.
قال على أنه إكتسب ود وصداقه الجنود الذين يسمعون له بإحترام وتأثير ولكن الضباط "الملاعين" سيبونه بأقبح السباب الذى يندى له الجبين, ويرغمون الجنود علي إطلاق النار عليه, وحتى ضربه بالهاونات, ولكن مجهوده أشهر, وهرب علي يديه عدد لابأس به من الجنود الذين إستمعوا اليه في النهار وهربوا فى الليل, كان كل ما قاله صحيحا , إلا جزء واحد بسيط, عندما قال أنه كى يتقرب من خطوط العدو فأنه يرفع الالغام "بحرص شديد" فلما رآنى أنظر الى وجهه,ولم أكن قد فعلت منذ بدأ يقصفنى بحديثه داخل طبله أذنى اليمنى -- فشعر بذكائه الحاد أن -- شيئا من الاشاعات قد وصلنى -- اقصد الإشاعات المفرضه التي تقول أنه يخاف (جدا) من الألغام -- فأضاف قائلا : وأحيانا آخذ معى أحد الاخوة العرب ليساعدني نزع الالغام.
وفى الحقيقه لقد أحبه العرب فى مركز أبو الحارث كثيرا وأعجبوا بشجاعته وقوته وطيبه قلبه وكرمه (كان دائما يدعوهم الى بيته كي يذبح لهم حروف -- بدون نقطه على حرف الخاء) ولكن لم يذكر لى أحد أنه لى الدعو الى أكل من لحم ذلك "الحروف", ولكن العرب كانوا يمازحونه كثيرا بالنسبه لموضوع الالغام, وكان هو نفسه يضحك كثيرا من ذلك ويعرف فى النهاية بروح رياضية بأنه يخاف منها كثيرا.
كان من تعامل مع على جول كان يحبه لدرجه غير عاديه -- لذا عندما إستشهد بعد ذلك بعده أشهر بكى عليه الجميع.

حتى خليل -- أخو جلال الدين حقانى الذى يبدوا بطبعه لامباليا -- بكى كطفل فقد أبواه -- حتى أن أبو الحارث كان يتعجب من ذلك, وكان واقفا وقت دفن ذلك "البطل الضخم" وقال بأن خليل إرتمى على القبر وبكى بحرقه لم يرى مثلها قبلا , لم أكن لأصدق أن خليل فعل ذلك لو أن أبو الحارث هو الشاهد والراوي لما حدث.
-لاحظ علي جول أننى أحمل "كاميراتين" للتصوير وحده كبيره بعدس مقربه, وأخرى صغيره توضع فى الجيب, فطلب منى أعطيه الكاميرا الصغيرة -- فإعتذرت بأننى أستخدمها للتصوير لمجله حقانى, ظننت أنى أغلقت عليه الطريق, فقد كانت كاميرتى الخاصه -- ولكنه فاجأنى بالقول " إن حقانى قريبى أنا وهو من نفس القبيله, ثم إننى سأصور بها في الجبهه وأعطيك الصور لتنشرها فى المجله, وأكون بذلك إحد العاملين معكم فيها.
إعتزرت مرة أخرى لكنه أصر وتشبتث مثل طفل صغير تعلق بأحد الالعاب لدى طفل آخر, وصلنا الى المركز ونحن مختلفان.
فعرضت الأمر على حقانى فجعلته حكما بيننا, فضحك حقانى ووافق بأن أعطيه الكاميرا وأن يعمل علي جول معنا مصورا ميدانيا.
إضطررت للاذعان, وكان علي جول أن يطير فرحا.
-بعد إسبوعين تقريبا قابلته فى نفس المركز وكان أبو الحارث قد أخبرنى بأن " على جول" يبحث عنى منذ أيام لأن معه صورا لى.
فسرنى ذلك, ومنيت نفسى بصور نادره من الخط الاول, جاء علي جول ومعه ثلاث صور كلها لأفراد داخل غرفه وفوقهم نافذه مفتوحه, فسألته أين الصور؟ - قال هذه هى تجربتى الاولى فى التصوير وأردت أن أعرضها عليك حتى تعطينى رأيك -- كانت خيبه أمل بالنسبه لى فسألته عن باقى صور الفيلم -- فأجاب بأنها أحترقت جميعا وهذه فقط التى نجحت, فشرحت له بأنها لم تنجح لأن النافذه يدخل منها ضوء شديد, وبالتالى فإن وجوه الأشخاص تحتها جاءت معتمه جدا حتى أنه يصعب تحديد هوية أصحابها.
قال على جول: إذن أنت لم تعرفنى؟ هذا هو أنا أجلس فى المنتصف وعلى يمينى إبن عمى وعلى يسارى أبن خالى.
فسألته بدهشه وكيف أخذت الصورة إذن؟
فرد على مصححا خطائ: لا... يابوى أنا ما خذت هذى الصورة... هذه الصورة خذها لى واحد صديقى.
فسألته: لكنك قلت أنك التقط الصور.!!
فرد بأن الصور التى إلتقطتها لم تظهر فى التحميض وهو يجهل السبب ويريد أيضا فيلما جديدا حتى يحاول ويجرب حظه مرة أخرى.
وبهدؤ وبدون جدال, مددت يدى الى جيب حقيبتى العسكرية وأعطيته فيلما ... فأخذه وهو يشكرنى ومتهلل الوجه.
ولم أشاركه السرور بل ذهبت بى الافكار بعيدا , بحثا عن السبب الحقيقى الذى لأجله أمر ضباط العدو جنودهم بضرب "على جول" بالهاونات.
)))

طلب منى حقانى أن أرافق الصحفى الضيف فى سيارة المركز حتى ميرانشاه لأنه ربما إحتاج وساطتى هناك لدى الأطباء العرب للسماح له بالركوب فى أحدى سيارات الإسعاف التابعة لهم -- وكانت علاقه حقانى وجماعته متدهورة مع الأطباء العرب العاملين فى الهلال الأحمر الكويتى, بل مع الهيئة الكويتية نفسها, فى هذه المرة لم يكن هناك وقت لبروتوكولات التكريم, فالسيارة مزدحمة والطائرات تقصف المنطقه, فقفزت مع الضيق فى الصندوق الخلفى لسيارة إسعاف كان بها جريحين.
السائق يحاول الطيران لينجو بنفسه وبمن معه من القنابل المتساقطه, وإضطر للتوقف مرة أو إثنين حينما حاصرته الرمايات من الأمام ومن الخلف, تنهدت مستريحا عندما غيرنا نقطه الحدود فى غلام خان, لقد إنتهت مطاردة الطائرات كما إنتهت مطبات الطريق الصخرى.
في مكتبه حقانى الرئيسى كانت ثلاث سيارات إسعاف مهيئة للتحرك صوب بشاور -- وقبلوا أن يصحبوا "تيم" بدون صعوبه, ولكنه إعتبر أننى ساعدته كثيرا وكن مجاملا معه عندما حضرت وإصطحبته الى ميرانشاه, وأوصيت الأفغان الذين فى القافله أن هذا الصحفى هو ضيف حقانى, فأسرعوا بتقديم كل مساعدة ممكنه له.

وهذا التقليد بإحترام الضيف, وكذلك إحترام ضيوف الآخرين هو واحد من أعرق وأنبل الأخلاق الأفغانية.
عدت مسرعا الى "مركز خليل" فى أول سيارة صادفتها, ثم إنتقلت الى جبل الترصد والقيادة فى سيارة مركز خليل التى كانت تنقل الماء والخبز الى هناك وصلت الي القمه فى حوالى الرابعة وكان حقانى هناك -- وفورا بدأت مدفعية المجاهدين فى العمل ضد (تورغار الصغير.(
وأخبرنى عبد العزيز أن القصف الجوى على تورغار لم يتوقف منذ الثانية ظهرا وحتى الآن ولكن لم يبلغ أحد عن وقوع إصابات مدفعية المجاهدين أصابت مخزن مواد غذائية وذخائر فوق تورغار الصغير وقتل هناك عدد من الجنود, أبلغنى عبد العزيز بذلك بعد أن إستمع الى مكالمات العدو اللاسلكية, وكانت سحب دخان تتصاعد من فوق تورغار الصغير.
--الساعة 5.20: غاره على الخط لاول للمجاهدين في جبل تورغار.
--الساعة 5.24: غارة أخرى على نفس الهدف, ولكنها أصابت خطوط العدو نفسه فى جبل (تورغار الصغري) وأحدثت خسائر, وقد هلل المجاهدين بذلك.
--الساعة 5.37 دبابة خليل تضرب بعنف مراكز العدو في الجبل الصغير الدبابه التي من المفروض أن تصمل من شرق الجبل لم تصل حتى الآن.
--الساعة 5.55: جماعة الكوتشى يتصلون مع حقانى, ويقولون بأن العسكر يهربون من الجبل, وأنهم سيطاردونهم, حقانى يضحك ويصيح فيهم مشجعا , وكانوا يتقدمون من شرق الجبل.
--الساعة 6.00: مكالمه لحقانى من المهاجمين, نحن نحاول الإقتراب بسرعة من دفاعات الخط الأول حتى نستطيع من الضوء الباقى لنتفادى الألغام.
--الساعة 6.06: جماعة من الكوتشى بقيادة "أورانج" يصلون الى الخط الاول للعدو فوق الجبل.
حقانى يصدر أهم قرارات اليوم... لقد أمر المدافعين عن تورغار الكبير بالنزول الى تورغار الصغير ومساعدة زملائهم في تطهيره والدفاع عنه ضد أى هجوم معاكس.
لقد صار "تورغار العظيم" مجرد خط خلفى لإسناد خط الدفاع الأول الذى إنتقل إلى شقيقه الأصغر ؛ورا تورغار.»
لقد كان متألقا هذا اليوم... وكذلك فرق المهاجمين خاصه الكوتشى -- جماعة الشهيد عبد المنان -- والذين يقودهم أخوه -- جولاب -- وقد إنضم إليه اليوم القائد الشهيد أورانج, وهو من نفس الفريق.
لقد أثارت شجاعة ذلك الفريق الحماس والبهجه كما أثارت الإبتسامات والضحكات, ومن أشهر نكاتهم هو إسخدامهم موجه لاسلكية واحده, منذ إستلامهم لتلك الأجهزة -- وحتى نهاية الحرب.
وهذا الرقم هو 444, وكانت الحكومه تضعه بإستمرار تحت التصنت وكانت تعرف نواياهم -- ونوايا المجاهدين -- من خلال هذا الرقم, وجماعة الكوتشى لا يكذبون أبدا , لذا فهم مصدر موثوق لدى الحكومه, أما عندما يلجأون الى السريه -- وهذا لا يحدث إلا بعد نجاح الإقتحام وبداية جمع الأسري والغنائم فأنهم يستخدمون شيفره ليست كثيره التعقيد -- كما حدث هذه اليله مثلا , فعندما يأسرون جنديا فإنهم يقولون على المخابر "لقد أمسكنا بقره", أما إذا أسروا ضابطا فالرساله تكون "لقد أمسكا خنزيرا."
الساعة 6.09: وصلت الطائرات نفاثه فقصفت تورغار الكبير وما حوله, بعد الغارة قال المجاهدون أنه لم يصب أحد منهم.
الساعة 6.12: قائد العدو علي الجبل الصغير يطلب من قيادته فى المدينه إرسال مصفحه لنقله, وبعد ذلك الإتصال إتصل حقانى بالمهاجمين وطالبهم بالبحث عن ذلك الضابط وأمساكه حيا.
الساعة 6.18: راجمات الصواريخ لدى العدو تطلق قذائفها ضد تورغار. وعبد العزيز وجماعتة يشوشون على موجه اللإسلكى الخاصه بمدفعيه العدو.
الساعة 6.20: عبد العزيز يخبر حقانى أن طائرات نفاثه قادمه للقصف, وحقانى يأمر المجاهدين بوقف الرمايات حتى تنتهى الغارة الجوية ؛وكان الوقت ليلا ومن السهل على الطيار تحديد موقع رمايات المدفعيه ومن ثم إصابه المدافع.»
أقبلت الطائرات وأفرغت حمولات كبيره من القذائف العنقودية فوق تورغار, ومخابره من المجاهدين هناك تقول: لقد أصابوا جنودهم فى تلك الغارة, ويبدأو بعض الأسرى قد أصيب بالقنابل العنقودية.

الساعة 6.27: غارة جوية على تورغار إستخدمت فيها قنابل عنقودية ثم قنابل ثقيله الوزن, ثم غارة جوية على قاعدة المجاهدين فى (بورى خيل) حيث غوند (كتيبه) سلمان الفارسى.
الساعة 6.29: السيارات الحكومية وصلت لنقل الهاربين من الجبل الى المدينه.
الساعة 6.36: ثلاثة من المجاهدين الكوتشى عثروا على سته من الجنود وأخذوهم أسرى, حقانى يضحك ويصيح بهم مشجعا على جهاز اللاسلكى (زنده باد.(
الساعة 6.40: ضحكات النصر وممازحات مع الكوتشى من حقاني وباقى المجاهدين, فقد كانوا هم نجوم هذا اليوم.
هبط الظلم على المنطقه إلا ما تبقى من شفق ضعيف.
وطائرات الانتينوف القاذفه تشف عده غارات متوالية, ولكن بدون ان تحقق إصابات.
الساعه 9.25 : كان داخل الغرفه نلتمس شيئا من الدفء, سمعنا صوت إنفجار صاروخ سكود, وتبعه صاروخ آخر بعد ثوان كانت رسائل تهنئه للمجاهدين قادمه من كابول.
الساعه 11.30 :كنت مستغرقا في النوم داخل الغرفه التى إمتلأت بالمجاهدين وكل فرد نام بطرقه عشوائية, أيقضنى حارس حقانى وقال بأن الشيخ سوف يغادر الي معسكر خليل ويسألنى إن كنت سأرجع معه أم أبقى حيث أنا, فأجبت بأننى سأبقى هنا.
سمعت صوت السيارات تغادر المركز, ومن وقت لآخر إستيقظ علي صوت إنفجارات كبيره وأصوات الطائرات بأنواعها تروح وتجئ, ولكى لم أشعر بالقلق أو الإنزعاج, ولا أحد ممن حولى تزحزح من نومته, فالكل يعلم أن الطائرات -- كل الطائرات -- لن تعيد (عائله تورغار) الى قوات الحكومه مادامت تلك القوات قد فرت ولا تنوى العود مرة أخرى
الثلاثاء 20 فبراير 90
صباح مشرق جميل, ولكنه عند المجاهدين نذير ليوم صعب مع الطيران, وهذا ما كان.
لقد أرسلت الدوله كل سلاحها الجوى, ولا أستبعد أن الروس هم أيضا شاركوا, كان الطيران مصابا بداء الكلب, هائجا بضرب فى كل مكان, لاتشعر له بهدف محدد.
ولم يكد يتوقف طوال اليوم.
الساعة 8.33: أول غارة اليوم على مركز خليل -- حيث حقانى متواجد -- ألقوا هناك ثلاثه قنابل من عيار ألف رطل, ثم قنبلتين على توده شنى, وإثنين تحت تورغار الكبير.
الساعة 8.43 : فاصل من الجنون, طائرات كثيره تقصف فى أماكن متباعده وفى كل مكان, وعلى أى هدف !! تصاعد دخان كثير فى معظم المناطق, خلف تورغار الكبير, وفى منطقه دروازجى (شرق تورغار) ومنطقه ليجاه.
الساعة 8.50: كان قطار بخارى يسير خلف موقعنا, لقد رمت الطائرات قذائف نابالم كثيره خلفنا فأنتجت سحبا من الدخان الأسود اللزج علي طول كيلومترات, ثم قنابل ثقيله أمام موقعنا ثم قصف علي مناطق المدفعيه والمناطق الإداريه فى بورى خيل.
الى جانب النابالم والعنقودى ظهرت القنابل الفسفوري بدخانها الابيض الجميل الذى يتصاعد فى أعمد رشيقه على غير العاده -- شجر الحور العتيقه القريبه من بورى خيل أمسكت بها نيران الفسفور وبدأت تحترق, فشعرت بالحزن, قريبا منها راجمه صواريخ وموقع مدفعى للمجاهدين ولكنها مزوده بمغارات جيده وحفر للخنادق.
الساعة 8.55: فى جنوب تورغار الكبير غابه كثيفه من الدخان المنطقه هناك مليئة بالشجيرات, ومع النابالم لابد أن تكون المنطقه قطعه من لهب.
الساعه 10.20:غارة جوية ضد دبابه خليل تحت الجرف, وغارات مباشرة ضد تورغار الكبير والصغيرة.
الساعة 10.30 الى10.50: غارات متصله لاتتوقف على أماكن متفرقه الساعه 11.20 الى 11.30 الى 11.35 القنابل العنقودية لاتتوقف فرقعاتها فى الارض أو فى السماء, وخيوط الدخان التى ترسم مسارها.
الهابط من الجو نحو الارض -- بعد إنفجارها الاول في الفضاء والذى تعقبه إنفجارات كثيره فى الفضاء أيضا ثم عناقيد من اللهب الاحمر الهابط الى الارض حيث يتفجر وينشطر في فرقعات لاحصر لها من النقابل الصغيرة على سطح الارض.

تفجيرات لاتنقطع فى الجو, ثم شلال من النيران الحمراء يجر خلفه دخان أبيض هابط نحو الارض, ثم تفجيرات بلا عدد فوق سطح الارض -- تلك هى القنابل العنقودية التى لايقاد يتوقف سيلها النازل من السماء.
الساعة 12 : ظهرت الانتينوف لأول مره وبدأت ترمى قذائفها الثقيله فى خط طويل منتظم -- كما هى عادتها -- الجو صحو تماما , حتى أننا نشعر بالحرارة -- لا أدرى أكان ذلك من الإنفعال, أم من نيران الحرائق حولنا في كل إتجاه, أم أن الشمس حار فعلا فى ذلك اليوم من فبراير.!?
من أخبار عبد العزيز: أمسك المجاهون دبابه سليمه بالامس فى منطق تورغار الصغير وهم ينظفون لها طريقا من الالغام حتى ينقلوها الى مواقعهم.
-حصلنا أخيرا على ساعتين راحه, ثم إستأنف الطيران عمله كالمعتاد عند الظهر وصل الشيخ حقانى ومعه عدد من قادة العمليات مثل مولوى حنيف شاه ومولوى أليف جول وغيرهم, وبقوا مجتمعين حتى حول الظلام وإنصرفوا بدون أن أتمكن من الحديث مع حقانى.
إكتشفت أنهم أحضروا حقيبتى وبها الكاميرات, كان الوقت متأخرا جدا بعد أن ضاعت فرص تصوير الجنون الجوى الذى حد اليوم.
ومع هذا فإن الطيران إستمر يعمل طوال الليل ولن بكثافه أقل مما حدث فى النهاية.
حاولت الحكومه عند العشاء التمهيد لانزال إحدى طائراتها العسكرية فى المطار, فقامت بغارات شديده ضد "جبال" تورغار لتغطية هبوط الطائرات, ولكن تورغار الكبير إستخدم أحد مضاداته الجوية الثقيله (23 مليمتر) ضد الطائره وهى فى الجو -- ولكنه لم يحقق إصابات. ولم تنجح تلك الطريقه فيما لايقاف محاولات الهبوط فى المطار, أرسلت اليهم إقتراحا فيما بعد بأن يستخدموا ذلك المدفع ضد مدرج المطار عندما تهبط الطائر لأنها تكون في حالة سكون ويمكن إصابتها, لكن الإقتراح وصل متأخرا لأن دبابات العدو عطلت أحد المدفعين وأصابت الأخر بشظايا فقرروا تفكيكه وإنزاله من فوق الجبل حتي لا تدمره القذائف المعادية.
في نفس الليله, وقبل أن يهبط حقانى وضيوفه شاهد الجميع عرضا ناريا هائلا فى سماء خوست, فوق الوادى من جهه الغرب صوت إنفجار كبير وكره ضخمة من النيران في السماء ثم إنفجار آخر وتفتت الكره الى ثلاثة أجزاء أو أكثر تهوى مشتعله, لم أفهم مغزى ما أراه لكونها المرة الاولى الذى أرى فيها مثل ذلك المشهد, لكن عبد العزيز العجيب أتى لنا بالخبر فقد إتصل به المجاهدون في الجبال الشماليه المواجهه لنا, بأن المجاهدين فى (انى خيل) كانوا فى كمين فوق الجبال ومعهم صارخ ستنجر, فأصابوا به طائرة نقل حكومية من كابل عصبيا وعديم الجدوى كالعادة.
فقد ضربوا مطقه بارى بصاروخ سكود, ووصلنا التقرير التقليدى -- لم يصب أحد, ومن الطريف أننا شاهدنا صاروخ سكود وهو ينطلق من كابل وخلفه خيط أحمر طويل إستمر لثوان ثم إختفى لفترة الى أن سقط في بارى, وكان الوقت كافى كى يبلغ عبد العزيز جميع المواقع بأن "سكود" قادم.
ويأمرهم بالانزار التقليدى "ستر وأخفاء."
-تأكد اليوم أن المجاهدين في عمليتهم ضد تورغار الصغير لم يتكبدوا أيه خسائر فى الارواح ولا حتى جرحى.
الاربعاء 21 فبراير 90
حاجى ابراهيم -- الذى عاد من ميرانشاه -- بأن كبير ضباط الإستخبارات الباكستانية فى ميرانشاه والمدعو (جنرال إمام), وقد دعا كل قواد خوست الي إجتماع فى الغد -- قد يعقد فى مضافه حقانى. ويتوقع البعض أنه سوف يدعو الجميع الى التعاون مع حقانى.(!!)
كان خبرا يدعو للتشاؤم, فما أن يظهر هؤلاء الافاعى ويبدأون في دس أنوفهم فى العمل إلا وتتولى النكسات.
وفى معركه تورغار كان ذلك (الإمام) الجنرال فى سلاح الجاسوسيه, كان موجودا هنا فوق قمه الترصد ومعه ثلاثه من الثعابين الصغيرة -- من الضباط المساعدين. وكانوا يراقبون من خلف المناظير المقربه ما يحدث فى الوادى وفوق تورغار الصغيرة والكبير وكان يتحث معهم بالانجليزية التى لايفهمها أحد من الحاضرين, وكنت فى موضع تصنت عليهم بدون قصد فقد كنت فوق صخره أعلى منهم قليل وقد تكوموا أسفل منه خلف كومه صخور, وكانت تعليقاتهم لاتقل سخافه عن تعليقات ضيوفنا السعوديين يوم فتح تورغار, وكان ذلك غريبا على عسكريين بمثل تلك الخطورة.
-كان الجاسوس الكبير يسترح لعقاربه الصغيرة عبقرية فكره وضع دبابه خليل في موضعها, وشجاعة خليل وحساسية مهمته.

وفى لحظه الذروة فى المعركه وحقانى يتصايح ضاحكا وموجها مجموعات الكوتشى -- تلك السباع الضاريه اللطيفه فى مآزقها الفكاهية فوق الجبل -- فهذا قد أمسك عدد من الاسرى /وكان شابا صغيرا / بينما رفاقه قد تركوه مع أسراه وصعدوا الى أعلى لمتابعة الهجوم وهو يسأل حقانى: ماذا أفعل الآن؟
فيجيبه حقانى ضاحكا : إتركهم الآن وتابع الهجوم وسوف نجتمعهم بعد المعركه.
فيلتف إمام الى عقاربه الصغيره قائلا وموضحا لهم الدروس المستفاده من المعارك الدائرة: أنظروا هذه هى القيادة الميدانية, التى تقف وسط رجالها وتقودهم فى أصعب المواقف يكفى الجندى أن يسمع فقط صوت قائده الاعلى, إن ذلك يدفع الدماء فى عروقهم ويحمسهم للعمل.
وقبل بدء المعركه كانوا يساهدون ركام الطائرات المعطله والمحطمه علي طول مدرج المطار, فيقول أحد العقارب: إنها ثلاثون طائرة تقريبا . فترد الافاعي الكبيره: سوف نصلحها وتعمل بها خط طيران بين خوست والأورجون (!!) -- ومازالت باكستان تحلم بحد أدنى من المطامح فى أفغانستان وهي تكوين كيان أفغانى دمية علي طول القطاع الجنوبى لأفغانستان يكون عالة كامله علي باكستان.
وفى ذروة المعركه يصيح الجنرال متعجبا : لماذا لا تستخدم القوات الحكومية الدبابات؟ فيجيبه عقرب صغير: لابد أن تسلسلهم القيادى قد تحطم.
وعندما جاء الخبر أن القوات الحكوميه تهرب من فوق الجبل بينما المجاهدون وصلوا الى قمته. التفت الجاسوس العجوز الى صبيانه وقال بحكمه مصطنعه: هذه هى نهاية الموقف... لقد إستولي المجاهدون علي المنطقه.
فى ظنى أن أجهزة الإنذار قد أطلقت من أمريكا لما يحدث في خوست وكان على أسياد الجنرال إمام أن يواجهوا له التوبيخ علي فشله فى كبح حقانى -- مع الإحتفاظ برباط الود الظاهرى معه -- شعرت أن هناك مؤامرة باكستانية قادمه الي خوست نسأل الله اللطف.
--غارات اليوم لاتقل عنفا عن غارات الأمس لكنها أكثر تركيزا ومنهجيه, وحتى الحادية عشر ظهرا كانوا قد غطوا كل المناطق الهامه بغارات مركزه -- ولكن لم يبلغ أحد بوقوع خسائر -- الساعة الواحده ظهرا ... لاشك مع كل هذا العنف الجوى أن الحكومه توجه ضربه أجهاضيه لهجوم متوقع علي المدينه.
ولا أن تتوقع ذلك بعد إستيلاء المجاهدين علي عائله تورغار وبالتالى هناك ثغره واسعة في الخط الدفاعي خاصه من طرف تورغار والجبل المواجهه للمطار فالمواقع فيها ثانوية وليس متينه بالشكل الكافى وكانت كلها متكئه على تورغار, والحكومه فى حاجه الى عده أسابيع لتقويه خط دفاعي جديد -- ليس فيه تورغار -- وهى نقطه ضعف أكيده الطائرات غير متأكده تماما من موقعنا -- أو أنها أخذت أحداثيات خاطئه من المراقبه الأرضيه. قذائف عنقودية كثيره حولنا أمام وخلف ويمين ويسار, تورغار أصابه نصيب وافرمنها.
الطائرات المشاركه كثيره بشكل غير عادى, يبدو كأنه طيران "دولى" وليس أفغانى فقط. اذا أرادت أن أطلق إسما على هذا اليوم فسوف أسميه "اليوم العنقودي", من كثره عناقيد النار التى هبطت علينا من السماء, لكن الله حفظ الجميع بمعجزه لالبس فيها, فنصف القنابل التى ألقيت فى فتره الصباح فقط كافيه لقتل جميع المجاهدين عدة مرات!!
اليوم إلتقطت من الصور للقصف الجوى ماعوضني عن عدم التصوير بالامس.
وصل خبر من مجاهدين (انى خيل) بأنهم فتشوا حطام الطائرة التى أسقطت بالامس فوجدوا بها عشرين جثه لضباط وحصلوا علي بعض أوراق الهدية مازالت سليمه, كما كانت الطائرة تحمل ذخائر, كما حصلنا علي قائمه بالغنائم التى حصل عليها المجاهدين من عمليه (ورا تورغار) وهي كالتالى:
18أسير, 19 كلاشنكوف, ا دبابه سليمه, 2 شاحنه عسكرية, 1 هاون غرناى, 2 ذيكوياك (رشاش ثقيل 14.5 مليمتر), ا شلكا (23 مليمتر), 12 جرينوف خفيف, ا جرينو ثقيل, 2 مولد كهرباء, مخابرة كبيره, ذخائر كثيره جدا لمختلف أصناف الاسلحة (المخازن الرئيسيه كانت هناك) مسجلات بتلفزيونات.(!)
توقف القصف لمدة ساعتين لهذا اليوم أيضا , فإنهزت الفرصه ونزلت مع حاجى إبراهيم لمقابله حقاني فى مركز القيادة (مركز خليل), وكان إتفاقنا معه أن أذهب مع حاجى إبراهيم لزيارة تورغار, عند المركز قابلنا صديقنا القديم المجاهد قديما والمصور التلفزيونى حاليا (ذكى), وكان قد زار تورغار وعاد لتوه من هناك لقد سبقا الى هناك كما سبقنا أيضا شاب أردنى مجاهد ويعمل صحفيا فى مجله الجهاد فى بشاور, وعلمنا أنه زار الجبل بعد فتحه بقليل ولكنه فى رحلته خرج قليلا عن ثغرة الألغام فانفجر به لغم اطار قدمه وأصابه في وجهه -- وقد نقل الى بشاور للعلاج.

وكنت قد تعرفت عليه العام الماضى وكان من الاردن ومن أصدقاء أبو الحارث, وقد قامت بيننا صداقه وتفاهم كانت بالنسبه لى نادره فى الاوساط العربية هذه.
أخذتنا أحدى السيارات المواجهه الى مركز د. نصرت الله فى بورى خيل, كان علينا قطع الرحله علي طريقه (الاوتوسوب) لعدم إمكان توفر سيارة خاصه.
وصلنا مركز د.نصرت الله وكان المنطقه قد قصفت بوحشيه خلال اليومين الماضيين, وكان جزء من الرجال فوق تورغار هم من مجاهدى ذلك الغوند, فوجدنا سيارة تحمل اليهم إمدادات عبارة عن كيس من الحمص, وثلاثه صفائح بترول, ركبت مع ابراهيم فى صندوق السيارة ومعنا راكب آخر, وفى المقدمه السائق ومعه رجلان, كان الجميع في عجله غير عادية قبل أن تدهمنا الطائرات وما أن بدأ السائق فى الحركه حتي ظهرت فى السماء ست طائرات فضيه دفعه واحده, وجميعها متجه نحونا, فيما ظهر لنا, صاح ابراهيم يعاونه الركاب الآخ بالسائق أن توقف على جانب الطريق لأن الطائرات النفاثه قادمه نحونا, لم يسمع السائق ولكن مع الصراخ المتواصل والدق العنيف فوق كابينه القياده توقف السائق واخرج يده وهو يصرخ بغضب: ماذا تريدون.?
وقبل أن يسمع فقد رأى الطائرات فأدخل رأسه وضغط بكل قوته علي دواسه البنزين بينما اختلفت آراء الساده الركاب جزء يصرخ طالبا التوقف, وجزء آخر يصرخ طالب العجله في الرحيل بأقصى ما يمكن من قوه.
لكن السائق كان قد قرر - بوعى أو بدون وعى -- فقد إستمات قدمه علي دواسه البنزين, وتيبست أذراعه على مكان القياده واقتحم اهوال الطرق أولها جدول الماء الرقراق, التى تحول نافوره ضخمه تلف سيارتنا وخرج منها الى كتل الحصى المستديره الكيبره وصخور مختلفه الاحجام فكان يقتحمها بلا تمييز, ثم سمعنا فرقعه العنقوديه فوق رؤوسنا, فأيقنا بالهلاك, فانبطحنا "المجموعة الخلفيه" فى صندوق السيارة (!!) وكنا نضحك من شده اليأس فما معنى أن ينبطح الأنسان فى صندوق سيارة مكشوفه بينما أطنان من القنابل العنقودية الصغيرة تهبط نحو من السماء ?!!. نطقنا بالشهادتين وقلصنا عضلات أجساما بشده تحسبا لتناثر الاعضاء من جراء الانفجار, واغمضناالعيون نص اغماضه مع الضغط الشديد على الأسنان -- التي لم ترتعش لحسن الحظ -- ثم دوت انفجارات العنقودى حولنا, ويا لدهشتنا ان وجدناها تنفجر على الهضاب المرتفعه بينما وشمالا , أما وادينا الضيق المتلوى فلم تسقط فيه واحده مها.!!
وكأن الامر لم يعجب واحدا من الطيارين الاشرار فانقض علينا بطائراته التى خلعت قلوبنا وسيارتنا وهى تمرق من فوقنا, وتلقى بقنبله ضخمه على هضبه مواجهه لنا.
لم نكن قد متنا بعد ولكن كنا فى نصف إغمائه عندما سمعنا إنفجارات من كل الانواع محيطه بنا وبالمراكز حولنا.
ولما تبين لنا أنها ذهبت -- أى الطائرات -- بدأت أصواتنا تخرج فهذا يضحك بهستيريا وذلك يصيح إعجابا بمهارة السائق -- الذى هو بطل رغم أنفه -- حتى وصلنا الي مركز المدفعيه المقابل وكان به قاذف صاروخى كبير وراجمه صواريخ -- سألناهم عن الاحوال -- فكانت ؛خير خيرت« فلا إصابات, فحمدنا الله وواصلنا المسير ونحن نضحك عل تصرفاتنا العاجزه والحمقاء وقت الغارة -- أى وقت مصافحه الموت عن قرب.
إنحرفنا مع الطريق جهه الشرق ومررنا من أمام قلعه بوري خيل المدمرة -- والتي دمرها المجاهدون بعد فتحها عام 1980 تقريبا.
فى الطريق أقام المجاهدون مركزا لصناعة الخبز لتزويد مجاهدى تورغار وما حوله -- وكان المركز على المدق الضيق من طرف جبل رومانكى المجاور لتورغار وزمامه ساحه واسعة بها شيجيرات بريه وقد بثت الالغام في تلك الساحه, خاصه تحت الشجيرات التى يمكن الاحتماء تحتها من حرارة الشمس, وهى الغام وضعتها القوات الحكومية للحد من حرية حركه المجاهدين فى المنطقه المواجهه لتورغار, والتي يصعب مراقبه معظمها من فوق الجبل بسبب الشجيرات الكثيره وبسبب زوايا الرؤية التى لا تتيح المرقبه الجيده من فوق الجبل.
على اليمين المدق فى منحدر صغير هناك قبل الشهيد السعودى ابو الدرداء الذى استشهد فى محالوة فاشله للمجاهدين للاستيلاء على تورغار, وهو الشهيد الذى حاول مولوى عبد الحليم سحبه من بين حقل الالغام فضربه لغم هو الآخر وبتر قدمه,نرلنا من السيارة التى انتهت مهمتها عند ذلك الموضع.
وواصلت سيرى مع حاجى ابراهيم وبرفقتنا شابين صغيران السن فى طريقهما لمركز للمجاهدين فى طرف تورغار من جهه الغرب, كان المغرب قد إقترب ومن الافضل لنا الاسراع بوصول مراكز المجاهدين حتى لا نضل الطريق فى الليل فتضربنا الالغام, أو نقع فريسه الغارات الجوي المفاجئة.

وصلنا مركز المجاهدين وكان على نفس إستقامه مركز ابو الحارث الذى يبعد عنه حوالى مئتي متر من جهه الشمال القريبه من مدخل الوادى الكبير.
كان الجو باردا والمغارة مزدحمه فجلسنا فى طرفها وكان علينا أن نقض الليل هنا فلا أحد يصعد الجبل ليلا.
أحد المجاهدين عندما علم أننى عربي, عضب بشده وقال لماذا لا يذهب الى مركز العرب?... لا تقدموا له شئ بروبية واحدة.!!
لم يترجم لى حاجى ابراهيم ما يقوله الرجل الهمام, ولم أخبره أننى فهمت ما يعنيه -- وسكت كلانا على مضض, ولكن باقى المجاهدين كانو أكثر كرما وقدموا لنا الطعام والمأوى حتى الصباح. لم تكن تلك هى المرة الاولى التي أجد فيها ناقمين على العرب من بين المجاهدني قد لمست تلك الظاهرة منذ عام 1986. وكان السئول عنها هو العرب انفسهم خاصه الشباب السلفى الوهابى من السعودية ومصر وغيرها, وكان صرامات "عقائديه" بينهم وبين الافغان الذين لم يكونوا غير شعب من "القبوريين الاحناف المشركين" فى نظرى هؤلاء الشباب الذين لايرون صورة الاسلام الصحيح و "العقيده السليمه" إلا فى انفسهم وفى الطريقه السلفيه والوهابيه.
نمنا فى الثامنه والنصف واستيقضنا فى الخامسه والنصف لصلاه الفجر.
مع الشروق بدأت الطائرات تدك بعنف, وكنا فى المغارة لاندري تضرب, ولكن هناك غارات فوق الجبل, وهذا لا يمكن الخطأ فيه لأننا فى نفس الجبل لكن عن التحامه بالارض من جهه الغرب ويواجهنا بدايه جبل زمانكى الذى كان حتى العام الماضى يشكل جناحا غربيا لمسانده تورغار. وقد إقتحمه المجاهدون بالقوة.
قل زملاؤنا فى الغار بأن خمسة جنود وصلوا عند الفجر, ومعهم RPJ ومسلحين وقد قتلوا ضابطهم وفروا الى المجاهدين.
وقالوا بأن المجاهدين أن ننتظر حتى تأتى البغال لتحميها بالمواد الي تورغار ونذهب معنا -- ولما خشينا التأخير خاصه وأن موضوع البغال غير مؤكد حيث أنها لم تحضر بعد من مكان بعيد كى تمارس عملها الجديد لأول مرة, لذا فضلنا ان نتحرك مع مجموعة من الشباب الذاهبين الى ظهر الجبل, تحرك بنا ركب من عشرة شباب أقوياء فى حركه سريعة نحو الجبل.
كنت مع ابراهيم قرب المقدم, وبعد دقائق صرنا فى وسط الركب ثم خمس دقائق أخرى صرنا فى آخر المجموعة, ثم خمس دقائق ثالثه وجدنا انفسنا منفردين وقد اختفى الركب النشيط -- لقد اكتشف ابراهيم انه مصاب بنزله برد واكتشفت ان جسدى كله يؤلمنى, أما قدمى فى حذائها الجديد فقد ضغط على أحد أعصاب القدم اليمنى حتى كأنه مسمار مغروز في رأسى فصرت أعرج فى المسير.
كنا حريصين على السير فى المدق الظاهر لنا, وقادنا الى ساحه واسع كثيفه الشجر نوعا ما وتقع اسفل القمه العليا في الجبل التى هى أقوي النقاط سابقا عند العدو والتى الى شرقها الدبابه الشهيرة -- والتى إستشهد صديقى عبد الرحمن تحتها بعدة أمتار.
الى هنا ضاعت معالم الطريق, إستطعنا أن نشاهد عده حفر هائله أحدثتها صواريخ سكود, وحفر كثيرة من قنابل الطائرات, وآثار حرائق فى الاشجار التى تغطى سفوح الجبل والوادى البرى المواجه له والذى يشبه مناطق السافانا الفقيره فى أفريقيا, ولا تنقصه إلا بعض الاسود والنمور والبقر الوحشى, ولكن الالغام منعت كل صور الحياه فى المنطقه, ويمكن ملاحظه هياكل عظميه لحيوانات إنفجرت بها ألغام هنا وهناك.
إنها ساحه مخيفه للموت الرابط تحت التراب, وقليلون جرا هم من يعرفون مسالكها المأمونه التى هى قليله جدا على أيه حال.
ولو كنت أعلم الغيب لعلمت أنه بعد عام تقريبا سأقوم مع أبو الحارث وعدد من شباب معسكره بشق طريق فى وسط تلك الاحراش لنربط به منطقه بورى خيل بمنطقه توده شنى كى يصبح مرور السيارات ممكنا لأول مرة فى تاريخ تلك المنطقه, وقد انعكس تأثير ذلك على مجرى المعارك النهائية لفتح خوست كما لم نكن نتصور حدوثه نحن ولا غيرناممن أعجبه إنجاز تلك المجازفه الملغمه, وسنروى تفاصيلها في صيفه.
كنت وابراهيم فى ورطه خطيره,وحلها الوحيد هو أن نعود أدراجنا.
وحتى ذلك ليس بالحل الأمثل والطائرات تقصف كل مكان بما فيه المركز الذى جئنا منه منذ قليل, وهى إذا لاحظت تحركنا على المدق فسوف تقصفنا وتقصفه كما تفعل دوما مع طريق المجاهدين, كنا نرى عدد من المجاهدين يتحركون على سفح الجبل صعودا الى القمه, إقترحت عليه أن ينادى عليهم كى يرشدوننا الي مدخل

الصحيح الى المدق الصاعد الى الجبل, أو أن ننتظر حتى يمر بنا فوج آخر, الله أعلم متى يمر, وكيف نجلس والمنطقه على رأسى مهام طائرات العدو وصواريخه.؟
شاهدنا مواقع لهاونات ومدافع عديمه الإرتداد وصواريخ كاتيوشا وحتى أن بعض القذائف جاهزة للاستخدام ثم تركت كما هى.
يظهر أننا قريبون من موقع ثم إستخدمه مؤخرا لضرب العدو فوق الجبل تقدمنا نحو وتفحصناه ونحن نحاول إحصاء نوعد وعدد الاسلحة التي كانت موجوده والاهداف التي كانت تتعامل معها.
جازفنا بالتقدم أكثر مع أخذ ما يمكن من الاحتياطات حتى عثرنا على ما يمكن تخيل أنه المدق المطلوب وواصلنا السير البطئ وبحرص شديد وما أن صعدنا قليلا فى الجبل حتى كان الطريق كله صخورا صلده لا تصلح إلا لنصب الالغام السلكيه للإعثار, أراحنا ذلك نسبيا فالرؤية جيده, والحاج ابراهيم نظره حاده, وإن كنت أن لست كذلك ولكن ثقتى به كافيه بما يجعلنى أتبع أثار أقدامه بإطمئنان وبعد التدقيق الممكن.
فى أكثر من منطقه كان الصعود شبه رأسى بحيث يتحتم إستخدام الايدى مع الارجل فى التسلق, تقطعت أنفاسنا عدة مرات فجلسنا للإستراحه, كما إعترضتنا عدة غارات كانت تقصف الجبل سواء السفح أو القمه, فجلسنا أو "إنبطحنا" للإستراحه.
وقد سقطت قنابل قريبا منا فأردنا الانبطاح فما كان علينا سوى أن ميل فقط عدة درجات فنلتصق تماما بالارض التى هى جدار صخرى في الجبل القائم بتحدى.
وصلنا بصعوبه الي أعلى النتوء الاسود البارز على سطح الجبل -- أخيرا ... هذا هو تورغار الذى كنا نحلم به منذ سنوات طويله... كم نهرنا لأجل الليالى الطوال, ووضعنا الخطط, وبنينا الاحلام,و واستشهد عبد الرحمن وهو يسعى لتحقيق واحد من اكثر احلامنا طموحا.
ولكنه فتح أخيرا بدوننا, لقد إفتتحه حقانى ورجاله منفردين. مع بعض العرب كأفراد عاديين فى الهجوم, ولم يكن لهم دورهم الخاص أو مهامهم المحددة المنوطه بهم, كنت أشعر بالاسف لذلك, وأشعر بالتقصير أننى لم أشارك شخصيا ولو على ذلك المستوى المحدود, لم أشارك أنا ولا أى من أصدقاء عبد الرحمن المقربين. لاشك أن كثيرا من الاحساس بالمسئولية ينقصنا.
صعدنا الى مسئولية الموقع وهو ال كران (رائد) فهيم, وهو عسكرى سابق فيه سمات الصلابه والإستقامه, ويبدو أنه من النوع الذى ينفذ بحزم الأوامر التى يتلقاها من قيادته العليا.
بعد حديث قصير معه حول الأوضاع فى الجبل ونتائج قصف الطائرات عليهم فقال إنهم فى وضع قوى وأن كل تلك الغارات لم تصب واحدا من رجاله بجرح, وفى ظنى أنه لايمكن لمن لم يعايش الحرب الافغانية أن يصدق هذا الكلام, فالذى يرى تلك الغارات من بعد يستطيع أن يجزم بإطمئنان أنه لم يتبقي أحياء فوق ذلك الجبل.
؛ من الطريف أننى وحاجى أبراهيم وإخواننا فى العمليات ضد المطار تعرضنا بعد ذلك لمثل ذلك الموقف, وعلي جبل قريب -- وكان إخواننا من عرب وأفغان يجزمون أن الطيران قد قضى علينا, وكان يصيبهم من الدهشه لبقائنا أحياء, ما يصيبنا الآن أمام كران فهيم وهو يقول أنه لا خسائر لديه فى الافراد, حتى ولا جريح واحد.»!!!
إلتقطت بعض الصور لقائد الموقع يمسك بيده جهاز اللاسلكى الصغير. وأخذت صورا كثيرا لخوست ومناطق المجاهدين كما تظهر من فوق تورغار, وكنت فى حاله من الدهشه والذهول ولا أكاد أن أصدق أننى فعلا فوق ظهر تورغار الرهيب, أو أنه أصبح جبلا صديقا وليس كابوسا قاتلا.
جلسنا مع فهيم حتى توقفت الغارات الجوية على الجبل -- فلم أكن أرغب أن أكون وزميلى حاجى ابراهيم أول شهداء القصف الجوى على جبل تورغار -- وأعطانا الرجل بكل ترحاب إذن بالتجول فوق الجبل كما نشاء مع الإحتراس عند عبور مناطق إجبارية ولكنها مكشوفه للعدو فى الوادى وقد سلط عليها عدد من فوهات الدبابات ونصحنا إما بالزحف أو بالعدو السريع... أو كليهما ...
قابلنا مجموعات المجاهدين المتناثره هنا وهناك -- قريبا ما مجموع من جماعة ابو الحارث قد تمركزت فوق النتؤ الاعلى بالقمه, كما تمركز آخرون منهم في تورغار الصغير, من الآن فلاحقا وحتى الفتح كان لتلك الجماعة إرتباط حميم مع ذلك الجبل وأدوا دورا لا ينكر فى المحافظه عليه وفى إستخدام بعض الاسلحه من فوقه سببت خسائر ملموسه للعدو.

ومازال أبو الحارث حتى الآن لايعشق مكانا على ظهر المعمورة مثلما يخفق قلبه لهذا الجبل, ولم أر مثل تلك الحاله فى حياتى أن يعشق رجلا جبل ويحبه كأنهما توأمان.
ورغم أنني لحظه كتابه هذا الجزء فإنني أستطيع أن أرى تورغار من منزلى فى خوست تحت هضبه متون المجيده, إلا أننى لا أزعم أننى أحببت هذا الجبل يوما ما, ولكننى إحترمه بكل تأكيد, ولا تبارح مخبلتى صورة عبد الرحمن وهو مدرج فى دمه قريبا من قمته.
ومع الدور الذى قام به أبو الحارث ومجموعته فوق الجبل إلا أنه كان أقل كثيرا مما كنت أتصور -- وسوف يمر علينا تفاصيل ذلك فيما بعد.
دخلت مع ابراهيم الحصن الاكبر الذى انشأه العدو على الحافه العليا جهه الغرب, كباره عن دشمه بدائيه لكنها قويه جدا , مسقفه بجذوع أشجار ضخمة جدا وفوقها صخور وتراب تجعلها تصد أى قذائف ثقيله لدى المجاهدين, وكان يمكن لتلك التحصينات أن تظل عقيبه دائمة لولا دبابه خليل الرائعه وخليل نفسه, الذى كنا نقول عنه أن وأبو الحارث ؛لايفل الحديد إلا خليل«, وإن كان فى صعيد التعاون في عمل الجبهه كنا نعتقد أن خليل يتعمد ألا يجيب لنا طلبا , ولم نقصده مرة فى مركزه (مركز خليل) لطلب شيء عندما يكون أخيه الاكبر (الشيخ حقانى) ليس موجودا -- إلا جابهنا بالرفض قائلا "نشته" حتى أطلقنا تلك الكلمه على المركز نفسه -- وذلك بيني وبين أبو الحارث فقط.
ورغم قوة تلك التحصينات إلا أنها غير مريحه بالمرة, وأى أنسان عادى لا يطيق الجلوس بها أكثر من دقائق -- ويبدو أنه من شده صار المجاهدين فإن العدو إتخذ نفس التحصينات كدورات مياه لقضاء حاجه الجنود, فكانت جانبى التحصين -- وهى مفتوح من طرفين -- عبارة عن صورة من حوارى ميرانشاه حيث تراصت, بلا فواصل تقريبا -- اكداس الغائط المنتن, أما البول فقد غطى كل شئ, لم نطق البقاء طويلا وغادرنا المكان بسرعه, وبشكل عام فإن كل مواقع الشيوعية سواء العسكرية أو المدنيه كان ذات رائحه منتنه ومنظر قبيح يقبض الصدر, وغير صالحه للمعيشه أو الاسخدام, وكان ذلك أشد فى المواقع الجبليه من الخنادق وتحصينات لايمكن لاى حشرة أن تطبق البقاء فيها لدقائق, ولم يستخدم المجاهدون أيا من تحصينات العدو أو خنادقه وإستحدثوا لانفسهم ملاجئ جديده فى زوايا مختلفه.
سرنا فى الخنادق الارتباطيه المواجهه للمجاهدين فى الجنوب, وكنا نراقبها باهتمام في السنوات الماضيه, حتى وصلنا الى موقع الدبابه العتيده التى استشهد عبد الرحمن اسفل منها بعده امتار, كان المجاهدون قد استطاعوا اتلافها قبل عمليه الهجوم, ولكنهم يعملون الآن علي إصلاحها.
فى الخندق الارتباط أثناء عودتنا حبستنا عدة مرات غارات قوي بالطيران ولكن كل القنابل سقطت أمامنا أو خلفنا, وطبعا مع العمل الكبر للجبل المتعامد كان التأثير منعدما لتلك القنابل, لكننا اضطررنا للجلوس داخل الخندق الارتباطى الضيق -- ولاحظت على جداره فى مقابلتى قطع صغيره جدا من ثياب متفحمه وكان الجدار كله أسود فاحم, والثياب ملونه وليست عسكرية فسألت عن ما هويتها, فقالوا إنها بقايا مجاهد سقطت عليه فى الخندق قذيفه مباشره من قنابل الدبابات, فلم يتبقى منه شئ غير هذا الذى تراه.
من الاكيد ان ما نجلس فوقه وأمامه الآن فى ذلك الخندق الضيق هى بقايا مجاهد تبخر بفعل قذيفه مباشر, أما الذى لا أستوعبه أنها قذيفه دبابه كما يقولون فذلك غير ممكن بالنسبه لزوايه رماية الدبابه والارجح انها قذيفه هاون, فهو الوحيد الذى يمكنه اسقاط قذيفه بمثل تلك الزاوية الحاده, ولاشك انه هاون ثقيل (غرنانى), الموجود بكثره عند العدو.
كان حاجى إبراهيم متعجلا فى العودة, والطائرات لاتكاد تتوقف عن القصف, التقطت اكثر من مئه صورة فوق الجبل, وفى طريق العودة ودعتنا الطائرات بمثل ما استقبلتنا من حفاوة وتكريم.
في العودة عثرنا على بعض عظام البشرية منها جمجمه قد إخترقتها رصاصه من الخلف, تصورت أنها عمليه إعدام تمت فوق الجبل لأحد الجنود, عندما حاول الفرار, ثم رموا جثته من فوق الجرف, وتولت السباع تمزيق الجثه وتوريعها هنا وهناك, ما أتعس أن يساق أنسان تحت تهديد السلاح كى يقاتل عكس قناعاته ضد شعبه ودينه !!.
أحد الاماكن التي جلسنا فيها الاستراحه علي المدق اثناد الصعود اصيب بقذيفه مباشره من الطائرة, لاشك ان التوقيت شئ مهم في الحرب.

فى الطريق كان هناك فريق من المجاهدين والجنود منهمكين فى همه في إصلاح الطريق وتميدها لتسهيل حركه سيارات المجاهدين.
كنت معجبا دوما بالحاسه الهندسيه لحقاني, ولاشك عندى انه لن يضيع وقتا فى مد طريق الى رأس تورغار, وأن يصبح "الطريق الدائرى" حقيقه واقعه, وهو طريق تخيلت أنه يصعد من غرب تورغار ويهبط فى جانبه الشرق -- رابطا بذلك تودى شني مع بورى خيل, ورابطا كلاهما مع تورغار فيكون الثلاثه حلقه دفاعية لايمكن للجيش الحكومي إختراقها, بل يكونوا قاعده إندفاعية لعمل هجومي كبير يحمل المجاهدين الي هضبه متون.
(بدلت غاية جهدى لدراسه التطورات الجديده على ساحه العمليات فى خوست والنهج الانقلابى الذى حدث هناك منذ معركه نادر شاه كوت ثم دراجى وما تلاهما.
صحيح أن هناك مناطق واسعة اخذها المجاهدون فى بدايات عام 1989 ونهايات 1988 ولكن ذلك راجع /فى معظمه/ الى خطه القوات الحكومية الي تقليص خطوط دفاعاتهم وتركيز قواتها لتوفير حماية أفضل بتكلفه أقل, وفي خوست هوجمت القوات الحكومية اثناء عمليات الانسحاب تلك فاضطرت الى الانكفاء اكثرمما ينبغى, وتم ذلك في القطاع الشرقى من وادي خوست.
حاولت أن أخرج بنتائج محدره في تلك الدراسه التفصيليه وبذلت غاية وسعى فى ذلك, راجيا ان يؤدى ذلك الى فريد من الفهم الصحيح, لدى الشباب العربى فى أفغانستان.
لتطوير عملهم العسكرى ووضعه فى المكان الصحيح, ولكن أيا من ذلك لم يحدث على أيه حال.
فى العدد الثانى من مجله منبع الجهاد نشرت دراستين مرة واحده عن معركه تورغار -- والثانيه عن التطور الحادث في الاداء العسكرى للمجاهدين فى الفتره الاخيره -- وهو التطور الذي الى فتح المدينه فى مارس 1991 أى بعد عام تقريبا.
وفى علمى ان احدا من العرب -- لم يكتب مثل تلك الدراسات قبلا , ولكن الاوربين ربما كتبوا وحللوا كثيرا فى كتاباتهم التى لم تصلنا على ايه حال, وأن كانت بالطبع كتبت عن بعد وليس بمعاشيه حميمه لواقع الجهاد فى أفغانستان لذا استبعد أنها قد وصلت الى بعض النواحى الهامه حيث أن ارتباط الحرب بالعناصر الانسانى أهم واخطر من ارتباطها بالعناصر المادية مثل التسليح والجغرافيا والظروف السياسية, لقد كانت حرب خوست هى صبغة أفغانية مئه فى المئه لحروب العصابات المستنتجه من حيث الاسلوب (التكتيك) والفلسفه العامه (الاستراتيجيه) من وضع تلك المنطقه المحدرة من أرض أفغانستان, وظروفها الجغرافيه والسكانيه والنفسيه والفكرية... بل وحتى الحاله المزاجيه والتقالي الخاصه لرجال الجبال وللرعاة (الكوتشى) وسكان التجمعات شبه المدينه (خوست جرديز وغيرها.(
وهو حاله خاصه جدا ونادرة, وهي ظهور قيادة ذات جدارة عمليه, وتأهيل دينى عالى - وهو جلال الدين حقانى -- عالم الدين, وأحد أبناء قبيله زدران القوية والاكثر تماسكا , والتي تمتد اراضيها على اكثر المناطق أهمية استراتيجيه ربما فى كل الجنوب الافغاني, واكسب ذلك حقاني نفسه نوع من المناعة فى مواجهه التآمر الباكستانى الدنئ ضد الجهاد وضد الشعب الافغانى, لصالح الولايات المتحدة مع مطامع صغيره لسياسيين عديمى الولاء لوطن أو دين.
والآن نسوق هذين التقريرين لأهميتها التاريخية والعسكرية.
وأحتاط فأقول أننى لا أدعي لهما الكمال, بل هو أحدى محاولات الهواه, قام بها واحده من الدارسين (فى منازلهم) فلم يكن يوما طالبا في كليه عسكرية أو سياسية.
هذا ولم تثر تلك التقارير أية إهتمام يذكر فى وسط المجاهدين العرب فى أفغانستان, ولم يهتم أحد بمناقشه ما جاء فيها بل أن معظمهم لم يقرءها بدعوى أن الحروف الطباعية كانت خالية أحيانا من التنقيط.
والمؤسف أنه حتى الذين من المفروض أن تخصصهم هو العمل العسكرى من بين (كبار العرب) كان ذلك هو موقفهم أيضا.
أما الاذكياء فاعتبروا كل المجله مجرد (بروباجندا) أو أنها كما قال الاكثر ذكاءا هى مجرد ؛آخر شفطه« ولنقرأ معا هذه "الشفطه" العسكرية.

التفاعل المشترك بين معارك خوست ومعركة تورغار

إكتسبت معركه" تورغار" نفس الطبع العام لمعارك خوست ومن أهم السمات:
-الاعتماد علي الحصار لتفتيت قوة العدو المادية وإرهاقه نفسيا.
-مزج أساليب حروب العصابات مع أساليب الحرب النظامية "التقليدية"بما يتناسب وظروف المجاهدين التسليحية والاجتماعية والسياسية.
-اعتماد "استراتيجيه الاقتراب غير المباشر" في العمل بشكل عام.
وإذا كانت خوست تقع تحت طائل الحصار منذ أشهر وطويله (بل سنوات) وأن حلقات الحصار قد إستحكمت بشده منذ الثلث الاخير للعام الماضى (1989) والشهر التى مضت من عامنا الحالى (1990).
فإن جبل "تورغار" قد تعرض هو الآخر لحصار خاص داخل نطاق الحصار العام وذلك منذ أوائل ديسمبر الماضى وحتى تاريخ سقوطه فى يد المجاهدين فى (90/2/16).
من المعروف أن المواقع المرتفعه تتيح للمدافعين مزايا تكتيكيه تفوق ماهو متاح للمهاجمين, الذين يجابهون صعوبه الوصول الي الخط الدفاعي الاول للاستيلاء عليه, وجبل تورغار وعر بشكل خاص من جهته الجنوبيه المواجهه للمجاهدين, وزاد من وعورتها حقول الالغام العميقه والكثيفه والتى زرعتها القوات الشيوعية على مدى أكثر من خمسه أعوام من تواجدها على الجبل.
وفى حملاتها المضاده التى إنطلقت فيها من الجبل المهاجمه المناطق المحيطه بثت كميات كبيره من الالغام فى الواديان والطرق المؤدية إليه حتى أصبح مجرد الإقتراب من المنطقه أمرا فى غاية الخطورة.
ومن مزايا المناطق الجبلية المرتفعه أنها تتيح للمدافع رؤية أشمل لمسرح العمليات, وهى ميزه جوهرية لذلك الجبل الذى يكشف مناطق واسعة جدا من الجبال المحيطه, وإجراء من طرق تحركات المجاهدين.
فتمكنت القوات الشيوعية فوقه من إيقاع خسائر كبيره على مدى أعوام بمركز المجاهدين فى الجبال المحيطه على مدى عميق, إما بواسطه الاسلحة الموجوده فوق الجبل ؛ بعضها أسلحة ثقيله مثل الدبابات 1 مدفع جبليه, هاونات ثقيله, ورشاشات ثقيله... إلخ"
أو بواسطه توجيه نيران مدافع الميدان الموجوده فى المدينه والوادى, وأيضا توجيه الطائرات القاذفه للقنابل.
وتلك الميزه -- كشف مسرح العمليات بصوره أفضل -- كانت أفضل مزايا الجبل بالنسبه للقوات الشيوعية طوال السنوات الماضية, والميزة الثانية دفاعية وهى تتمثل في حماية " البطن الرخو فى الجنوب" حيث تتكدس الاهداف الحيوية للمدينه, فعلى إعتاب تورغار يمتد مطار المدينه بنفس إمتداد الجبل تقريبا وعلي بعد سته كيلومترات فقط.
ثم المركز الادارى والسكانى الرئيسى للمدينه, على بعد أقل من تسعه كيلومترات من الجبل.
فكانت النظره الي الجبل من الجانبين (الحكومه الشيوعية والمجاهدين) أنه المفتاح الحقيقى للمدينه من سيطره عليه إمتلك المدينه.
من جانبهم قام المجاهدون بعده حملات قوية خلال أكثر من خمسة سنوات بهدف إستبعاده السيطره علي الجبل جميعها باءت بالفشل دوى الخبره, وفى كل الحالات كانت صعوبه الوصول الي الخط الدفاعى الاول للعدو هى السبب المباشر فى فشل الحمله, ولعبت الالغام دورا محوريا في ذلك الفشل, وراح ضحيتها معظم القتلى والمصابين فى صفوف المجاهدين.
أما القوات الشيوعية فلم تتوافى هى الاخرى عن تدعيم حقول اللغام حول الجبل -- فى الجبهة الجنوبية بشكل خاص. وعلي شكل حزام دائرى بشكل عام.
الى الجانب تقوية الحصون الدفاعية فوق الجبل وربطه بخنادق إتصال بين جميع أجزائه.
وزيادة تسليح القوة المدفعية بالأسلحة الثقيلة والدبابة ؛ لم يقل عدد الدبابات على سطح الجبل عن دبابة واحدة, وعندما سقط كان علي سطح الجبل عن دبابة واحدة, وعندما سقط كان على ظهره ثلاث دبابات, منها اثنتان مدمرتان.»
وفى السفح الشمالى للجبل -- المواجه للمدينه -- بنيت ملاجئ للاطعمه والذخائر بحيث تكفى عده أيام من المعارك العنيفه أو عده أسابيع من الإستهلاك العادى.

كما مهد طريق المدينه بقمه الجبل مساعدا بذلك على سرعه تموين الجبل وتحريك الاسلحه الثقيله والدبابات اليه وتسهيل إخلاء الجرحي والقتلى أثناء المعارك, فأصبح الجبل جزءا عضويا من المدينه وتبط بها دفاعيا ومصيريا.
كما تعددت المحاولات الفاشله من جانب المجاهدين للإستيلاء على تلك القلعه الجبليه كما زاد "الرادع النفس" الذى يرهق نفوس المجاهدين ويوهم الكثيرين منهم إستحاله تحقيق ذلك الحلم.
وعلى الجانب الآخر تنتعش معنويات القوات الشيوعية حتى صار جبل تورغار هو "أسطور البطوله والفداء" التى تقويم بها إذاعة "خوست" ليل نهار, فالإنتصار الثابت والواضح الذى يمكن للسلطات الشيوعية فى خوست أن تفخر به. وأن تتذرع به القياده العسكرية هناك بأنه مبرر لإدعاء " شرف عسكري" وإنجاز خارق للعادة كان هو بقاء تورغار تحت سيطرتهم ودحر محاولات المجاهدين للإستيلاء عليه فاكتسب جبل تورغار قيمه معنوية عالية لدى الطرفين فى مجال "الحرب النفسيه" والمحافظه على معنويات المقاتلين الى جانب قيمته الإستراتيجيه التى لاخلاف عليها.
بدأ التقرب غير المباشر من جانب المجاهدين للإستيلاء على تورغار منذ أوائل عام (1989), وكانت على خطوات
-الإستيلاء على سلسله الحصون الممتده على مسافه تزيد عن 15 كيلومتر الي الشرق من تورغار بعضها كانت هون قويه. وبعضها مراكز مراقبه وحماية. وجميعها تهدف الى تدعيم الجانب الشرقى للجبل, وتدعيم الحزام الامنى لجنوب المدينه -- ثم إبعاد نيران المجاهدين عن مطار المدينه وإبقاء مدرج المطار بعيدا عن المدى المؤثر لتلك الأسلحه.
-تكرار نفس العمل على الحصون والنقاط الدفاعية غرب "تورغار" والسيطره على السلاسل الجبليه. ويلاحظ أن تلك السلاسل غربا وشرقا كانت أقل إرتفاعا من تورغار نفسه وأقل تأثيرا على سلامه المدينه. ولكنها كشفت جناحى الجبل الى جانب تهديد مطار المدينه وتعرض الملاحه الجوية فيه لمخاطر جسيمه.
-مع تطهير السلاسل الغربيه أصبح متاحا التسلل نحو وادى خوست عبر ممر منطقه بارى القادم من الجبال فاتحا في الوادى.
واصطدم ذلك التسلل بنقاط دفاعية على طرف الوادى وخاصه مركزى (نداد), (مالانج) وبعد عده محاولات تبادل فيها الطرفان السيطره على المركزين إستقر الوضع للمجاهدين وأحكموا قبضتهما علي المركزين فاتحين بذلك الطريق للتسلل من ممر "بارى" الى إجراء من وادى خوست متخطين جبل تورغار كاشفين جزء من السفح الشمالى وطرفه الغربى كاملا.
-من ممر "ليجاه" الجبلى هاجم المجاهدون مركز "سبين كاى" على طرف وادى خوست المواجه لهم وسيطروا عليه. فكون الممرين ؛بارى« ؛ليجاه« أخطر محورى هجوم من الجبل الى الوادى وسيطروا بعد الاستيلاء على النقاط الدفاعي للشيوعيين والمواجهه لهما فى ؛ نداد«, ؛ ملاتج«, ؛سبين كاى.»
سيطروا على شريط فى الوادي يبلغ طوله حوالى 20 كيلومتر وبعمق يتراوح بين ثلاثه وخمسة كيلومترات.
وكان ذلك أول تسرب كبير للمجاهدين من جبالهم الحصينه الى وادى خوست, وكان ذلك كافيا لإنعاش آمالهم بالضرب عميقا فى "دراجى."
والاهم هو التفكير فى الإلتفاف على الجبل الاسطورى "تورغار."
-من شريطهم الضيق نسبيا والذى سيطروا عليه. فكر المجاهدون. انطلاقا من ممر "بارى" مهاجمة الطريق الخلفى الذى يربط "تورغار" بالمدينه ويمثل شريان الحياه للجبل والمدافعين عنه, وتدريجيا أصبحت مراكزهم المتقدمه تسمح لهم بالتقدم ليلا وبث الالغام على ذلك الطريق . وعدد من أسلحتهم المتقدمة أصبح الطريق الحيوى في مداها المؤثر. وهكذا أغلق الطريق فى وجه إمداد القلعه الجبله وكانت أول خطوة كبيره نحو حصار الجبل.
لقد إستعاضت القوات الشيوعية عن الطريق الرئيسى المغلق بطريق آخر فرعى يمر من وسط الجبل وتحمل عبره الإمدادات علي ظهور الجنود والبغال.
ولكن ذلك أصبح مرهقا وبطيئا وغير كاف بالضبط كما هو طريق تهريب الطعام والوقود الى خوست المحاصره بواسطه عصابات التهريب عبر الحدود الصديقه.

وفى ظل هذه الظروف وهذه الدرجه من الحصار -- غير التام -- ولكنه مزعج ومربك نفسيا للمدافعيين, خاض المجاهدين محاوله إقتحام إقرب إلى الإكتمال الفنى ولكنها لم تكلل النجاح فى (15/1/90) وكما حدث فى المحاولات السابقه لم يتمكن المجاهدين من الوصول الى خط الدفاع الاول للعدو.
فقرر المجاهدين عندها عمل تسلل وإلتفاف مماثل على الجناح الشرقى للجبل, وقد كان ذلك أمرا صعبا للغاية لوجود مراكز خلفيه للعدو على تلال صغيره تجعل العمليه غير ممكنه تقريبا . فلجأوا الى حيله جريئة بأن حفروا خندقا مغطى عملوا فيه بدأب ومثابره ليال طويله عن حواف تورغار الشرقيه ثم مالوا به ناحية الشمال, وفى النهاية اصبح فى إمكانهم -- بشئ غير قليل من المجازفه -- البقاء فى الخندق نهارا بين حصون العدو وفى متناول نيرانه, ومهاجمه طرق إمداد تورغار ليلا إما ببث الألغام فيها, أو إطلاق النيران عليها, وسبب ذلك ذعرا للقوات المدافعه وأحبط معنوياتها, فقد تأكدت بأن جناحيها والمؤخره فى خطر واهم, وأن خطر الهجوم لم يعد مقصورا علي الاتجاه الجنوبى فقط بل اصبح دائريا , وأن خطوط إمدادهم وإنسحابهم -- عند الضرورة -- لم تعد مأمونه.
وإنعكس ذلك بوضوح فى قتالهم عند الهجوم الأخير الذى إستولى فيه المجاهدين على الجبل إذا كان أقل بكثير مستواه السابق, ولم يظهر فيه العناء والتصميم الذى ميز قتالهم دفاعا عن الجبل لعدة سنوات.

"تعديل التكتيك"
تميز المجاهدون في معارك خوست بالقدره على مقديل أساليبهم التكتيكية بسرعه والإستفاده من نتائج كل اشتباك بما يخدم الاشتباك التالى.
ومحاوله الاستيلاء على تورغار فى (15/1) كانت مقدمه حقيقيه لمحاولتهم الاخيره الناجحه.
وكان أبرز أخطاء المجاهدين فى تلك المحاولة هو تركيزهم الهجوم من محور وحيد هو الطرف الغربى للجبل.
فقد إستطاعوا فتح ثغره فى طوق الالغام والتسلل ليلا الى منطقه قريبه من خط دفاع العدو وإنتظروا فى مكانهم حتى ظهر اليوم التالى ؛ وكان اليوم غائم وممطر مما حرم العدو من مسانده الطيران«, ثم هاجموا بعد أن أفرغ المجاهدون تمهيدهم المدفعى, والذى شاركت فيه دبابه واحده من منطقه التسلل فى الوادى, وقصفت بشده إستحكامات العدو على الطرف الغربى للجبل.
ومع ذلك فقد إكتشف العدو المجموعة المهاجمه وركز نيرانه عليها وعلى الثغرة الضيقه فى حقل الالغام والتى عليها أن تجتازها من منطقه مكشوفه لرمايه كثيفه متقاطعه لرشاشات العدو, تبين للمجاهدين عندها عدم جدوى المحاوله وعادوا أدراجهم.
وبينما كانت هناك مجموعه أخرى تقدمت من الطرف الشرقى للجبل إلا إنها إكتفت بالرماية على التحصين الشرقي للجبل ولم تحاول التقدم لعدم إكتمال ثغره فى حقل الالغام من ذلك الطرف.
وجاء التعديل النهائ للخطه كالتالى:
الهجوم علي الجبل من ثلاثه محاور: الطرف الشرقى للجبل, الطرف الغربى للجبل, السفح الجنوبى.
وذلك يستدعى إزاله الالغام قبل موعد الهجوم وقد نجحت عمليه نزع الالغام فى الطرفين بينما فشلت على السفح الجنوبى ؛الاكثر كثافه بالألغام والمزود مدد كبير من الشراك الخداعيه المتفجره مما يجعل نزغ الالغام مجافه خطيره«, وفى السفح الجنوبى استشهد مجاهد وبترت قدم آخر في عملية ازاله الالغام والمرجح ان العدو اكتشف المحاوله وأستنتج ان هجوما سيحدث من السفوح الجنوبى فركز انتباهه عليه وقد افاد ذلك كثيرا عند حدوث المعركه الاخيره فإن معظم المدافعين بقوا فى انتباه وتركيز على السفح الجنوبى المنبسط الواسع خوفا من أن يكون اتجاه الهجوم الرئيسى من هذا الجانب, وبناءا عليه لم يقدموا مساعده تذكر للطرفين الشرقى والغربى حيث كان الهجوم الفعلى, بينما لم يهاجم المجاهدون من السفح الجنوبى لأن عمليه نزع الالغام توقفت بعد ذلك الحادث المؤسف.
لقد اهدر العدو طاقته الدفاعية فى انتظار هجوم لم يحدث وضاعت فرصته الثمينه تاركا الاطراف لفتك بها المجاهدون ثم ينهار الخط الدفاعى باكمله فى دقائق معدودة عندما نجح المجاهدون في وضع اقدامهم علي خط دفاع العدو الذى يتبخر كالحلم بون مقاومه تذكر.
واثبت ذلك هشاشه التركيب المعنوى لجنود العدو وسرعه إنهيارهم وأن بطل الدفاع عن تورغار ؛بل عن المدينه والوادى« كانت خطوط الالغام الكثيفه وليس الجنود.

لتعزيز الهجوم على المحاور الثلاث قرر المجاهدون إستخدام ثلاث دبابات, واحده لتعزيز نيران المجاهدون فى كل محور للهجوم, وحتى عندما قرروا الغاء خط الهجوم فى الوسط ؛السلح الجنوبى« لم يسحبوا الدبابه المسانده فى ذلك القطاع بل ابقوها نظرا لاتساع مساحه الرمى المواجهه لها وقدرتها على تقديم الدعم للدبابتين الجانبيتين, ولقد اتضح انهم أصابوا فى ذلك القرار بأكثر مما كانوا يتوقعون.

فالحصون الطرفيه لتورغار وجدت نفسها تحت نيران متقاطعه للدبابات وكانت الرماية مؤثره للغاية بحيث تهدمت أسطح مرابض الرشاشات الثقيله على الاطراف وقتلت من بداخلها, وأى رماية من خنادق الارتباط الممتده لأكثر من 1500 متر علي قمه السفح الجنوبى قوبلت بطلقات رادعة من الدبابات الجنوبيه فلم يجرؤ أحد على إظهار نيران مدفعيه للدبابه المتربصه.

فكانت رمايات العدو فى ذلك اليوم متخاذله لدرجه عجيبه إذا ما قدرنت بما كانت عليه منذ شهر مضى.

"التفوق الموضعى"

يتفوق المجاهدين على العدو نوعيا فى ناحيتين هما: القياده والفرد المقاتل سواء ذلك فى مجال المعنويات -- التى هى أساس العمل القتالى -- أو فى المجال الحرفى (التقني) للحرب.

وفى مجال العدد والعتاد يتفوق العدو كميا فى العدد وكميا ونوعيا فى العتاد.

ومع ذلك تتجلى براعة قيادة المجاهدين في حرصها -- وقدرتها -- علي توفير تفوق موضعى -- فى العدد والعتاد -- فى كل اشتباك موضعي مع القوات الشيوعية.

وتجلى ذلك فى معركه تورغار كما فى غيرها من معارك خوست.

ولننظر كيف يتطبق ذلك علي معركه تورغار:

--اكانت القوة الشيوعية المدافعه عن الجبل تتراوح ما بين 300 -- 350 مقاتل, وأهم أسلحتهم الثقيله التى بحوزتهم فوق الجبل: دبابه واحد صالحه للعمل, 2 رشاش ثقيل مضاد للطائرات (يستخدم ضد مراكز المجاهدين في الجبل والوادى) عيار (23 مليمتر) , 13 قاذفه صاروخى ضد الدبابات (آر. بى . جى -- 7), 3 رشاشات عيار 14.5 مليمتر, 14 هاون, مدفع جبلى واحد عيار 76 مليمتر, مدفع عديم الارتداد, 3 قاذف للقنابل اليدوية هذا الي جانب عدد كبير من الرشاشات الخفيفه, والقنابل اليدوية, والتسليح الفردى الكون من بنادق كلاشنكوف ورشاشات قصيره وغيرها -- والجديد بالذكر ان جميع الاسلحة الثقيله سقطت فى أيدى المجاهدين وكذلك معظم الاسلحة الخفيفه والفردية.

ولننظر الآن الى تركيز القوة البشرية والنارية للمجاهدين:

قبل بداية النهائية بيومين دمر المجاهدين دبابه العدو المتواجده فوق الجبل, وكانت من اكثر الخطوات توفيقا لكونها قوة النيران الوحيده القادره علي التعدى لدبابات المجاهدين من موقع رماية ممتاز.

فالدبابتين فى الشرق والغرب قد تحصنتها في مواقع يصعب علي دبابات العدو فى الوادى أن تصيبهما, أما الجنوبيه (الثالثه) فلا تظهر من جهه الوادى.

إستخدام المجاهدون 150 مهاجما من كل طرف بمجموع 300 مقاتل وعلى مسافه قريبه من ثغرات الالغام يقف عدد مماثل للدعم عند الضرورة وخلال وقت قصير, وبذلك يكون للمجاهدين حوالى 600 مهاجم من مقابل (250 -- 300 مدافع) اي ينسبه اثنين الى واحد تقريبا.

لن نتحدث عن قوة النيران الاجمالية التى صبها المجاهدون على دفاعات الشيوعيين فوق الجبل, فبعض الاسلحة التى على ظهره لم تكن تحت تصرف المهاجمين ما يماثلها نوعا مثل رشاشات 23 مليمتر, كذلك هاونات العدو قوة الجبل ؛14 هاون عيارات, 8 مليمتر, 120 مليمتر«. لم يكن لدى المهاجمين مسانده بهذه الكثافه من الهاونات.

ولكن ستحدث عن نقطتى الاطراف التين اقتحمهما المجاهدون وكانت كل نقطقه عبارة عن حصن يحوى مدفع رشاش 23 مليمتر, 120 مليميتر, ومدفع رشاش آخر عيار 14.5, عدد من الرشاشات الخفيفه والمتوسطه, قاذف قنابل يدويه, عدد من قاذف آر بى جى.

كل هذه القوة النيرانيه الكبيره مركزه داخل حصن محفور فى الجبل ومسقوف بفروع أشجار غليظه عليها كتل صخريه كبيره.

لم يكن لدى المجاهدين أى سلاح من المدفعيه يمكنه أن يؤثر فى تلك الدشم الحصينه, رغم أن المجاهدين قد إستخدموا عددا من مدافع الهاون ومدافع جبليه 76 مليمتر ومدافع ميدان عيار 122 مليمتر, إلا أنها بسبب

العيار الصغير تاره وبسبب زاوية الرماية غير المناسبه تارة أخرى لم تكن لتؤثر فى الدشم المنيعه مثل دشمتى الاطراف رغم انها اثرت فى خنادق الارتباط ومرابض الرشاشات الخفيفه فوق الجبل.
ولكن نيران الدبابات كانت هى العامل الحاسم فى تدمير تلك الدشم الطريفه وتحويلها الى مقابر جماعية لاطقم الرشاشات الثقيله وباقى الاسلحة الاخرى.
وتقدم دبابتى الاطراف مكنهما من الرماية من زاوي ممتازه تكشف الطرف الجانبى والخلفى من الدشم فحطمتها.
والدبابه الجنوبيه تمكنت من الاطاحه برؤوس الدشم شرقا وغربا , وردع أي محاوله رماية من خنادق الإرتباط والدشم الأصغر على الحافه الجنوبيه.
وبواسطه الدبابات فقط كان التفوق النيرانى الكاسح الذى حسم المعركه لصالح المجاهدين.
وربما كانت تلك المعركه من المعارك القليله التي تبرهن على أن الدبابه مع كونها سلاح حسم فى المعارك البريه للمناطق المفتوحة إلا أنها يمكن أن تكون سلاحا حاسما فى المعركه الجبليه ضد المواقع الدفاعية المنيعه.
ويمكن أن تشير الى أن هاونات المجاهدين (معظمها عيار 82 مليمتر) كانت فعالية فى مطاردة الفارين خارج التحصينات والتى أصبحت بمثابه مصائد الموت, فأوقعت بهم هاونات المجاهدين خسائر جسيمه, وتولت رشاشات المهاجمين الإجهاز وعلى من تبقى منهم.
وليس لنا أن نغفل الجانب المعنوى الذى تأجج بين المجاهدين بسبب أن حاله الطقس قد مالت الي جانبهم فى اللحظات الأخيره قبل الشروع فى الرماية التمهيديه, فبعد جو مشمس قد غربت.
فعمت البشرى في صفوف المجاهدين لأن سلاح طيران العدو لن يمكنه العمل ضدهم, كذلك إنحسار مدي الرؤية سيمكنهم من التحرك قرب مسرح العمليات بحرية, لقد أحرزوا خطوات نحو النصر بالتحول المفاجئ فى حاله الطقس وعدوا ذلك تأييدا من الله وبشرى بالنصر.
تأثير تورغار:
وكما تأثر فتح تورغار بالحاله الذهنية والتكتيكية التى سادت عمل المجاهدين فى خوست, فقد أثر هو -- بعد فتحه -- فى العمليات وتحديد مسارها النهائ, بل يكاد أن يكون فتح تورغار قد صدر بدقه المكان الجغرافى الذى سوف تنحصر فيه المعركه النهائيه فى مصير خوست ومن آثار ذلك الفتح:
-حرمت القوات الشيوعية من كافه المزيا الإستراتيجيه والتكتيكية التى كان يتيحها الموقع الفريد للجبل.
-أحكم المجاهدون قبضتهم على مطار المدينه (6 كم عن الجبل) تحت تأثير نيران الرشاشات الثقيله (23 ملم) والتى غنموها فوق الجبل وإستخدموها مباشره ضد المطار والمواقع الدفاعية المحيطه به.
-المسافه المحصوره بين تورغار ومدرج المطار تعتبر من أرض المدينه نفسها -- التى يعتبر المطار أهم منشآتها تلك المسافه هى ثلثى المسافه التى يلزم قطعها للوصول الى مركز المدينه.
وبإستخدام المزايا التكتيكية للجبل أصبح ميسورا أن يسيطر المجاهدون عسكريا ذلك القطاع بعد التغلب علي المراكز الدفاعية للقوات الشيوعية.
وهو أمر أقل صعوبه بكثير من عملية الإستيلاء على الجبل التى كانت تمثل عقده التحدى التكتيكى فى وجه المجاهدين.
-ويمكن أن نتوقع أن القوات الحكومية سوف تدافع هى الاخرى وحتى آخر جندى عن القطاع المذكور.
لأن فقدانه يشكل فقدان أكثر من ثلاث مساحة المدينه. كما أن صد المجاهدين خلف هذا القطاع تكون مستحيله لأن يرتبط بمناطق كثيره الأشجار والبيوت.
-إذا سقط القطاع جنوب المطار ستكون عمليه إمداد القوات الشيوعية المحاصره هى عملية إمداد للمجاهدين بشكل أكبر لإنكماش المساحة التي تسيطر عليها الحكومه وإسقاط الإمدادات بالمظلات سيكون جزء كبير منه لصالح المجاهدين -- الذين يحصلون فى الوضع الحالى على كمية صغيره من تلك الامدادات الجوية.
-الطريقه التى تتبعها عصابات التهريب ستكون مغلقه تماما وستفقد خوست -- المدينه -- طريقها المؤدى الي " ا ى ميدان" الحدودية والمصدر الرئيس للتهريب.
من ذلك يمكن القول أن فتح تورغار قد حدد بدقه ساحه المعركه الرئيسيه التى ستفصل فى مصير خوست وهى الساحه المحصورة فيما بين جبل تورغار والحد الجنوبى لمدرج المطار.
ومع ذلك تبقى إمكانات كبيره يتيحها مسرح العمليات لكى تظهر الكثير من. المفاجئات غير المتوقعه.

التطور العسكرى لعمل المجاهدين فى خوست
)من يوليو 1989 وحتى مارس 1990م(
)من ذو الحجه 1410 ه- الى شعبان 1410ه(-

من معركه (نادر شاه كوت دوامندو) وحتى فتح قلعة (تورغار) -- مرورا بفتح دراجى وما حولها. تطور العمل العسكرى للمجاهدين بشكل إنقلابى, بما يشكل علامه بارزه فى تاريخ العمل العسكرى للمجاهدين الأفغان.
وتحاول هذه الدراسة رصد بعض معالم هذا التحول:

- العناصر السته الرئيسية لهذا التطور ودور كل منها فى إحراز الانتصارات بالمنطقه.
- القيادة والهياكل التنظيمية كيف تم بنائها فى مناطق قبليه ترفض الخضوع لأى سلطه؟
- كيف أدار المجاهدون حربهم النفسيه الخاصه في مواجهه تحالف الدول العظمي ضدهم؟
- سياسة "القضمه... قضمه" لماذا كانت هى المخرج المتاح من الأزمه الراهنه؟
- كيف حقق المجاهدون مرونه الحركه والسيطره علي القوات مع تفادى الضربات الإجهاضيه من الجو؟
- حرب الدبابات التى خاضها المجاهدون ومعالمها.
- كيف حول المجاهدون الدبابه الى سلاح حسم فى حرب الجبال؟
- إمكانيه الإنذار المبكر من الضربات الجويه كيف حصل المجاهدون عليها؟
- شبكه الإتصال اللاسلكى بناها المجاهدون بلا عمد فتحولت من أسلحه الحسم.

بقلم
مصطفي حامد

من الضرورى -- بالنسبه للمسلمين بشكل عام, والمجاهدين بشكل خاص أن يوجهوا عناية أعمق لدراسة المعارك التي تدور رحاها فى منطقه خوست منذ صيف العام الماضى (يوليو 1989) منذ معركه نادر شاه كوت -- دوامندو) الرائعة والتى كانت نقطه تحول بارزه فى مجرى الأحداث فى هذا الوادى الإستراتيجى ثم معركه "دراجى" التى تلتها بعد أكثر من شهر لتقلب موازين القوى تماما لصالح المجاهدين وتؤكد مسيرتهم نحو السيطرة الشامله علي وادى خوست الإستراتيجى ومدينته الهامه سياسيا وجغرافيا بشكل فريد.

لقد أعجب هذين النصرين البارزين عملية إجتياح كبيره قام المجاهدين على أثرها بتطهير مناطق واسعة فى وادى خوست فى طرفيه الشرقي والغربى مقتربين الي حد خطير من حدود المدينه التي تتوسط الوادى من أوسع نقاط حيث يبلغ عرضها من الشمال الى الجنوب أقل قليلا من عشرين كيلومترا في مسافه شبه دائرية.

ويمتد الوادى شرقا وغربا على شكل جناحين لدائرة المدينه بطول يزيد عن 30 كيلومترا من الشرق وأكبر قليلا من 25 كيلومترا الى الغرب.

وبعد العمليات الظافره المذكوره وما تلاها من فتوحات تقلعت هذه الأجنحه كثيرا حتى صارت زوائد دودية ضيقه العرض كما فقدت الكثير من إمتدادها مما يجعلها فى عرضه دائمه لعمليات التقطيع والبتر.

مع بقاء ميزه للقوات الشيوعية المدافعه عن خوست وهو قدرتها علي إختراق الجناح الشرقى بواسطه قوة مركزه ودعم جوى كبير للوصول إلى الحدود عند بلده ا ى ميدان الأفغانية حيث تجد هناك أكداسا من المواد التموينيه والمحروقات التى تم تهريبها عبر الجانب الآخر من الحدود فتحملها وتقفل عائده الي المدينه المحاصره وبنفس طريقه الذهاب.

وأحيانا تستغنى على هذه المخاطر وتعتمد على المهربين أنفسهم ليقطعوا المخاطر عبر طريق ملتويه وخطيره وصولا إلا خوست لكى يبيعوا بضاعتهم هناك بأسعار خياليه محققين أرباحا مالية طائله فى تجاره خائنه بكل منطق دينى أو عقلى.

وقد خاض المجاهدون حربا خاصه ضد التهريب ليس هنا مجال سرد تفصيلها -- ونتيجه لتلك الحرب ضاق نطاق الحصار كثيرا على المدينه وأصبحت الحاميه العسكرية تفتقر الى الطعام والمحروقات بشده, وإنخفضت نسبه التهريب الى 20% من نسبته السابقه.

وأخيرا جاء فتح تورغار الذى تمكن المجاهدون من إستعادته -- ثم تأمينه كما سنذكر لاحقا -- ليضع حامية المدينه فى أحرج موقف واجهته منذ بدء القتال منذ ما يزيد عن عقد من الزمان.

ومازالت حكومه كابل تخفى نبأ سقوط القلعه الجبليه وتعلن أنها مازالت تسيطر عليها وتقاوم محاولات المجاهدين, ولم تعلن إذاعة خوست النبأ حتى الآن -- وليس أبلغ دلاله على حيوية هذا الجبل بالنسبه لمصير المدينه من تلك المكالمه اللاسلكية التى التقطها المجاهدون ما بين طائرات العدو فى اليوم التالى لفتح تورغار والتى جاءت لقصف مواقع للمجاهدين فى خوست وبن مركز قيادتها فى كابل, ودار الحوار كالتالى:

-أنت الآن فوق الهدف. أضرب.

-لا. فأنا فوق جبل تورغار.

-قلت لك إضرب ليس هناك تورغار.

كان الطيار قد تخطى الهدف وأخذ يدور في دورة واسعة وهو يكمل الحوار العصبى مع قيادته:

-ماذا تقصد بقولك "ليس هناك تورغار؟؟"

-أنه ليس معنا الآن, عليك أن تقصفه.

-لقد سلمتموهم خوست !! لقد ضاعت خوست !! وفى دورته التالية قصف حمولته كلها مرة واحده فى مكان على بعد أكثر من ألفى متر من الجبل... ربما لأنه لإزاله غير مقصده لما حدث.

الضابط الذى هربوا مع جنودهم بعد المعركه قالوا أن الجيش المدافع عن المدينه يعلم أن الجيش المدافع عن المدينه يعلم أنها ستسقط لامحاله. فقد أفهمتهم القياده كما رددت إذاعة خوست نفسها ولسنوات أن تورغار هو مفتاح المدينه ورددت شعارات الحماسية مثل "كلنا فداء تورغار", " شعب أفغانستان يحى الابطال الفدائيين المدافعين عن قلعه تورغار" والآن وبعد سقوط تورغار إرتدت هذه الشعارات بمفعول مدمر على معنويات الجيش فى المدينه, وإرتفعت معدلات الهروب الجماعى, وتكررت عمليات رفض تنفيذ الاوامر العسكرية من قطاعات بأكملها.

والنتيجه التى نخلص اليها أن هناك تطورا جذريا فى إداء المجاهدين العسكرى فى تلك المنطقه يشكل علامه بارزه فى تطور العمل القتالي فى تلك الولاية الحدودية الفائقه الأهمية -- بشكل خاص.
وبالنسبه لعمل المجاهدين عسكريا فى كل أفغانستان بشكل عام.
ونشرح فيما يلى الاهم ملامح هذا التطور:

أولا القيادة
وهى العنصر الأخطر فى أى معركه وعلى كفاءتها ومقدرتها يتوقف مصير المعركه الي حد كبير.
وفى باكتيا وجه خاص تنفرد القبائل بشق جامح للحرية مما يجعل انتظامهم العسكرى أو حتى السياسى مسأله شاقه, وهذا ثابت فى تاريخهم الطويل المستقل عن أى سلطه خارجه عن نطاق القبيله.
وشجاعتهم الفائقه مضرب الأمثال, ومهارتهم فى حروب الجبال مسأله لاشك فيها وهم بذلك من أفضل مقاتلين فى حروب العصابات, لذلك تحررت معظم مناطقهم منذ وقت مبكر من إندلاع الجهاد والمدن أو الحصون التى تبقت بعد ذلك حافظه علي تواجدها بصعوبه بالغه.
تلك الروح الوثابه لمقاتلى باكتيا كانت نفسها عقبه فى وجه تحولهم من نمط حرب العصابات الى نمط الحرب النظامية أو شبه النظاميه.
ولما كان ذلك التحول ضروريا لتطوير العمليات العسكرية للمجاهدين من مجرد عمليات صغيره للكر والفر, أو الإستيلاء على مواقع فى الأطراف الجبليه والدفاع عنها الي نمط من الهجمات أكثر إتساعا وأعقد من الوجهه التكتيكية, وبالتالى يحتاج الي درجه أعلى من السيطرة علي القوات والإنضباط.
العسكرى بدرجه لم يألفها مجاهدو المنطقه قبلا , لقد بذلت عدة محاولات فى السنوات السابقه لعبور تلك العقبه, وجاءت معركه عيد الأضحى الماضى (1410 ه-) فى الإستيلاء على قلعه نادر شاه كوت الرئيسيه وحصون "دوامندو" المنيعه فى معركه كبيره شارك فيها أكثر من ستمئة مجاهد بمساعدة الدبابات وعدد كبير من قطع المدفعيه, نفذوا فيها (تحت قيادة الشهيد مطيع الله) عده مناورات بارعة وناجحه تضمنت التسلل بأعداد كبيره خلف خطوط العدو بصحبه الأسلحه الثقيله, ومهاجمه نادر شاه كوت فى مفاجأة مكانيه وزمانيه كامله وفتح القلعه من زمن قياس ؛أقل من ساعة واحده« ثم التقدم من الجهه الخلفيه نحو حصون "دوامندو" والإستيلاء عليها في نصف ساعة فقط بدون قتال بعد أ ن إستسلمت الحامية من هول المفاجأة وليأس موقفها حيث هو جمت من ناحيه الطريق الوحيد الذى يمبطها بالمدينه والذى تأتى منه الامدادات إليها.
وإتخذت المناورات العسكرية شكل أكثر تعقيدا فى معركه الإستيلاء علي "درجى" الذى يشكل القياده الرئيسيه لقوات العدو خارج المدينه وللطرف الغربى بشكل خاص.
فقد شارك في المعركه عدد أكبر من قوات المجاهدين بإشراك عدد أكبر من الدبابات (سته دبابات دفعه واحده) وكذلك عدد أكبر من المدفعيه الثقيله, وكانت الأهداف متعدة شملت كل المراكز المسانده للموقع الرئيسى فى "در ى" وقاد جلال الدين حقانى العمليه بنفسه
والتى حققت نجاحا كاملا , وإستطاع المجاهدون بعدها من تطوير الهجوم وكنس العدو تماما من عدد كبير من المراكز الفرعية المنتشره على هيئة قوس كبيره مركزه "درجى" مهمته إغلاق منافذ الممرات الجبليه الواصله الى الوادى بشبكه من الحصون (البوسطات) القوية تسانده عدة شبكات فى عمق الوادى لتقديم المسانده النارية والإمداد البشرى والمادى.
ولأول مره في تاريخ هذه الحرب إحتفظ المجاهدون بمواقعهم التى سيطروا عليها ودافعوا عنها "كأى جيش نظامى" فى وجه عده هجمات معاكسه للعدو المؤيد بحماية جوية كأسحه وقوة نيران ثقيله أضخم كثيرا من القوة التى لدى المجاهدين, كل ذلك على أرض مكشوفه تماما.
وأثبتت العملية ليس فقط القوة المعنوية الكبيره للمجاهدين بل أيضا قدرة القياده فى السيطرة على قواتها في ظل ظروف قتاليه غاية فى الصعوبه.
كما أثبتت أيضا النقله النوعية لقوات المجاهدين نحو التصرف والقتال بدرجه عاليه من الإنضباط والإقتراب أكثر نحو التصرف كقوة من جيش نظامى.

ولكن ماذا تبقى من خطوات حتى يتحول المجاهدون الى نمط القوة النظامية فمن ناحية التدريب لاشك أن المجاهدين عموما أفضل كثيرا من ناحيه الخبرة القتالية من جنود حكومة كابل أو ميليشياتها, بل أن تلك الخبرة/ بلا مبالغه/ ليست متوفره لدي ضباط وجنود كثيرمن الدول ذات الشهرة العسكرية العريقه.
كما إنها ليست مشكله تسليح لأن العبره ليست بكثافه التسليح فقد إستطاع المجاهدون هزيمه قوات أفضل منهم تسليحا وأكثر كثافه عدديه مع سيطره عدوهم تماما علي أجواء المعركه بسلاح طيران قوى وفعال.
وإن كانت قله الذخائر -- تؤثر بوضوح على كثافه العمليات وإستمراريتها فإنها تؤثر بحال على جوده الاداء ودقه التخطيط التى برهنوا عليها مؤخرا ومنذ أكثر من عام.
((لا شك أن وحده القيادة هى العمل الحاسم من أجل وصول المجاهدون الي مستوى من القوة الفاعله التى يمكن لها حسم الموقف عسكريا فى خوست علي الأقل, مع إحتمال تطويره فيما بعد -- إذا سمحت التطورات العامه للقضيه -- ليباشر الحسم فى جارديز عاصمه الولاية.
ولا يمكن القول أن المجاهدين قد وصلوا الى تلك المرحله بشكل كامل ولكنهم قطعوا شوطا ملموسا نحوها وتوصلوا الي تكوين هيكل قيادى متماسك يتكون من:
-- 1أربعه مجالس ثورى فرعيه -- للجهات الاربع من خوست -- تختص ببحث المشاكل المحليه المتعلقه بكل منطقه من قبل مجلس الشورى العالى.
--2مجلس الشورى العالى -- العمومى -- ويبحث فى الأمور المتعلقه بمنطقه خوست كلها من النواحى العسكرية والإدارية.
-- 3قياده مجلس الشورى والتى يمثلها مولوى جلال الدين حقانى.
ومجلس الشورى المذكور تتجاوب بعمق مع طبيعه وتاريخ المنطقه فهى تلبى الشروط المقبوله من أفراد هذا المجتمع, ذو الطبيعه الخاصه, من حيث
أ- صداره العلماء لتلك المجالس, وهم طائفه العلماء الذين إنخرطوا فى الجهاد منذ أيامه الاولى, وبذلك توفرت لهم الخبره العميقه بإداره الشئون المتعلقه بالعمل الجهادى, والتعامل مع قبائل المنطقه التى هم من أبنائها.
شمل ذلك المجالس الفرعية والمجلس العمومى, وحتى القياده العامه الممثله فى "مولوى جلال الدين" تعطى نفس التأكيد للمعنى ذاته, وهو صداره العلماء المجاهدين لتقرير المسائل ذات الخطر مثل موضوع الحرب وما يتعلق بها من قضايا.
ب -- تمثل القبائل... فالجالس كلها تشمل تمثيلا مرضيا ومتفق عليه بين قبائل المنطقه, حتى تجد القرارات الجماعية طريقا للتنفيذ والرعاية الجماعية والاحترام.
ج- التمثيل الحزبى... ويتم تلقائيا من داخل التمثيل القبلى فكل قبيله يتوزع أبناؤها بين التنظيمات الحزبيه المختلفه.
-وإذا تم الإتفاق علي إستبعاد التنافس الحزبى -- فإن النتيجه النهائية تعود لمصلحه القبيله التى تحصل علي مساعدات مستقله من سبعه أحزاب.
وهذا أفضل -- من ناحيه الكم -- من إنضمام القبيله بأكملها الى تنظيم جزبى واحد.
ونلاحظ هنا أنه في مجتمع باكتيا القبلى لايمكن إتخاذ القرارات ذات الخطر على مسيره القتال بدون الرجوع الي مجالس شورى من هذا الطراز.
ومهما كان القائد المفرد له قوه ومقدرة فإنه لايستطيع إملاء أوامره بدون مراعاة الموافقه الإجتماعية, الملزمه من جانب القبائل التى لايمكن الحصول عليها إلا من مجالس الشورى المعتمده لديهم, وعلى سبيل المثال فإن حصار خوست رغم أنه يظهر كعمل عسكرى بحت إلا أنه فى الحقيقه موضع ذو خطر ويمس مصالح القبائل فى المنطقه بوجه خاص وهو من أمور السياده الداخليه لدى بعضها ويمس أمور الضرورات المعيشيه لدى بعضها الآخر.
ورغم أن حصار خوست موجود منذ سنوات عديده إلا أنه لم يبلغ مرحله الخطورة الفعليه إلا منذ أشهر قليله وقد إرتبط ذلك ليس فقط بالظروف العامه للقضيه (مثل إنسحاب السوفييت وبقاء نظام كابل منفردا في الساحه العسكرية -- نظريا على الاقل) ولكن متانه الحصار تنامت مع تنامى صلاحيات مجالس الشورى وحصولها على اجماع السكان (القبائل.(
واحرازها ثقه معنوية كبيره لديهم نتيجه لنصاعة الانجازات العسكرية -- وليس فقط صحه تشكي المجالس.

فالانتصارات التى تم إنجازها في عده أشهر مؤخرا فاقت ماشهده المنطقه خلال سنوات الجهاد كلها, كل ذلك إضاف إيجابيا لصالح مجالس الشورى وقياده حقانى.
(كما قلنا فإن هذا التشكيل القيادى الذى يتولى القياده العسكرية والإدارية فى المنطقه, لم يرتق الى درجه توحيد القوات على النمط النظامى فى الجيوش التقليديه.
ولكنه يعتبر درجه عليا من تطوير أعراف القيادة فى المنطقه الجبليه لقبائل شديده المراس كما أنه يشكل طفره كبيره فى مجال نمو قدراتهم التنظيميه, وهى قابل بلا شك أن يصل الى درجه أعظم من الرقى إذا أتيحت للتجربه فتره زمنية أطول وظروف مواتيه.
(وتعتبر ذلك الهياكل التنظميه حلا أمثل بالنسبه للقضايا التى تتعلق بالقبائل, ومن أبرزها فى الوقت الراهن قضيه التصدى لعميات التهريب التى يقوم بها أفراد من تلك القبائل نفسها.
وبذلك تصبح عمليه المنع أو العقاب من إختصاص القبيله نفسها, وتكون مسئوله أدبيا أمام مجلس الشورى -- وبالتالى أمام باقى القبائل عن إحترام القرارات الجماعية.
وبذلك تكون مجالس الشورى ذات تأثير فعالى وأن كان غير مباشر على العمل العسكرى لكون عمليه الحصار نفسها هى المؤثر الأعظم في تحطيم قوه العدو العسكريه ويليها فى التأثير عمليات الهجوم المباشر.
(أما التأثير المباشر لتلك الأطر التنظيمى فهو أقل فعاليه على العمليات المباشره -- الهجمات -- فالتنسيق مع كون فعالا فى العمل غير المباشر (الحصار) إلا أنه في العمل العسكرى المباشر يكون أقل فعاليه لأن هذا النوع من النشاط يلزمه توحيد كامل في القياده والقوات العامله.
ولا يعنى ذلك بالطبع أنه عديم الفائده فكل الهجمات الكبرى الناجحه -- بإستثناء الإستيلاء على تورغار -- قد تمت من خلال عمل "تنسيقى" مشترك.
ولكن مثل تلك العمليات تبقى عرضه للتأجيل المتتابع, كما أن عمليه الحشد والتوقيت يصعب كثيرا السيطره عليها, من اجل ذلك تستدعي الضرورة للجوء الى العمليات "المنفرده" للتحكم فى كل العوامل بحزم تحت قياده واحده.
وهذا ما حدث فى عمليه الاستيلاء على القلعه الجبليه الحصينه فى "تورغار"... فقد قامت بها مجموعة "مولوى جلال الدين" وأحرزت فيها نجاحا كاملا بعد أن تفادت أوجه القصور الناتجه عن العمل "التنسيقى" فى مجال العمليات.
(القيادات ذات الكفاءه هى التى أدت إلى نجاح العمل التنظيمى الراهن, فالإنتصارات الكبيره كانت مقياسا لا يخطئ على مقدره قياديه كبيره فى التخطيط والتنفيذ... ولولا ذلك النهار العمل كله ولن تجديه دقه النسب التمثيليه بين القبائل والأحزاب.
ولم تكن الكفاءه محصوره في القيادة العامه فقط بل وصلت حتى قياده المجموعات, فالمنطقه تزخر بعدد كبير من القاده الشباب الذين تمرسوا لأعوام طويله فى أشق المهام والظروف القتاليه.
فكتسب العمله برمته صفه الجديه لاصفه الوجاهه القبليه أو الحزبيه.
(والجدير بالملاحظه أنه حتى العمليات "المنفرده" التى تقوم بها جماعة قتاليه واحده, لاتقضى على عنصر الشورى, فمن جانب لكون الشورى عمليه عميقه في الوجدان القبلى الذى يرفض الإستبداد بكافه أنواعه حتى ولو كان في الاطار العسكرى.
والجانب الآخر أن تكون المجموعة المقاتله ونعنى جماعة مولوى جلال الدين بشكل خاص -- تجمع بين طابع المجموعة النظامي ومجموعات المتطوعين,و فالمجموعة النظامية تعمل علي أساس الإحتراف من حيث التدريب والنظم كما فى الجيوش التقليديه, وهى تتلقى الاوامر على نفس النمط رغم كونها مكونه من مجاهدين سابقين تحولوا الى الإحتراف.
أما المجموعات الأخرى وهى الأكبر عددا فهى فى تشكيلات اقرب الى طابع "حروب العصابات" من ناحيه التكوين فكلهم متطوعون... والتزامهم بالقياده التزام أدبى وليس تنظيمى.
لهذا يحمل العمل القيادى فى ثناياه كميه ملموسه من العمل الإستشارى وبشكل خاص فى القضايا التكتيكية الصعبه.
وعلى سبيل المثال فإن عمليه الإستيلاء على تورغارقد جابهتها مشاكل فنيه معقده لمواجهه إستحكامات العدو وحقول الالغام, وصعوبه التقدم تحت نيران العدو الصادره من فوق الجبل أو المدفعيه المسانده له فى المدينه --

أو المسانده الجوية الكثيفه من سلاح الطيران -- ثم صواريخ سكود بعيده المدى دقيقه الإصابه التى تأتى من كابل الى مواقع المجاهدين الى غير ذلك من المشاكل التكتيكية. وكلها كانت تبحث بتعمق وتفصيل مستفيض قبل الوصول الي حلول والشروع فى التنفيذ.
وقد مرت عمليه الإستيلاء على تورغار بعده محاولات فاشله كان آخرها في يناير الماضى حيث برزت في كل مره مشاكل تكتيكيه تستدعى حلولا جديده.
لقد ساهم قاده المجموعات الصغيره من مهاجمين أو مدافعيه أو إستطلاع وغيرهم بمساهمات قيمه فى تقديم الحلول وتطبيقها ببراعه أدت الى هذا الإنتصار العظيم فى تورغار وبخسائر لم تتعدى شهيدا واحدا , وجريحين, وهى نسبه ضئيله للغاية بالنسبه لصعوبه المهمه والتحديات العويصه التى جابهت المهاجمين.

(ونخلص من ذلك بنتيجه هامه هو أن طريقه القيادة ووسائل التنظيم تكون ناجحه وفعاله بقدر تلبيتها لحاجات الأفراد ومطابقه لتكوينهم الاجتماعى والفكرى والتاريخي.
وعلى ذلك لايمكن إستيراد تلك الطرق والوسائل بطريقه عمياء من مجتمع آخر لمجرد أنها نجحت هناك, فذلك لايعنى أنها قابله للنجاح بشكل آلى فى ظروف إجتماعي مغايره.

ثانيا : الروح المعنوي والحرب النفسيه:
إستفادت قياده المجاهدين في خوست إلى حد أقصى من العامل المعنوى والذى حولته ببراعه الى سلاح فعال بين أيدى المجاهدين رغم الحمله النفسيه العنيفه التى يتعرض لها الشعب الأفغانى ككل من جانب القوى العظمى ووسائل إعلامها القوية.
والتى تعمل متكاتفه مع نظام نجيب من أجل تفويض مقاومه الشعب وإنهيار الجهاد والتسليم بسلطه الشيوعيين على أفغانستان.
تلك الحمله الموجهه ضد معنويات الشعب الافغانى والمجاهدين بشكل خاص بلغت من الضخامه والتركيز حدا يصعب معه تخيل إمكان فشلها.
وحتى المجاهد البسيط في الخنادق الأمامية تصله تأثيرات تلك الحمله عبر جهاز الراديو الذى يحرص به المجاهدون أينما كانوا على تتبع نشرات الأخبار, فنجد أن محطات البث -- كلها تقريبا -- تعزف على نفس الوتر" الحكم المشترك بين جميع الطوائف في حكومه موسعه."
ويعطى هذا التركيز إنطباعا بوجود تعادل فى القوى بين المجاهدين وحكومه كابل على أرض المعركه.
ومن حسن الحظ أن هذا الإنطباع الوهمى قد مر الهدف المنشود من الحمله وهو توهين الروح القتاليه لدى المجاهدين ولسبب بسيط هو أن الواقع العمل الذى يشاهده ويعيشه المقاتل يكذب هذا الإنطباع, فالحكومه محاصره خلف خطوط الألغام والخنادق -- ولا تكاد تقوى حتي على ممارسه الدفاع المتحرك عن مناطقها التى تنكمش يوما بعد يوم.
فالتوازن والتعادل مفقودان, والحمله النفسيه ظالمه وتريد الوصول الى نتائج مغلوطه.
وهكذا أصبح المجاهد يتشكك بل ويعادى تلك المنابع الدعائيه التى كان بعضها يحظى بإحترام تقليدى.
لقد فقدت الحمله مصداقيتها وهذا ما يكفى لإفشال أى حمله دعائيه من حملات الحرب النفسيه مهما بلغت ضخامتها وقدرتها على الإلحاح المستمر.
(فى خوست بوجه خاص تضاعف فشل الحمله النفسيه ضد المجاهدين بسبب النشط العسكرى للمجاهدين وضعف القوات الحكوميه وهزيمتها.
وساهمت إذاعة كابل ثم إذاعة مدينه خوست بشكل أكبر فى مضاعفه هذا الفشل وتأكيد المردود العكسى لدى المجاهدين, عن طريق إخفاء إخبار انتصارات المجاهدين والإعلان عن تقدم وهى للقوات الحكومية.
والمناشدات اليومية التي يبثها راديو خوست طالبا وقف القتال والتفاهم على حل "مشترك للأزمه. "
وترديد الاذاعات (التى عرفت سابقا بالحياد والثقه) لإدعاءات وبيانات إذاعتى كابل وخوست -- وضعها لدى المجاهدين فى قائمه الإتهام والشك بدرجه متزايده.
أ--خطوات إيجابيه فى الحرب النفسيه:

وفى المقابل شنت قيادة المجاهدين حربها المعنوية بوسائلها الخاصه. فأولى جانب التعبئه الدينيه المستمرة منذ بدايه الجهاد إستدعت الظروف الراهنه التى تمر بها القضيه الأفغانية والتى تعتبر إجمالا ظروفيا غير مواتيه - - أستدعت إيجاد وسائل جديده لتزكيه الروح الهجومية لدى المجاهدين وأحياء الأمل فى النصر.
لقد أضحى إحراز النصر على أرض المعركه ضرورة معنوية فى تلك الظروف -- كذلك تلافى الخسائر البشريه الكبيره. وقد إنعكس ذلك على الاساليب التكتيكية في المعارك بحيث أصبح سمه مميزه لمعارك خوست.
ويمكننا أن نعزوا السبب فى ذلك الى الفوائد المكتسبه من نكسه جلال آباد, فالهجمات الواسعة غير المحسوبه الى جانب إهدارها للذخائر تسبب خسائر بشريه عاليه وتؤدى الي إنتكاسات معنوية لدي المجاهدين إضافه للأضواء السياسية التى تلحق العمل الجهادى كله.
من هذا المنطلق كان الحرص الشديد فى التخطيط والدقه القصوى في التنفيذ.
لتفادى الكوارث المعنوية الناتجه عن الخسائر البشريه العالية بدون إحراز نصر.
كما سيأتى ذكر ذلك عند التعرض بشئ من التفصيل لتكتيكات القتال التي إتبعت مؤخرا من قبل مجاهدى خوست.
ب -- إستثمار الآثار النفسيه للحصار:
ترك الحصار ثرا مدمرا على معنويات الجنود الحكوميين فى خوست, فمن ناحيه قلت كميات الطعام وسائت نوعيته, ومن ناحيه أخرى ضاق المجال المتاح للمناورة العسكرية نتيجه لإقتراب المجاهدين كثيرا من حدود المدينه وضياع مساحات واسعه فى الوادى كانت تتيح حريه المناوره للقوات الشيوعية وفى النهاية أصبحت هذه القوات سجينه حفر وملاجئ التحرك خارجها طوال النهار ومعظم الليل خوفا من نيران المجاهدين.
مثل تلك الأماكن عندما تمكن المجاهدون من الإستيلاء على بعضها كان من المستحيل دخولها نظرا للروائح الكريهه المنبعثه من داخلها, فقد كانت خنادق القتال هى نفسها أماكن النوم وقضاء الحاجه, جميعها فى مكان واحد ضيق ومزحم بالأفراد ومحاط بالألغام من جميع الجهات ماعدا ممر واحد ضيق يربطه بالمواقع الاخرى.
((هذا الظرف النفسى الذى خل فه الحصار داخل خنادق عفنه يهددها خطر الموت على مدار الوقت لايمكن أن يطاق لفتره طويله.
بينما من المفروض أن يتحمل الجندى ذلك الضغط النفسى لمده غير محدوده فليس هناك وسيله لقضاء إجازه وزيارة الأهل أو حتى الإنتقال الى جبهه قتالي أخرى, نتيجه لإغلاق الطرق وندره الرحلات الجوية من والى المدينه. فكثير من الضباط الجرحى المنقولين للعلاج فى كابل إحترقوا مع الطائرات على مدرج المطار. وعشرات الجنود الذين أتوا بالجو لتدعيم قوه الدفاع إحترقوا داخل الطائرات.
لقد جعل هذا المناخ من الجنود قنابل موقوته, قابله للإنفجار فى وجه الضباط.
فشهدت خوست أوسع عمليات الفرار بين حاميات المدن الأفغانية, وصحب تلك العمليات عمليات إغتيال الضباط والاشتباك مع الميليشيات التى هى أكثر ولاءا للنظام, والتي لاتعانى من كل تلك الضغوط لسهوله خروجهم من دائرة الحصار والإلتحاق بقبائلهم عند الضرورة.
ج- الاذاعة قريبه المدى:
وهو سلاح قديم لدى المجاهدين, وإن كانت نتائجه حاليا فى تلك المعارك أوسع مدى.
والسبب هو إقتراب خطوط التماس بحيث لم تعد تزيد عن عمق حقل الالغام فى بعض الاوقات... وأقل من عشرين متر نهارا إذا إختفت حقول الالغام عند حالات القتال المتلاحم.
الاذاعة القريبه تعنى مكبر الصوت الذى يستخدمه مجاهدى قوى الصوت فصيح البيان يخاطب الجنود بخطاب المسلم للمسلم والاخ لاخيه.
شارحا لهم ضرورة ترك معسكر الكفر والالتحاق بالمجاهدين.
يقول "على جول" وهو جاهد من مجموعات الإقتحام ومذيع مؤثر البيان رغم بساطه ثقافته أنه فى اليوم التالي لتفخ تورغار إقترب الى أقل من 50 متر من تحشد العدو وتحدث معهم حوالى ساعة والجنود ينصتون رافضين أوامر قائدهم بإطلاق النار على المذيع الجريء.
نتائج العملية لم تتأخر كثيرا فقد إغتيل الضابط ليلا والتحق جزء من الجنود بالمجاهدين والجزء الباقى تحول الى إشلاء بفعل حقول الالغام التي تحاصرهم لمنع فرارهم من الخدمه.
د -- الترحيب بالفارين:

يتبع المجاهدون سياسة المعامله الطيبه للجنود الفارين ومعاونتهم ماليا للعودة الى بلادهم البعيده, فأكثر الجنود فى خوست وباكتيا عموما هم من مناطق الناطقين بالفارسيه طبقا للسياسه التى وضعها السوفييت لتعميق الكراهية طوائف الشعب الافغاني على أساس اللغه والقبيله وغيرها.
ويعامل الجنود الفارين معامله كريمه للغاية وبتذل لهم الرعاية الممكنه من علاج وملبس, ويستخدم بعضهم لمذيعيين فى "الاذاعة قريبه المدى."
أما جنود الميليشيا الاكثر خطوره والاكثر عددا فى خوست فيتلقون عاد مكافئات تشجيعية لقاء التعاون من داخل صفوف العدو, أو الفرد مع أعوانهم والهجره بأسرهم من المدينه, وتشجيع الباقين للقيام بنفس العمل.
وترك ذلك جوا من عدم الثقه بين الجنود والميليشيات وبين الضباط والجنود وبين الرتب العليا والرتب الدنيا من غير الحزبيين.
وقد تفشت بينهم مؤخرا ترتيب عمليات فرار جماعية مع جنودهم.
ه- الارهاق المستمر:
الفترات الفاصله بين العمليات الكبيره, لاتنقطه فيها عمليات المناوشه بالنيران والتحركات الإستفزازية من جانب المجاهدي خاصه فى الليل, فتبغى قوات العدو فى حاله تأهب مستمر يفقد الجنود فرصه الراحه أو النوم, فيصلون الي درجه تفضيل الموت فى حقول الالغام -- عند الهرب -- عن الإستمرار على ذلك الحال.
ء -- توظيف الغنائم فى تعميق المشاركه فى المعركه:
سيطر المجاهدون على مساحه كبيره من الارض وفتحوا كثيرا من الحصون المنيعه والهامه سواء فى الجبال أو المناطق المنبسطه, وأدى ذلك بالطبع الى إنتعاش الروح المعنوية وإكتساب الطابع الهجومى فى العمل.
وإستولى المجاهدون أثناء تلك العمليات على كميات ضخمه -- من الذخائر والاسلحه الثقيله -- التى هم فى أمس الحاجه اليها الإستمرار العمليات خاصه في ظروف قطع المعونات عنهم من المصادر الخارجيه.
والجدير فى الوضع هنا هو التوظيف الغورى للغنائم فى ميدان المعركه, وقد ساهم المجاهدون بنصيبهم من الغنائم لقاء إثمان أقرب الى الرمزية من القيادة حتى تستخدم العتاد والذخائر فى نفس الميدان بدون سحب إنصبه المجاهدين كى تعرض للبيع فى الاسواق.
وقد خلق ذلك الموقف نوع جديد من المساهمه المالية من جانب المقاتلين أنفسهم فى تمويل المعركه, ونتج عن ذلك حرص أكبر عند إستهلاك الذخائر أو إستخدام الاسلحة, وإرتباط معنوى أكبر بمسار العملي والحرص علي تطويرها ودفع زخمها الى أقصاه.
وأصبح إرتباط المجاهدين المقاتل بالمعركه وبالقياده إرتباط المشاركه المعنوي والمالي أيضا.
فتقوت بذلك أواحد العمل الجماعى وتفجرت طاقه إبداع جماعية على أرض المعركه.

ثالثا : المواءمه بن الهدف والوسائل.
أ- الهدف: ليس هناك لبس لدى قياده المجاهدين فى خوست من أن الهدف الإستراتيجى لحملتهم هو الإستيلاء على المدينه, وكما قال حقانى فإن هدف الحصار المضروب على المدينه منذ سنوات كان يهدف فى البداية الى وضع القوات الروسية والشيوعية فى موضع دفاعى يشغلهم عن مهاجمه قواعد المجاهدين فى الجبال المحيطه بالوادى, أما الآن فقد تطور الهدف ليصبح الإستيلاء على المدينه نفسها.
ولعل الأسباب التى دعت المجاهدين الى ذلك هو:
--1المحور الاساسى الذى تركز عليها التسوية السياسية لقضيه أفغانستان طبقا لمتطلبات علاقه المصالح المتوازنه بين السوفييت وأمريكا. هو أن يتجمد الموقف العسكرى بين المجاهدين والحكومه.
وإن يدخل الطرفان فى مفاوضات تفاهم لإقتسام السلطه معا بالإضافه لعناصر أخرى لم تتورط فى القتال فى أى مرحله سابقه مثل الملكيين والعناصر الغربيه التى هاجرت الى هناك وإستوطنت.
ولما كان تجميد الموقف يستدعى ضخ عناصر القوة من سلاح وطعام ومال لنظام كابل المتفسخ, ومن جانب آخر كبح جماح المجاهدين عن إجتياح المدن التى يتمسك بها نظام كابل بصعوبه.
وإستدعت تلك السياسة توجيه أقسى الضغوط على المجاهدين لمنعهم من الإنتصار العسكرى الكامل.
يحجب المعونات بشتى أنواعها عنهم -- إلا ما يكفى لإستمرار معارك غير حاسمه ولا خطور منها على تغيير التوازن العسكرى القائم(.

مع إستخدام وسائل ضغوط سياسى وتخريب داخلى ضد المجاهدين فى الداخل والخارج.
وليس هناك من وسيله أمام المجاهدين من أجل إختراق هذا الطوق الشيطانى المفروض عليهم غير إنتزاع نصر عسكرى فى ظل الظروف الصعبه الحالية وبالوسائل المادية القليله المتاحه لديهم.
والتحدى الحقيقى ليس هو مهاجمه عدو أقوى عددا وعده وإنتزاع النصر منه بقدر ما هو مطلوب لمواجهه مجهودات قوى صديقه غيرت موقفها فتحالفت مع المعسكر المعادى -- بدون أن تعلن ذلك -- مع إستعدادها للتدخل -- وبكل الوسائل -- لكى تمنع مثل هذا الإنتصار.
ب -- الوسائل المتاحه:
هناك الميزات الجغرافيه التى يقدمه الموقع وطبيعه التضاريس المحيطه به.
ثم هناك العنصر البشرى المقاتل.
وأخيرا هناك ميزات "جغرافيه سياسية" وفرها الموقع.
-1الميزات الجغرافيه :
وهى عنصر حيوى من معطيات المعركه فى ذلك القطاع الأفغانى, وهو من الهبات الإلهية التى تعمل بالكامل لصالح المجاهدين وبشكل مدهش.
فمدينه خوست والوادى المسمى بإسمها والواقع الي الشرق والغرب منها يقعان على بعد حوالى 20 كيلومتر فقط من الحدود الباكستانية.
وقد أتاح ذلك المجاهدين خطوط إمداد مثالية من ناحية القصر ثم من ناحية الحماية الطبيعية التى توفرها التضاريس الجبليه للمنطقه.
وقد تضاعفت تلك الميزة الى حد كبير بعد المساحات الكبيره التى إستقطعها المجاهدون من الوادى فى الصيف الماضى (1989) فأختصروا خطوط إمدادهم الواصله الي سلسله الجبال الشماليه الى أقل من ربع المدة والمجهود السابقين.
فصار الطوق الشمالى لحلقه أكثر قوة وزاد ضغطه على المدينه
والتضاريس الجبليه المذكوره أتاحت حمايه طبيعيه ليس فقط لخطوط الإمداد بل لمراكز المجاهدين ومناطقهم الإدارية, وأماكن التحشد والإنطلاق الي القتال. وقد تضاعفت تلك الحماية بأن توسع المجاهدون الي درجه كبيره للغاية فى حفر الكهوف والمغارات والخنادق في الجبال الي درجه أصبح سلاح الطيران المعادى رغم قوته وإستخدمه تتكنولوجيا راقيه في التصويب والذخائر -- لم يعد معوقا لمخططات المجاهدين وحركتهم حتى فى مناطق الوادى المستطحه.
وأصبحت خسائر المجاهدين من جراء الغارات الجوية وقصف صواريخ سكود لاتكاد تذكر.
فى حين أنها كانت فادحه فى مسرح عمليات مثل جلال آباد لم يكن يتمتع بنفس الميزات.
ويمكن القول أن قياده العمليات فى خوست بل جميع قاده الوحدات الفصائل أصبحوا يتقنون فن حماية القوات وتأمينها مستفيدين بذلك من الميزات الطبيعية لأرض المعركه.
حتى معدات المجاهدين الثقيله من دبابات وبلدوزرات وسيارات معظمها مغارات للحماية من القصف المدفعى والجوى.
-- 2العنصر البشرى المقاتل:
معظم عناصر المجاهدين حول خوست ينتمون الى قبائل خوست نفسها أو من محافظه باكتيا بشكل رئيسى مع وجود عدد من أبناء المحافظات الاخرى. ويشترك الجميع فى ميزه قضاء سنوات من القتال فى المنطقه.
وأتاح لهم ذلك دراية واسعه بطبيعة الارض ودفاعات العدو بها -- خاصه حقول الالغام -- وأساليب العدو القتالية, مع وجود علاقات وثيقه وحميمه بين المجموعات المجاهده.
ويلاحظ تفوق نوعيه المقاتل لدى المجاهدين من الناحية المعنوية والفنيه بحيث لايمكن مقارنته بالجندى الحكومى, فالقوه الحكومية فى معظمها جنود "إعتقلو" لإداء الخدمه العسكريه ولم يمضوا غير فتره تدريب قصيره, وأكثرهم تدرب فى خوست نفسها فى معسكر أقيم لذلك الغرض.
كذلك الضباط لم يتلقوا غير دورات تأهيل قصيره مدتها سته أشهر فقط في دورات أطلق عليها "الدورات العاجله لتخريج الضباط", كما أن نسبه "الحزبين" بينهم فى إنخفاض مستمر.
وتميز إستخدام قياده المجاهدين للعنصر البشر بالحرص الشديد, وذكرنا فيما سبق السر فى ذلك.

ورغم حساسيه المعركه فلم تطلب تلك القياده أى معونه بشريه من خارج منطقتها. حتى لا تتورط أيضا في مسئوليات إداريه وتموينيه فوق طاقتها بحيث قد تفقدها ميزتها الحالي فى السيطره المحكمه على القوات.
ولعل ذلك أيضا من ضمن الدروس التى إستفيدت من مأساه جلال آباد التى إندفع عليها آلاف من المسلحين غير المنضبطين فشكلوا أحد عوامل الهزيمه وكانوا لقمه سائقه لنيران العدو.

-- 3عامل الجغرافيا السياسيه

ولنا أن نضيف ايضا أن الموقع الجغرافى للمنطقه أتاح للمجاهدين إنشاء علاقات تحالف عميقه مع المناطق القبليه على الجانب الآخر من الحدود, تلك العلاقات التى إستفادت منه قياده المجاهدين فى المنطقه فى الحصول على دعم هام.
فالمتطوعين من رجال القبائل بتراثهم الجهادى القديم ضد الغزوات البريطاني يشاركون بشكل دائم فى المجهود العسكرى لمجاهدى خوست.
ويساهمون فى تحييد القوى العادية للمجاهدين فى المناطق الحدودية ويعاونون فى مقاومة عمليات التهريب التى تتجه الى القوات الشيوعية والمدينه المحاصره وهى عمليات لها خطورتها فى التأثير على سير القتال.
كما ساعدت تلك العلاقات المتينه فى تسهيل حصول المجاهدين على ذخائر ثقيله من تجار السلاح فى تلك المناطق وتعريض طويله الإمد وبضمان السمعه الطيبه لقاده المجاهدين وحلفائهم من مجاهدين القبائل.
وهو عمل علي درجه فائقه من الاهمية فى ظروف الحصار الإستراتيجى المضروب, على المقاومه الافغانية من جانب القوى العظمى وروافدها الاقليميه.

-- 4الموأمه:

مابين الهدف الإستراتيجى المنشود (فتح خوست) وبين الوسائل المتاحه لابد من إجراء عمليه مواءمه لبلوغ الهدف طبقا للإمكانات الماديه والظروف السياسية والملابسات المحيطه بالمكان والأشخاص.
وكان تكتيك الإستيلاء على المواقع الهامه الواحد تلو الآخر فى ضربات عنيفه صاحقه تفصل بينها "مترات كمؤن - يلجأ خلالها المجاهدون الى "هضم" الموقع الجديد والإستحكام فيه ثم إعاده تعويض العتاد الذى ستهلك بغزاره عسيره فى الظروف الحاليه -- مع كونها تملى وتيره بطيئه على القتال, وتشكل ضرور دافعه لإتباع إسلوب: (قضمه -- قضمه) أى إقطاع الارض والاستيلاء على المواقع جزء وراء آخر بالاسلوب السابق ذكره.
((وبينما يستخدم العدو حوالى عشره آلاف مقاتل للدفاع عن خوست (4 آلاف الجنود, 6 آلاف من الميليشيا) فإن أسباب عديده قد يكون من بينها الحرص الزائد على القوة البشريه -- وبالتالى المعنويات - جعل المجاهدون يستخدمون/ كقوة فاعله نشطه فى العمليات/ حوالى ثلث القوة المدافعه -- رغم أن القاعده العسكرية تستدعى العكس وهو أن يوظف المهاجم ثلاثه أضعاف القوة المدافعه في حاله التعادل فى التسليح, والتعادل فى التسليح غير قائم (وهو بالقطع فى صالح القوى الشيوعية, ومع ذلك ففى كل العمليات الهجومية يحطى المجاهدون يتفوق عددى فى موضع الهجوم قد يصل الي خمسه أمثال القوة المدافعه فى بعض الحالات)هذا ما طرحه ماوتسي تونغ فى نظرياته العسكية, وأسماه نظريه التفوق المحلى.

رابعا : مرونه الحركه

يسيطر المجاهدون الآن على مساحات شاسعه فى خوست, فالجبال كلها في الجانب أصبحت الآن تحت سيطرتهم خاصه بعد فتح جبل تورغار -- فى الشمال لم تبقى الاقمه " ماشغور" ذات الاهمية فى يد القوات الحكومية, ذلك إضافه على الكتسبات الأخيره فى الوادى الفسيح والتي يدافع عنها المجاهدون ويعملون دائبين على توسيع رقعتها دافعين القوات الحكوميه تدريجيا -- وببطء -- نحو مركز المدينه.
((السيطره على تلك المساحات تستدعى من المجاهدين نشر قواتهم لتغطيه النقاط الإستراتيجيه.
ومن جانب آخر عندما يرغبون فى شن هجوم كبير على نقطه ما بهدف الإستيلاء عليها يكون عليهم تركيز القوات فى نقط الوثوب تمهيدا للعمل الهجومى.
عمليه الحشد تلك تحتاج الى مرونه فى حركه القوات بحث تتم بسرعة كافيه ووقت قصير لايتيح للعدو دفاعاته فى المنطقه المقصوده بالهجوم.
ولأجل الحصول على المرونه المطلوبه في الحركه أعطت القياده عناية كافيه بتمهيد الطرق بين المواقع الجبليه -- وذلك حسب الإمكانات المالية والفنيه المتوفره.

والجديد بالملاحظه أنه منذ صيف 89 وحتى بدايه العام الحالى تضاعفت تقريبا الكيلومترات الممهده بين الجبال لكى تستخدمها سيارات المجاهدين وقد سهل ذلك عمليه إمداد المراكز بالطعام والذخائر وإخلاء الجرحى والشهداء, وتنقلات القوات والتوسع فى إنتشار المراكز لتفادى تركيز القصف الجوى والصاروخي على القواعد الإدارية الكبيره والمعروفه لدى لعدو منذ سنوات.
كما أدى ذلك الى نتيجه أخرى هامه هو أن النسبه الأعلى لتنقلات المجاهدين أصبحت آليه -- بإستخدام السيارات وغيرها -- فزادت مرونه حركتهم وسرعتها الى درجه كبيره.
وشملت خدمات النقل الآلى مراكز المجاهدين فى وادى خوست المسطح بإستثناء خطوط التماس, والأماكن المكشوفه للعدو تتحرك فيها آليات المجاهدين تحت ستار الظلام وهو نفس ما يفعله العدو فى مناطقه المكشوفه.
وتكاد البلدوزرات القليله والتى فى حوزه المجاهدين أن تحصل منهم على نفس الشعور بالإعزاز والتبجيل التى تحظى به الدبابات التى يقاتلون بها فى وديان خوست.

خامسا : تكتيكات الدبابات
إستخدام الدبابات فى معارك باكتيا من جانب المجاهدين ليس بالشئ الجديد -- كما قال حقانى -- ولكن الشيء الجديد حقا هو التكتيكات التى إتبعها المجاهدون فى إستخدام ذلك السلاح الفعال.
ونستطيع القول أن إسلوبهم في حرب الدبابات أقرب الى أساليب حرب العصابات من حيث الجرأة الشديده فى المناورة, والإبتكار في الإسلوب... والمراوغه.
إضافه الى ذلك فإن كميه الدبابات التى غنمها المجاهدون وهى قيد الإستعمال حاليا لاتقل بحال عن نصف عدد الدبابات الصالحه للحركه لدى القوى الحكومي المحاصره, (حوالى 20 دبابه فقط قادره على الحركه) فمعظم الدبابات الحكوميه تعمل كمدافع ثابته في أوكار دفاعية ففقدت بذلك معظم ميزاتها القتاليه المتمثله فى الحركه مع قوة التدريع.
ويمتلك المجاهدون ميزه تمكنهم من تجميع قوة دباباتهم كلها فى عمليه كبيره واحده.
والهجوم بالدبابات على هدف واحد مستخدمين أكثر من محور للهجوم -- كما حدث فى معركه "دراجى" وعمليات التطهير الواسعة للمراكز الحكوميه الأصغر فيما بعد --
وتمتلك القوات الحكومية تلك الميزه وإلا تعرضت لكشف دفاعاتهم فى مناطق كثيره حساسه وقاتله بالنسبه لها والغريب في تلك الحاله أن يصبح المجاهدون فى حاله تعادل وربما تفوق من حيث عدد الدبابات فى موقع المعركه, مع فارق الجرأة وحرية المبادرة التى تتمتع بها طواقم الدبابات لدى المجاهدين.
وتعانى دبابات العدو من أزمه المحروقات التى تسببها ظروف الحصار, وكذلك إستحاله تعويض الخسائر التي تلحق بالدبابات اثناء القتال.
وإذا عدنا للمقارنه مرة أخرى مع ما حدث فى جلال آباد فإننا نلاحظ أنه فى بدايه المعركه كان للشيوعيين هناك حوالى 150 دبابه عامله (حسب بعض التقديرات المعتمده) غنم المجاهدون منها ما بين 10 الي 15 دبابه صالحه للإستخدام (حسب نفس المصادر) بإستثناء أعداد أكبر تم تدميرها.
ومع ذلك لم تشارك تلك الدبابات المكتسبه في حرب بل إستخدم بعضها كمدافع ثابته.
وفى المقابل ونتيجه لعدم إحكام الحصار حول المدينه قبل وأثناء العمليات فقد عوض العدو بسرعة وسهوله خسائره فى المدرعات ولم تتأثر قوة دفاعه عن المدينه التى تعتمد أساسا على ذلك السلاح فى منطقه شاسعه منبسطه مثل جلال آباد.
((وتأتى المعضله الأصعب التى تواجه المجاهدين فى إستخدام سلاحهم الحديث -- الدبابات -- وهى سيطره العدو تماما علي أجواء المعركه, وهو الأمر الذى لم يمنع المجاهدين من إسخدام دباباتهم فى المنطقه المنبسطه فى ضوء النهار المشرق تحت سماء مكتظه بالطائرات المقاتله التي تقذف حممها فوق الدبابات ونعترف بأن ذلك الموقف يستعصى على التفسير مالم نسلم بوجود معجزه إلاهية تساند أصحاب تلك الدبابات.
وتكتيكات يحاول المجاهدون من جهتهم تقليل حيز المجازفه قدر الإستطاعة بإتخاذ إجراءات مثل: شن الهجمات وحسمها في وقت قصير وفى أوقات حرجه بالنسبه للطيران وهى إما عند أول ضوء للفجر أو قبله بقليل .وعند آخر ضوء للغروب أو قلبله بقليل.

مع إجراء عملة إقتراب واسعة من الهدف تحت سائر الظلام مع تمويه كامل للدبابه وإعداد ملاجئ مموهة فى المناطق المنبسطه وكهوف في المناطق الجبليه لوقايتها.
ومع كل ذلك فقد تمت أكثر المعارك أهمي فى ريحان النهار مع وجود الدبابات فى الوادى المسطح مع الإستفاده قدر الإمكان من الأماكن المستوره مثل الشجيرات أو بقايا البيوت الطينيه المحطمه والمتناثره في الوادى, أو الكسرات الحاده فى الأرض التى أعطى سائرا جيدا , الي غير ذلك من عوامل الإخفاء.
ومع كل تل الجرأة والمجازفه لم يفقد الجاهدون غير دبابه واحده منذ أن بدأوا فى "حرب الربابات" ضد العدو فى الصيف الماضى (1989).
وكان ذلك نتيجه القصف الجوى.
فاعليه الدبابات: وليس أدل على مدى فاعليه الدبابات فى أيدى المجاهدين من تفحص العمليات الجوهريه الثلاثه والتى جرت فى المنطقه منذ الصيف الماضى وهى:
-1عمليه فتح قلعه نارد شاه كوت -- ثم حصن دوامندو فى (يوليو 89).
-2عمليه الإستيلاء علي مديريه "دراجى" القياديه وما حولها من مراكز علي محيط الجبال الغربيه والجنوبية وما خلفها فى الوادى فى سبتمر 89.
--3فتح قلعه تورغار الجبليه (15/2/1990).
فى العمليه الاولى تسلل المجاهدون مع دباباتين متخطين حصن دوامندو لكى يهاجموا حصن نادر شاه كوت الذى يمسك بزمام السيطره علي مدخل الوادى الغربى وهو أكبر وأقوى من حصن دوامندو الذى يعتبر أحد روافده الدفاعية.
وفجأه مع نيران الدبابتين المتقدمتين نحو الحصن التاريخى المهيب ؛نادره شاه كوت« خلعت قلوب الجنود المدافعيين - رغم ان لديهم ثلاثه دبابات ضمن تسليح الحصن بجانب أعداد كبيره من المدفعيه, مما تستغرق المعركه غير نصف ساعة فقط إستسلمت بعدها الحامية.
وتقدمت دبابتى المجاهدين نحو دوامند لتهاجمه من خلف فإستسلم بلا مقاومه.
وهكذا إدت الوحوش الفولاذيه بقياده المجاهدين الى تحقيق معجزتين باهرتين فى أقبل من نصف يوم.
ولعلنا نلاحظ الجرأة والمبادره والمراوغه وهى سمات حرب العصابات التى مازالت تطبع مجاهدى المنطقه حتي مع إستخدام أثقل الأسلحه كالدبابات, وقاد تلك العملية الشهيد مطيع الله.
الذى قدم بدبابتيه من أورجون -- على بعد حوالى 100 كيلومتر من ميدان المعركه, وقد بدأ معركته الظافره فى أول ضوء للفجر وإنهاها قبل الظهر.
((المعركه الثانيه كانت أوسع من حيث الوقعه وأطول في المدى الزمنيه, ولاجل الاستيلاء على قاعده "درجى" المسئوليه عن القطاع الغربى كل من الوادى والحصون الجبليه حوله كان لابد من مهاجمه حصين آخرين يشكلان خطوره علي المهاجمين وهما (موسى خان), و "سيد جى", وإستخدم المجاهدون في ذلك الهجوم ثلاث دبابات تقدمت من المشاه من جهه الغرب.
أما الهجوم الرئيسى على درجى فقد تقدمت نحوه مجموعة أخرى من الجنوب تصاحبها دبابتان.
وبدأ الهجوم في الخامسه والنصف صباحا وتم فتح المواقع فى السابعه والنصف.
وغنم المجاهدون ثلاث دبابات مع كميات كبيره أخرى من العتاد والأسلحه الثقيله.
المهمه الاصعب كانت التمسك بالمراكز المفتوحه في وجه هجمات الجنود والميليشيات والمدعومين بالدبابات والمدفعيه الثقيله وسلاح جوى في حاله من الهيستريا.
وصمد المجاهدون لمده عشرة أيام فى ظل تلك الظروف الصعبه في مناطق منبسطه لاتوفر حماية طبيعيه تذكر, وأخيرا إستسلم العدو للأمر الواقع وتوقف عن محاولاته.
والجديد بالذكر أن دبابات المجاهدين صمدت هى الأخرى في الدفاع ونجحت فيه فى وجه دبابات العدو - ولكن دبابه واحده إحترقت فى المعركه بفعل قذائف الطائرات.
ولكن المجاهدون سجلوا بتلك المعركه السابقه الاولى من نوعها فى الحرب الافغانية التى تمت بهذا الشكل وفى ظل تلك الظروف العصيبه وفى مناطق غير مناسبه جغرافيا.
ويلاحظ فى هذه المعركه كما فى سابقتها أنها بدأت عند أول ضوء للفجر وإنتهت في مطلع النهار قبل أن يأخذ الطيران حريته الكامله فى العمل.

((المعركه الثالثه كانت فتح قلعه تورغار الجبليه, والغريب أن تكون الدبابات -- وليس غيرها هى السلاح الحاسم للمعركه, رغم أنها إستخدمت كمرابض ثابته للمدفعيه, وأن المعركه دارت علي قمه جبل مرتفعه (1575 متر فوق سطح البجر.(
وتلخيصا للمعركه نقول أن جبل تورغار يمتد من الشرق الى الغرب معطيا ظهره للمدينه وواجهته الطويله الي جنوب حيث مواقع المجاهدين فى منطقه بارى.
وإمتدت تحصينات العدو بطول الجبل لمقاومه أى هجوم قادمه من -- بارى -- وبنيت الخطه الدفاعية على هذا الاساس, وبثت حقول الألغام بكثافه جهه الجنوب ثم علي المحيط الدائره للجبل كله بإستثناء طرقات ضيقه تأتى من الشمال -- جهه المدينه.
فكان أى هجوم من الجنوب سيجابه حقول الألغام ورمايه كثيفه من فوق الجبل الذى تكدس بمرابض الرشاشات وأبراج الحراسه المحصنه.
وبدلا من ذلك هاجم المجاهدين فى عمليتهم الناجحه الأخيره من الطرفين الشرقى والغربى. حيث قوه نيران العدو أقل ما يمكن, وكانت إحتياطات العدو لمثل هذه الخطوة كامنه فى تحصينات قوية لرشاشات ثقيله على كلا الجانبين مدعمه بمرابض للرشاشات الخفيفه وقواذف القنابل اليدوية وغيرها.
وهنا جاء دور الدبابات لتحطيم ركيزتى الدفاع للعدو على الطرفين الشرقى والغربى .
فتسللت دبابتى المجاهدين الى الوادى فكانت الأولى فى محازاه الحافه الشرقيه والثانيه ذهبت عمق الوادى, بعيدا بمسافه خمسه كيلومترات خلف تورغار من الجانب الشمالى الغربى.
وأدت كل منها دورها كاملا في تحطيم الإستكانات الدفاعية على الاطراف, إضافه الى ذلك صعدت دبابه ثالثه للمجاهدين على جبل مواجه لتورغار من الجنوب وساهمت فى تحطيم الإستمكانات الطرفيه مع ضرب خنادق الإتصال ومرابض الرشاشات علي طول الحافه الجنوبيه والتى تحاول عرقله طوابير المجاهدين المتقدمه علي سفحي الجبل.
وفى يوم غائم بدأت الدبابات عملها بعد صلاه الجمعه وحتى بعد العصر كانت قد حطمت قوة العدو فوق الجبل - - بدون أن يتدخل الطيران لعدم ملائمه الأحوال الجوية. أما المجاهدون المهاجمون فقد كانت العقبه الرئيسيه لديهم تفادى الالغام والقضاء على بعض النيران الضعيفه تأتى من بين الاحجار, ومن لحظه تحركهم من مراكزهم الهجومية (كانت فوق ظهر الجبل نفسه فى مناطق أكثر إنخفاضا من مراكز الحكومه) وحتى سيطرتهم على ظهر الجبل الحصين إستغرقوا أقل من ساعة ليسقط بعدها الجبل الإسطورة بين أيديهم بعد ست سنوات عصيبه قضته القوات الحكوميه فوقه مسببه للمجاهدين متاعب لاحصر لها.
((وقد إستغل المجاهدين الرعب الواقع فى نفوس الجنود الحكومية من الدبابات, فقاموا بهجمات صغيره على بعض المواقع عند الفجر بواسطه تسجيلات ومكبرات صوت تبث أصوات دبابات متحركه وقد نجحت الخدعه وأدت المطولب منها.

سادسا : الشبكه اللاسلكيه.
يمتلك المجاهدون شبكه إتصالات لاسلكيه ذات كفاءه مكنهم من إيجاد إرتباط قوى بين الوحدات بعضها البعض, وبين القياده العامه وقادة المجموعات المهاجمه والمسانده.
بل تربط أيضا بين إجزاء المحافظه بعضها وبعض وبين المحافظ وبعض المحافظات المجاوره.
هذه القدرة الجيده على الإرتباط أعطت مردودا إيجابيا للغاية أثناء العمليات, وجعلت سيطره القياده علي القوات العامله حقيقه واقعه ومؤثره.
وتطورت إمكانات المجاهدين فى هذا المجال الى درجه تمكنهم حاليا من التصنت والتشويش والتداخل مع شبكه لاسلكيه خاصه التداخل مع موجات اللاسلكى الخاصه بسلاح الجو المعادى والحصول على معلومات قيمه الى جانب قدرتهم على إيجاد نوع من الإنذار المبكر من الهجمات الجوية.
وأثناء العمليات التى نتحدث عنها حاليا (ما بين يوليو 1989 وحتى تاريخه) كانت معدات اللاسلكى التى غنمها المجاهدون عونا كبيرا من إحراز المجاهدون تقدما نوعيا فى مجال الاتصالات اللاسلكية مع وجود كوادر تم تدريبها فى السابق خلال خدمتها في الجيش الافغانى.

وفى معارك تورغار الأخيره كان فى مقدور قياده المجاهدين متابعه وقياده عمليات الهجوم على تورغار وتلقى التقارير اللاسلكية القادمه من لوجار وجارديز بخصوص القوة الحكومية المتحركه علي ذلك الطريق.
(إن تطور شبكه الإتصالات اللاسلكية لدى المجاهدين ونموها جاء كأثر ثانوى لمعاركهم في خوست, ولكنها تحولت, بدون عمد تقريبا , الى أخذ أسلحتهم الحاسمه, فلم تخلي أى معركه من المعارك من لحظه حرجه يصبح الإرتباط بين الوحدات والقيادة, عاملا مصيريا وفاصلا بين النصر والهزيمه.
وكانت شبكه التصال اللاسلكى هى الجسر الذى مر عليه إنتصار المجاهدين فى اللحظات الحرجه.

الإنقلاب المنتظر

يوم الثلاثاء 6 مارس 90 وقع وفشل الانقلاب المنتظر فى كابل.
ولا أعلم إنقلابا قبل ذلك كان الجميع يتحدث عنه, وعن التداعيات المتوقعه للأحداث المترتبه عليه, وكأنه فى الحقيقه كان مخرجا للأزمه.
أزمه وقع فيها الحل الدولى القاضى بتكوين حكومه مشتركه مزدوجه الولاء للكتلتين الدوليتين معا , كان نجيب الله فى كابل مرحبا بالفكره التى تضمن له البقاء والإستمرار, وأحزاب بشاور ؛الجهاديه« مرحبه بالفكره (سرا) لكونها ستحقق أملا طال إنتظاره وهو لعب دور عماله سياسية من فوق كراسى الحكم فى عاصمه بلادهم,و وليس مجرد عماله لإجئين سياسيين واقعين تحت الإذلال من حكومه من الدرجه العاشره هى نفسها تحت الإذلال الأمريكى.
وكانت المشكله هى صعوبه قبول نجيب الله على المستوى الشعبى سواء من المهاجرين أو المجاهدين, فالرجل كأى رئيس لجهاز جاسوسية فى العالم الثالث, ثم تحول الى رئيس دوله, فحول الدوله كلها الى كابوس من

الجاسوسية, فالذى لايعمل جاسوسا سوف يتعرض للتجسس عليه, والاكثريه تفضل أن تبيت ظالمه ولا تبيت مظلومه, والمجازر العسكريه زادت وتيرتها هى الأخرى وليس القمع البوليسى.
ويبدو أن اللقاء أن المتتاليه بين جورباتشوف رئيس الاتحاد السوفيتى وريجان ورئيس أمريكا, أعطت جورباتشوف ترضيات ضئيله في مقابل إنحسار بلاده المريع في المجال الدولى, بعد إنسحابها من أفغانستان, ومن أهم تلك الترضيات هى عدم إرقاة ماء الوجه السوفيتي في أفغانستان نفسها, والحفاظ علي الرموز الشيوعية هناك ضمن أى تسويه قادمه.
وقد حصل جورباتشوف علي ترضيه مماثله في اليمن, حيث طبقت نفس القاعده هناك, وتم تزاوج غير شرعى بين يمن الشمال (القبلى) ويمن الجنوبى (الشيوعى) وإستمر عده سنوات الي أن أفشله الشباب المسلم فى اليمن عام 1984 وقضى على الشيوعية هناك وأبعدها عن السلطه السياسيه فى البلاد.
ولكن الأفغان إستمروا فى القتال وأفشل المجاهدين مشروع المشاركه فى الحكم مع الشيوعيين.
كانت احد وظائف الإنقلاب المنتظر -- وكنتيجه لاقتسام السلطه -- هو تمييع الأساس العقائدى للصراع فى أفغانستان وكونه صراع إسلام مع كفر -- هكذا بكل وضوح وبلا أدنى شبهه, كان ذلك منذ الأيام الاولى لحمل السلاح ضد حكومه (حزب خلق) الشيوعية, وإستمر ذلك وإشتد مع التدخل العسكرى للسوفييت, وكانت الولايات المتحده كعاده الغرب دائما تخشى أن تضع الشعوب الإسلاميه خاصه, علاقه الصراع بينها وبين الغرب فى ذلك الإطار الواضح الصريح الذى هو فى صالح الطرق الإسلامى وحده لأنه يستنفر فيه اسمي طاقات الدفاع عن الذات, وترغب أن تضع الصراع فى صوره صراع حضارى -- أو إقتصادى -- أو ثقافى -- ولكن ليس عقائدى.
ولأجل تمييع الطابع العقائدى للمسلمين عامه والذى تأثر بالطرح العقائدى للصراع فى أفغانستان, كان لابد من التخلص من المجاهدين العرب الذين هم التجسيد العملى لطابع المواجهه العقائديه بين أمه الإسلام وأمم الكفر.
لذا بدأ برنامج أمريكى غاية فى القسوة والهمجية والمكر فى سبيل التخلص من هؤلاء المتطوعين العرب, وقد رأينا مجهوداتهم عام 89 التى كان أبرزها ترتيب مجزره جلال آباد ثم إغتيال الدكتور عبد الله عزام, رمز هذا التواجد ومنظره الدينى, وذكرنا أن مجزرة جلال آباد التى بدأت عام 89 قد إستمرت تحرق الشباب العربى حتي نهاية الحرب عام 92, وكان هناك تشجيع مسعودى خفي بتوجيه الشباب الي تلك المحرقه وتسهيل وصولهم إليها, وكان عملاء وجواسيس السعودية فى المضافات المنتشره في بشاور يرتبون (رحلات الموت/ من بشاور الي جلال آباد -- وتمول (معسكرات الجزاره) وميليشيات عربية مقبره من عملاء السعودية الذين يقودون الشباب الجدد عديم الخبرة الى أقصر الطرق نحو... الموت. الذين أسموه شهاده رغم أنه مجرد جريمه قتل عمد مكتمل الاركان.
كان عدد من الشباب الإنتهازى فى جالال آباد قد تحولو الي أمراء, وصار لهم سيارات وأسلحه وذخائر, ومصادر تمويل, وسفراء يطوفون بالسعودية والخليج لجمع تبرعات من المحبين والمشجعين, وزيارات الى المشاعر المقدسه فى الحج والعمره -- مثل كبار القدم والعملاء المحترمين.
حيث يستقبلهم عملاء السلطه وعملاء الدوله وكبار موظفيها حتى صار لهؤلاء التافهين كينونه أدارت رؤوسهم فتمسكوا بها حتي الثماله, كانت جلال آباد أسوء موطن (لتجاره الجهاد) التى مارسها عدد من العرب الذين سبحوا بمهارة فوق برك الدماد العربيه.
ومنذ عام 90 بدأت حوادث -- وأن كانت قليله إلا أنها تكررت -- وهي حوادث إغتيال العرب داخل أفغانستان وبعضها كان جرائم مركبه, بمعنى أن مدبري الحادث الحقيقيون يلغون القبض على بعض المنفذين, ثم يطالبون من زملائهم العرب القصاص لقتلاهم -- وهذا يسعد العرب بالطبع -- ولكنهم لا يدركون خبث العمليه إذا أنهم بتنفيذ القصاص قد أصبحوا مطلوبين قبليا للثأر -- والقبليه لاتنظر الي أن العمليه كانت قصاص بل ترى أن عربيا قد قتل أحد أبنائها -- فتوسعت دائره قتل العرب, بل وقاعدة رفضهم شعبيا وبعنف -- من جانب القبائل الموتوره, وقد إضطرت بعض العرب البارزين الي مغادره تلك الساحه الافغانية عندما إكتشفوا أهم تورطوا -- بطيب خاطر فى ثأر قبلى لايمكن تسويته بينما كان يظن أنه ينفذ جدا شرعيا في قاتل أوشيوع مرتد... الخ. من مؤامرات دبرها بعض الخبثات العاملي فى مخطط طرد العرب أو تسويتهم. وقبل الإنقلاب بفتره وجيزه كان قد قتل خمسه من العرب إغتيالا فى جلال آباد -- ثم طلب منهم زملائهم منهم القصاص لقتلاهم ففعلوا فبدأت الدورة الشيطانيه بطلب الثأر.

إذن فضرب المرتكز العقائدى للجهاد فى أفغانستان كان -- فى نظري -- الهدف الاساسى لذلك الإنقلاب المنتظر. ولكن من يجرؤ على من جانب المجاهدين أن يعبر تلك الفجوة المخيفه التي تفصل ماهو عقائدى وأساسى وبين ماهو مخالف للدين والعقيده ومصالح الشعب الذي ضحى وقاتل من أجل التخلص من الشيوعية ومن أجل حكم إسلامى للبلاد؟

مثل ذلك الدور -- الذى وصفه الحقيقى هو الخيانه - تقوم به عادة زعامات صنعتها قوى خارجيه وإكسبتها نجوميه مزوره وأضغت عليها هلات من الخسارة والعبقريه, بحيث تجتذب قلوب شعبها, فإذا حدث ذلك فإنها تقفز فوق الفجوه المخيفه وينتقل من البطوله (المزيفه) الي الخيانه (الحقيقية) ومع ذلك يبدو ذلك إنجازا وبطوله جديده من جانب معظم الغوغاء -- أما من يتعرض على سحر البطوله المزيفه فيبقى معزولا بحيث يسهل القضاء دعاية الاعواء كى يقوم بالقفزه البهلوانيه الخطره.

هكذا فعل أتاتورك فى تركنا -- البطل المزور فى ميادين الحرب الإستعراضيه ضد الإنجليز.

فسجد له الشعب التركى كبطل حرب مستحيله. فقفز أتاتورك وادى دوره الأساسى, فضرب الإسلام في مهد الخلافه العثمانيه, وأعلن علمانيه أشد كفرا من صليبيه أوروبا.

وهكذ فعل السادات -- بطل حرب أكتوبر -- الذى كان فى الحقيقه خائنها الأول, وبعد إضفاء هلات البطوله المزورة قفز هو الآخر وحزكته الخطيره والاخيره, وعبر بمصر والعرب من خانه العداء لليهود وإسرائيل, الي خانه الانبطاح بجداره تحت أحذيه إسرائيل وأمريكا.

أما أفغانستان, فكان أتاتورك والسادات معا هو البطل الشاب الاصولى المقطرف... الى آخر هالات الزيف التى حرص الغرب على لصقها بالنجم الشاب وبيعه للشعب الافغانى ومسملى العالم على أنه بطل أفغانستان الذى لايبارى في حدته وجديته.

قام البهلوان الأفغانى بقفزته الاساسيه ولكنها جاءت في فراغ -- وفشل الإنقلاب -- ولكن اللاعب العنيد والمسلم الاصولى كرر لعبته عده مرات بعد ذلك, ولكنه لسوء حظه ظل يفشل فى كل مرة -- حتى طرد من كابل هو ومن شابهه من لاعبين فاشلين مثل ربانى وسياف من قاده (الجهاد الافغانى) الذين طبل لهم (الاعلام الاسلامى) الإخوانى -- مندوب أمريكا فى العمل الحركى الاسلامى -- وفى النهايه تحالفوا جميعا بعد أن طردهم طلاب العلوم الشرعيه فى أفغانستان (حركه طالبان) طردتهم من كابل فتحالف هؤلاء القاده المجاهدون مع ... روسيا !!!

ولم يجدوا غضافه فى العمل مع عبد الرشيد دوستم أبشع زعيم ميليشيات شيوعية فى تاريخ البلاد!! ...

فما هى حقيقه هؤلاء الزعماء؟ وكيف وصلوا الى الزعامه؟. وما صله الإخوان المسلمين بكل ذلك القيح السياسى؟

مازالت الايام حبلى بالاسرار والكوارث

نعود مره أخرى الى تلك النقطه الهامه وهى تفريغ الصراع في أفغانستان من طابعه العقائدى, وإيجاد مزالق "جاهليه" يستمر تحت غطائها ذلك الصراع, فقد ظهرت منذ عام 89 دعاوى العرقيه والصدامات عى أساس عرقى, وكان حادث فرخار أول حادث إشتهر من ذلك النوع -- وإن كان مسعود في شمال البلاد قل بذل كل طاقته -- متعاونا مع السوفييت ونظام كابل -- فى إجراء تطهير عرق للشمال, وخطوته الاولى كانت تصفيه قوة البشتون هناك وبدأ بالقاده الكبار أصحاب الشوكه, وإعترف أننى لم أنتبه الى تلك الحقيقه الى متأخرا جدا , وبعد فتح كابول حين دخلها مسعود متحالفا مع دوستم,و وبدأ القتال بينه وبين حكمتيار فى معسكرين متمايزين واحد للطاجيك المتحالفين مع الاوزبك (مسعود ودوستم) والآخر للبشتون (حكمتيار.(

وقد نفخ الإعلام الغربى في تلك الجمرات كثيرا حتى إشتعلت وتأججت ولم يكن الإعلام وحده الساحه, فقد كانت باقى أجهزه الغرب الإستخباريه تدفع الأفغان في نفس المسار.

وقد سؤل حقاني في نهايه 89 من قبل إذاعه غربيه هذا السؤال :بعد إحكام حصاركم علي مدينه خوست فهل تلجأون الي حل القضيه معهم سلميا على إعتبار أنهم بشتون مثلكم.»؟

وأجاب حقانى بأسهاب موضحا أنها لست حرب قوميه بل حرب إسلام وكفر.

وفتح الغرب مسارب أخرى للقتال فى أفغانستان, وطمس سمتها العقائديه الأساسية, واحد من تلك المسارب هو الحرب المذهبيه -- وقد بدأها أيضا حكمتيار (ممثلا لسياسه باكستان) فى مقابله جميل الرحمن زعيم كونار

السلفى (ممثلا لسياسه السعوديه) بدأ ذلك بوضوح عام 90 ثم تدخلت الاحزاب جميعها فى الحرب خلف حكمتيار مشكلين تحالفا (خنفيا) فى مقابله وهابيه جميل الرحمن -- ودارت مجازر في كونار -- كان من أهدافها أن تشمل العرب في أفغانستان علي إعتبار أنهم جميعا من الوهابيه -- ولكن الإستجابه خارج كونار كانت ضعفيه ونشلت باكستان والسعوديه في جهلها حرب شامله تطال المتطوعين العرب, وقد بذلت السعوديه غايه جهدها فى توسيع نطاق المعركه وإقحام العرب فيها -- فارسلت عددا من جواسيسها في أفغانستان, وإفتعلوا صدامات مذهبيه مع المجاهدين وأعلنوها حرابا على (شركيات) الافغان (وقبورية) المجاهدين, وعبثوا ببعض القبور ونزعوا تمائم من على صدور المجاهدين وأطفال الأفغان بكل الغلظه المعروفه عنهم حتى أن أحدهم أخرج سكينا ووضعها علي رقبه طفل لقطع حبل التميمه المربوطه حول عنقه -- لولا أن بعض زملائه منعوه حتى لا يحدث قتال مع الافغان وهم يرون (عربى) يضع السكين على رقبه أحد الاطفال كى ينزع آيات من القرآن من حول عنقه.
وفى الحرب المذهبيه فى كونار عندما لم تنجح تلك الحرب فى الإمتداد الى باقى الولايات لتطال العرب المجاهدين هناك كان لابد من إدخال العرب وتوريطهم مباشره فى حرب كونار.
وقد تم ذلك عندما أقنعت جماعة حكمتيار وعناصر من الإستخبارت السعوديه أقنعت شابا عربيا متحمسا بأن يتولى قتل (جميل الرحمن) الذى صوروه له عقبه كأداء ضد توحيد المجاهدين وإيقاف الحرب بينهم.
فتولى ذلك الشاب قتل جميل الرحمن, وقد قتله فى الحال حرس جميل الرحمن فإختفى معه من دفعه واحده الي الجريمه.
ولكن مخابرات باكستان والسعوديه تولوا إكمال العمل فحذروا جميع القاده الميدانين المشهورين فى أفغانستان, والذين يعمل في جبهاتهم متطوعون عرب بأن هناك شبكه إرهابيه بين هؤلاء العرب تهدف الى قتل القاده الافغان المشهورين, وقد تركت تلك الوشايه أثارها وساد نوع من الحزر والتوجس لكنه لم يصل الى درجه القطيعه أو القتال أو القتال, على عكس ما تمنت باكستان والسعوديه.
)))

نعود مرة أخرى الي (الإنقلاب المنتظر), وهذا ما كتبته عنه فى وقتها فى مقال تحت عنوان شاه نواز... هل كسر الحاجز النفسى, وقد نشر فى مجله افغانستان العدد (19-- 20).

شاه نواز: هل كسر الحاجز النفسى

فى غياب التطور العسكرى للمجاهدين الأفغان منذ نكسه جلال آباد فى العام الماضى. صارت أشد الأحداث تفاهة على المسرح الداخلى تمثل تغييرا مثيرا يشغل مساحة إهتمام أكبر بكثير من حجمه الحقيقى. وهكذا كانت المحاوله الإنقلابيه الفاشله التى قادها وزير الدفاع الأفغانى "شاه نواز تانى" في مارس 1990.
ورغم فشل الإنقلاب إلا أنه غنى بدلالات التي ترسم صورة واضحة لتوازن القوى لأطراف الصراع, المجاهدين من ناحيه وحكومه نجيب فى كابل من ناحيه أخرى.
الانقلاب المنتظر:
فالإنقلاب كان يفتقد أهم عناصر العمل الإنقلابى وهو المباغتة, فمنذ ما يقرب من عام وهناك أكثر من زعيم من زعماء المجاهدين يبشر بإنقلاب قادم من داخل الجيش يحمل فى طياته بدايات الحل للمشكله الأفغانية... وتم رسم سيناريو لذلك الحل بأن تتشكل حكومه إنتقاليه يشارك فيها الإنقلابيون مع قاده المجاهدون "حول كابل" وتشرف تلك الحكومه على إنتخابات يختار فيها ممثليه الذين يقررون بدورهم شكل النظام القادم في أفغانستان.
والحل المطروح -- على ما يحتويه من غموض وخطوره -- ليس هو الغريب بقدر غرابه التلويح العلنى يعمل من المفروض أن يتم فى الخفاء -- ألا وهو الانقلاب العسكرى المنشود.
فقد أعلن البعض -- زياده فى التأكيد عن وجود إرتباطات قويه مع ضباط الجيش يرتبون لإنقلاب قادم فى كابل.
ولما كان نجيب الله ليس إستثناء من رجال الحكم في كل مكان -- فما كان له أن ينظر بتساهل إزاء تلك التصريحات.

ورجل في مثل خبرته في إداره أجهزة التجسس السريه لم يكن منتظرا بأى شكل أن ينظر لتلك التصريحات بروح رياضيه.
وقام بما يجب على من كان في مثل موضعه أن يقوم به فاعجرت عمليات "غربله" و"تمشيط" للقوات المسلحة خاصة المستويات القيادية, و أولى عناية خاصه لوزير دفاعه "شاه نواز" وباقى الطاقم "الخلقى" الذى مازال يتمتع بنفوذ كبير داخع الجيش في دولة "برشميه"
وتم إعتقال وزير الدفاع وإستبعاده. كما ألقى القبض علي عشرات من كبار الضباط وحسب بعض المصادر فإن وساطه سوفييتية كانت وراء عودة وزير الدفاع الي منصبه حرصا على "وحده الصف" و"توحيد الجهود" و"لقاء الاشقاء"... إلخ
كان ذلك فى ديسمبر في العام الماضى وهو في حد ذاته كفيل بالقاء بعض الشكوك على أن السوفييت كانوا على تعاطف مع نواز وجماعته, بل وربما أرادوا إعطاء فرصه لهم لإزاحه نجيب الذى أصبح -- بشكل شخصى -- عقبه أمام تمرير التسوية, خاصه وأن موضوع المشاركه في حكم "موسع" يضم العامله فوق الساحه الأفغانية أو الأطراف الاقليمية فى منطقه النزاع, بل والاطراف الدوليه الشغوفه بالتورط في المنطقه.
إن نجيب بالنسبه للسوفييت الآن -- على مايبدو -- يتمتع بمركز إستثنائى كالذى تمتع به سالف الذكر "تشاوشيسكو" فى رومانيا, حيث أغمض السوفييت أعينهم عنه وهو يقف أمام بنادق فرقه الإعدام, لكى يفتح موته الباب لرومانيا لتلحق بالعهد الجديد الذى دشنه غورباتشوف للإمبراطورية الروسية وتوابعها.
إن بقاء نجيب على رأس الحكم فى كابل يمنع أفغانستان من اللحاق "بالبروسترويكا" الروسية تحت مظله حكومه موسعه ترضى جميع الأطراف وتجعل كل فريق يحصل على جزء من الكعكة الافغانية التى ستبقى -- طبقا لذلك الحل -- فوق المائده السوفييتية.
ولكن يناقض ما يدعيه وزير الدفاع الانقلابى "نواز" من أن السوفييت هم العقبه التى صادفته وأن طائراتهم المنطلقه من داخل الأراضي السوفيتية هى التي دمرت مقر قيادته وطائراته المقاتله فى مطار "بجرام" قرب كابل, وهو إدعاء يصعب إثبات صحته. ولكن الأحداث التى شهدتها كابل فى ذلك الوقت تبرهن علي أن العملية الإنقلابيه لم تكن محكمه وأن إخمادها من جانب نجيب وأعوانه كان سهلا نسبيا رغم الخسائر الكبيره التى صاحبت المحاولة.
وكون الإنقلاب منتظرا منذ ما يقرب من عام. وتم الإعلام عنه وعن الإتصالات بين قادة من المجاهدين وضباط الجيش بهذا الخصوص كل ذلك يجعل إستعدادات نجيب وأعوانه فى قمتها ويوقظ لديهم كل حواسهم التجسسية وإمكانات جهازهم الخاص بأمن الدولة "واد" و"نواز" نفسه كوزير دفاع كانت تحت المجهر طول الوقت ويمكن التكهن ايضا بأن كل المتصلين به كانوا كذلك, وليس هناك أيسر من إحباط إنقلاب منتظر من وزير دفاع مشتبه فيه إلى جانب كونه خصم سياسى لرئيس الدولة.
ايجابيات الانقلاب:
لقد أعطت المحاولة الإنقلابيه الفاشله بعض المردود لصالح المجاهدين, مثل إظهار التفكك الحاصل فى جبهه التحالف الشيوعى الهش فى كابل, وإبراز الصراع "الخلقى البرشمى" كعامل مدمر مازال يعمل منذ سنوات طويله حتى قبل التدخل الروسى فى أفغانستان.
كما أن المحاوله المذكوره أضعف المركز السياسى لنجيب الذى يحاول إحتواء جميع أطراف المجتمع الأفغانى تحت عباءته وأظهرت عجزه حتى عن إحتواء زملائه الشيوعيون فكيف بباقى الأطراف الأخرى.
كما أبرزت لمحاوله ضرورية تغيير نجيب تحت كل الظروف وأيا كان الحل القادم.
ويمكن القول بأن المحاولة الإنقلابيه وأن كانت قد فشلت فى الإطاحه بنجيب إلا أنها قضت على مستقبله السياسى, وبالنسبه للمؤسسه العسكريه -- التى هى الركيزه الرئيسية لنظام نجيب -- فقد تأثرت سلبا بالمحاوله الانقلابيه التى سبقها عمليات "تطهير" داخل المناصب القياديه فى الجيش... ولحقها عمليات "أشد تطهيرا " بعد فشل المحاوله, كل ذلك سيضعف قوة الجيش تنظيميا الى جانب الإنهيار المعنوى فى صفوف القيادات الصغرى بين الضباط -- ناهيك عن الجنود -- الذين تجاوزت روحهم المعنوية حد الإنهيار.
سلبيات الانقلاب:
أما النتائج السلبيه للمحاولة الإنقلابيه فلها عده جوانب:

الجانب الاول: أنها أظهرت بشكل سريع ومباشر تفكك الجبهه السياسية للأحزاب فى بشاور, وكالعادة لم يكن هناك موقف موحد -- أو حتى منسق -- بين تلك الأحزاب تجاه المحاولة الإنقلابية والقائمين عليها.
فبينما إندفع طرف الى درجه بعيده فى تأييد المحاولة الى درجه تقترب من التحالف السياسى مع "شاه نواز" وطاقمهم الخلفى فى إطار برنامج مشترك لإسقاط النظام فى كابل وتشكيل ملامح نظام بديل يتم الوصول اليه بمجهود مشترك.
وقد دافع نواز عن ذلك التحالف مع الجماعة التى إحتضنته من المجاهدين بأنه تحالف تكتيكى.
بينما أنكرت الجماعة المذكورة وجود أى تحالف, وذلك فى حد ذاته تكتيك قديم حول المسميات الخاصه بحقائق ثابته.
والتحالف التكتيكى لاتتغير طبيعته إذا أطلقنا عليه مسميات أكثر لطفا مثل "تعاون مؤقت" أو " إستفادة من الظروف"... إلخ.
والتحالف -- مؤقته كانت أو دائمه -- لا مأخذ عليها فى حد ذاتها لكونها ضرورة سياسية لايمكن الاستغناء عنها, ولكن المعيار في الأخذ بها أو رفضها هو مدى الفائده المرجوة منها.
والفائده المعنوية قد تعطى أولوية عن الفائده المادية خاصه في صراع عقائدى كذلك الدائر على أرض افغانستان, وعلى ذلك فالتحالف بين حزب جهادى فى أفغانستان وبين مجموعة شيوعية منشقه عن حكم كابل يسبب إضعافا لاشك في منطلقات العمل الجهادى ويحوله تلقائيا من صراع قائم على أساس العقيده الى صراع سياسى بحت هدفه السلطه لاغير وبأى وسيله كانت.
والفارق كبير فى الحالتين, وقد مرت قضايا إسلامية فى هذا القرن بذلك المنزلق الخطر, وكانت نتيجه التحالفات السياسية "التكتيكيه" هى تحول إستراتيجي فى منطلق الصراع نفسه, وتحويله من مجاله العقائد الى مجال النافع السياسية الوقتيه.
من هنا يعتقد بعض المحللين أن من النتائج الجوهريه للمحاوله الإنقلابية الفاشله "لشاه نواز" هى بوادر تحول جذرى فى المنطلق العقائدى للقتل الدائر في أفغانستان لكى ينتقل من المجال "الايديولوجى" الذى ظل دائرا في فلكه لأكثر من عقد من الزمان, ليدخل مجال الصراع السياسى القائم على أساس نفعيه.
لقد إتخذت خطوات متوازيه فى هذا المجال واحده من جانب "شاه نواز" وأخرى من جانب مضيفيه.
الجرئ يبدأ:
وفى تحول جذرى بهذا الشكل -- وتفاديا لقوة الرأى العام -- الذى ما زال في إجماله يتبع المنطلق العقائدى الإسلامى فى الصراع ضد الشيوعية داخل أفغانستان.
فإن التحول يبدأه ظرف أكثر جرأة ليحطم " الحاجز النفسى" بينما يلجأ الزملاء الي المعارضه اللطيفه العنيفه, وبعد أن يكتمل إنهيار الحاجز النفسى لدى الجمهور الأفغانى, تكتمل مسيره "المصالحة الوطنيه" ويتم الهجران الجماعي للمنطلق الأيديولوجى الذى كان مناسبا فى مرحله القتال كنوع من التعبئه المعنوية للمحاربين.
والذى لابد من هجرانه في مرحله فى مرحله التسوية السياسية المبنيه على واقع الحقائق الباردة للوضع الإقليمى والدولى الذى تتحكم فيه مصالح قوى أعظم كانت تسعر القتال طوال سنوات تحت ستار أيديولوجى وأعينها على تسوية ساسيه فى نهاية المطاف تراعى المصالح وليس العقائد.
تنازلات عقائدية
"شاه نواز" قدم تنازلات عقائديه أعمق وأسرع, وإن كان لم يخرج كثيرا عن الإطار الذى رسمه عدوة اللدود فى كابل "نجيب الله" فكلاهما أعلن تخليه عن الشيوعية وأكد بأنه "مسلم أصيل" كما أكد كلاهما بأن حزبه بحاجه الي عملية "ترميم" ليصبح أكثر قبولا من جانب الشعب الأفغانى, وبينما يردد نجيب تلك الأقاويل, منذ أشهر طويله ومن تحت حراب البنادق فى كابل, فإن "شاه نواز" وجد الفرصه لكى يردد نفس الأقوال من خنادق المجاهدين وهو يحمل هالات "البطوله الوطنية" فى مكافحه نظام يرفضه الشعب.
لاشك أن كهوف لوجار إكتسبت دعاوي "نواز" مصداقيه أكثر من أقوال نجيب التى تكذبها حملات العسكرية ضد الشعب الافغانى. وتلك خدعة اعلامية -- بقصد أو بدون قصد -- قدمها مجاهدون -- أكثر جرأة -- لتكسير الحاجز النفسى الذى بنته الدعاوى الايدولوجيه السابقه وتمهيدا لا شك فيه لكى يقبل الشعب الافغاني فكره "توبه" الشيوعيين الأفغان ومنحهم صكوك الغفران التى تغسل الدماء التي تخضبت بها أيديهم لأكثر من عقد من الزمان.

إن الصورة التي ساهمت تجربه شاه نواز في تأكيدها لدى الرأى العام الأفغانى والدولي هى أن الحرب في أفغانستان إنما هى حرب أهلية بين أفغانى مسلم وأفغانى مسلم وأن إختلفت "درجه الجوده" هنا أو هناك.

ماذا بعد؟

بعد المحاولة الإنقلابية الفاشله كيف ستسير الأمور داخل أفغانستان ؟ سنكتفى ترصد بعض المظاهر دون الدخول فى مجازفه التنبؤ بالغيب, فمما لاشك فيه أن مرحله جديده في مسار القضيه الافغانية تتمخض عنها الاحداث الجارية.

وكما تنبئ الظواهر فأن القوى العظمي تمسك بأكثر خيوط اللعبه, وذلك لا يعنى حتمية أن تسير الأمور على هوى تلك القوى بشكل كامل, فأى طرف مهما كان حجمه صغيرا يمكنه إحراز مفاجآت في الوضع تؤدى بدورها الي شئ من التعديلات.

والخوف من أن "الركود" العسكري الذى تعيشه المقاومه الأفغانية قد يؤدى الى إفلات كثير من الأوراق من بين يديها لكى تطير الي أيدى أحد اللاعبين الكبار. وليس سرا أن أوراقا هامه طارت من يد الأحزاب الافغانية الى يد اللاعب الامريكى, وذلك إهدار لاشك فيه لحقوق الشعب الافغانى الذى عانى وضحى بإرواح مئات الألوف من زهرة شباب أولاده.

والعجز عن حسم أى موقف عسكرى داخلى حول المدن المحاصرة ليس عجزا واقعيا بل هو عجز مصطنع تسائل عنه القيادات الأفغانية قبل غيرها.

كذلك الشرخ الحادث فى الموقف المبدئي العقائدى الذي لف موقف المنظمات فى حاجه إلى إعاد تأكيد بواسطه برامج عمل وليس بمجرد بيانات مصاغة بلغة "عربيه" بليغة وفصيحه, فتلك السلعة التي كانت رائجه في سنوات ماضية فى بوار تدريجى.

والشعب الافغانى هو الذى يحتاج هذا التأكيد قبل أى طرف عربى فيما وراء البحار, فالدماء الأفغانية هى التي أريقت والديار الافغانية هى التى خربت والشعب الافغانى هى الأكثر حاجه لكى يعرف وجهه المسير, وأن يعرف بوضوح أكثر, وبطريقه عمليه اين الإسلام من كل ذلك الذى حدث في الماضى... وما يحدث حاليا وما سيحدث مستقبلا على أرض أفغانستان.!!